

الهوية الخلقية للشباب المسلم تحديات تغريب الثقافة الخلقية



■ الشيخ الدكتور ليث عبد الحسين العتابي

■ الهُوِيَّةُ الخُلُقِيَّةُ للشَّبَابِ المُسْلِمِ
تَحَدِّيَّاتُ تَغْرِيبِ الثَّقَافَةِ الخُلُقِيَّةِ
-الشيخ الدكتور ليث عبد الحسين العتابي-

◆ رقم الطبعة: الأولى
◆ تاريخ الطبعة: ٢٠٢٦م - ١٤٤٧هـ
◆ مكان الطبعة: بيروت - بغداد

■ الآراء المطروحة لا تعبر عن رأي المركز بالضرورة ■

© جميع الحقوق محفوظة للمركز

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com

سِلْسِلَةُ الدَّرَاسَاتِ الأَخْلَاقِيَّةِ ٤

الهَوِيَّةُ الأَخْلَاقِيَّةُ للشَّبَابِ المُسْلِمِ
تَحْدِيثَاتٌ تَغْرِيْبُ الثَّقَافَةِ الأَخْلَاقِيَّةِ

• الشَّيْخُ الدُّكْتُورُ لَيْثُ عَبْدِ الحُسَيْنِ العَتَابِي



مَرْكَزُ بَرَاثَةِ الدَّرَاسَاتِ وَالبَحْثِ
بِירוْتِ - بَعْدَاؤُ

سِلْسِلَةُ الدِّرَاسَاتِ الأُخْلَاقِيَّةِ

في عصرٍ خيّم فيه ظلام النفعية والتفكير المادي ومحورية الأنا، أصبح من الضروري إعادة تقديم المنهج الخُلُقِي الإسلامي بلغة معاصرة، لا بهدف تقريب سبيل السعادة المعنوية إلى الشباب وحسب، بل باعتبار أنّ النظام الخُلُقِي هو حجر الأساس للمجتمع الإسلامي المهدوي.

إنّ إعادة المباحث الخُلُقِيَّة إلى حاضرة البحث والتداول في الفضاء العام الإسلامي يكتسب أهمية أخرى مضاعفة من حيث إنّ قوى الانحراف وعناصر الشرّ والفساد قد ازدادت في هذا العصر، أكثر من جميع العصور السالفة؛ فإذا كان التّحرك في الماضي في خطّ الانحراف يكلف الإنسان مبلغاً من المال، أو شيئاً من الجهد، ففي هذا الزّمان أصبحت أدوات الفساد في متناول الجميع.

كذلك، فبينما كانت المقاييس والموازين الخُلُقِيَّة محدودةً في الماضي، لكنّ التوسع الهائل في العلوم الإنسانية أنتج مجموعة من الشبهات التي نالت من الثوابت الفطرية والإنسانية؛ لذلك، نحاول في (مركز برانا للدراسات والبحوث) الإجابة عن النقوض الفلسفية حول أسس الأخلاق والشبهات المثارة، مستهدفين من خلال (سلسلة الدراسات الخُلُقِيَّة) تعميق الأخلاق في قلوب الناس، و تفعيل عناصر الخير في وجدانهم، والانتباه إلى الخطر المحيط بالأخلاق؛ بحيث إنّ بعضهم أنكر فائدتها من الأساس، أو ذهب إلى أنّها غير ضروريّة، وبعضهم الآخر تعامل معها من موقع المصلحة والبراجماتية، للوصول إلى مطامعه السياسيّة.

ومن لطف الله بنا، أنّنا نمتلك مصدراً عظيماً للمعارف الخُلُقِيَّة، وهو القرآن الكريم، الذي لا يُدانيه أيّ مصدر ديني آخر في العالم، والموروث الروائي عن أهل بيت النبوة والذي يتصف بالغزارة والعمق الفلسفي الخُلُقِي.

مقدمة

إنَّ الهويَّةَ الخُلُقِيَّةَ للشباب المسلم هي الأساس الذي يُشكِّل شخصيَّته ويُحدِّد مواقفه وسلوكيَّاته تجاه نفسه ومجتمعه. في عالم يتميَّز بالتطوُّر السريع والتحوُّلات الثقافيَّة العميقة، يواجه الشباب المسلم تحديَّات عديدة تُشوِّه أو تُغيِّب القيم الخُلُقِيَّة التي يعتنقونها بناءً على تعاليم دينهم الحنيف. يتعرَّض الشباب بشكل متزايد لتأثيرات ثقافيَّة وأيديولوجيَّة تُعزِّز فهمًا خاطئًا للحريَّة والنجاح والتطوُّر، ما يؤدِّي إلى صراع دائم مع القيم الإسلاميَّة الأصيلة التي تهدف إلى تعزيز الأخلاق الحميدة والاحترام المتبادل والصدق. في هذا السياق، يبرز تحديّ تغييب الثقافة الخُلُقِيَّة بصفتها واحدة من أكثر القضايا إلحاحًا التي تواجه الشباب اليوم. تتأثَّر المجتمعات الإسلاميَّة بشكل متزايد بالعولمة ووسائل الإعلام التي تُقدِّم نماذج ثقافيَّة لا تتوافق بالضرورة مع المبادئ الإسلاميَّة، فيُسهِّم

هذا الوضع في الشعور بتذبذب الهويّة الخُلقيّة للشباب المسلم الذي قد يجد نفسه في مواجهة صعبة بين تمسّكه بهويّته الثقافيّة والدينيّة، وضغوط فرض قيم مُغايرة للقيم الخُلقيّة الإسلاميّة.

في هذا السياق، تتجلّى أهميّة البحث في كيفية مواجهة هذه التحديات والوسائل المتاحة لتعزيز الهويّة الخُلقيّة للشباب المسلم، مع التركيز بشكل خاصّ على الدور الحاسم للتعليم والأسرة والمجتمع في تعزيز هذه الهويّة وحمايتها من التشوّه الثقافي والاعتراب. فالهويّة الخُلقيّة من العناصر الأساس التي تشكّل شخصيّة الإنسان وتوجّه السلوك. وهي بالغة الأهميّة للشباب المسلم الذي يواجه تحديات كبيرة في الحفاظ على قيمه ومبادئه في عالم يشهد تغيرات ثقافيّة متسارعة. ففي مواجهة العولمة وانتشار وسائل الإعلام، يتعرّض الشباب المسلم لضغوط عديدة تحاول تغيير أو تشويه ثقافته الخُلقيّة، المستندة إلى تعاليم دينه الحنيف. ولا تقتصر التحديات التي تواجه الشباب في هذا السياق على محاولات اغتراب الأفكار والقيم بل تشمل -أيضاً- الصراع الداخلي بين التقاليد الثقافيّة والتمسك بالهويّة الدينيّة.

إنّ من أهمّ التحديات تنامي التوجّه نحو ترويج ثقافات بعيدة عن القيم الإسلاميّة، ما يهدّد بتفتيت الهويّة الخُلقيّة للشباب المسلم. ويتجلّى هذا التحديّ جلياً في الصراعات المتعلقة بالحرية الشخصية والنجاح،

والمفاهيم الاجتماعية المعاصرة التي قد تتعارض مع الأخلاق الإسلامية. في ظلّ هذه الظروف المعقّدة، يصبح من الضروري البحث عن سبل تعزيز الهوية الخُلقية للشباب المسلم، وضمان قدرته على التمييز بين القيم الخُلقية الأصيلة التي يدعو إليها الإسلام، والثقافات التي قد تروّج لقيم متعارضة. وهذا من شأنه أن يرسم الطريق الأمثل لحماية هذه الهوية وترسيخها، بما يضمن لشبابنا التوازن بين الانفتاح على العالم والتمسك بجذورهم الدينية.

تمهيد: تعريف مفردات العنوان وبيان ما يتعلق بها من موارد مُهمّة:

أولاً: تعريف الهوية الخُلقية

١- تعريف الهوية:

أ- الهوية لغة:

إنّ الهوية في اللغة مشتقة من الفعل هوى، والهوية تصغير هوة، وقيل: الهوية بئر بعيدة المهواة^(١).

والهوية مصدر صناعي من كلمة هو، للدلالة على أنّ الشيء هو هو،

١- ابن منظور الأفرقي: لسان العرب، ج ١٠، ص ٣٧٤.

وليس غيره، أو بأنه هو هو لم يصير شيئاً آخر، وهي الذات الثابتة من خلال تغيير أحوالها، مثل: هويّة الأنا^(١).

ب- الهويّة اصطلاحاً:

يقول (الجرجاني): «الهويّة هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق»^(٢).

إنّ الهويّة هي: الميزة الثابتة في الذات، أي علامة ما هو متماه، وهي ميزة فرد أو كائن يمكن من هذا الوجه تشبيهه بفردٍ يقال عنه إنّهُ متماه، أو أنّه هو ذاته في مختلف فترات وجوده^(٣).

كما وتُعرّف الهويّة بأنّها حقيقة الشيء من حيث تميّزه، وتسمّى أيضاً وحدة الذات^(٤).

٢- تعريف الأخلاق:

أ- الأخلاق لغة:

قال (ابن فارس): «الخُلُق: وهي السجّيّة؛ لأنّ صاحبه قد قُدّرَ عليه»^(٥).

- ١ - محمد يعقوبي: معجم الفلسفة، ص ١٧٤.
- ٢ - محمد الجرجاني: معجم التعريفات، ص ٢١٦.
- ٣ - أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ج ٢، ص ٦٠٧.
- ٤ - إبراهيم بيومي مذكور: المعجم الفلسفي، ص ٢٠٨.
- ٥ - ابن فارس المغربي: معجم مقاييس اللغة، ج ٤، ص ٣١١.

وعلى هذا المعنى اللغوي سار جميع أهل اللغة، ونقلت ذلك جميع كتب المعاجم التي تلت (ابن فارس) إلى يومنا هذا.

ب- الأخلاق اصطلاحاً:

عُرِّفَت الأخلاق في الاصطلاح بعدة تعريفات، منها:
قال (ابن مسكويه): «الأخلاق: أصول يُعرف بها حال النفس من حيث ماهيتها وطبيعتها وعلة وجودها وفائدتها»^(١).
فهي هنا أصول نفسيّة، منها يعرف حال النفس، وكل ما يتعلّق بها من طبائع وعلل وسلوكيات.

قال (محمد علي التهانوي): «الأخلاق: ملكة تصدر بها عن النفس الأفعال بسهولة من غير تقدّم فكر أو رويّة وتكلف»^(٢).

إنّ التعريف المتقدم يريد أن يقول إنّ الأخلاق ليست صفة عابرة بل هي ملكة ثابتة في النفس، وقد يستشكل عليه في حال مجانبة الأخلاق عند جملة من البشر، فلو كانت ملّة بالأساس فلن يستطيع أحد التخلّي أو التخلّص منها، ولكن لأنّ بعض البشر لا يمتلكون كثيراً من الأخلاق، فهي بذلك ليست ملكة بل هي إلى الصفة أقرب.

قال (أبو حامد الغزالي): «الأخلاق هيئة في النفس راسخة، تصدر

١ - ابن مسكويه الرازي: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص ١١.

٢ - محمد علي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، ج ٢، ص ٢١.

عنها الأفعال»^(١).

ف نجد أنَّ (الغزالي) لم يقل عنها صفة ولا ملكة، بل ذهب إلى كونها هيئة، والهيئة شيء خارجي، والأخلاق أشياء داخلية تبرز إلى الخارج عن طريق الأفعال. لذا، فإنَّ تعريف (الغزالي) فيه خلل في تشخيص ماهية الأخلاق.

٣- تعريف الهوية الخُلُقِيَّة:

إنَّ الهُوِيَّةَ الخُلُقِيَّةَ تُمَثِّلُ بطاقة معرفية عاكسة للصورة التي يتمثَّل بها الفرد، وتتكوَّن بها أو من خلالها شخصيَّة الخُلُقِيَّة، من خلال سلوكه وتصرفاته وتعاملاته.

كما يمكن أن تُعرَّف الهُوِيَّةُ الخُلُقِيَّةُ بأنَّها: ذات الفرد من جهة ما يحمله وما يتفرَّد به عن غيره من مُثُل، وقيم، ومبادئ خُلُقِيَّة تمثِّل معتقداته وتصوّراته عن ذاته، مثل: الحقّ، والواجب، والكرامة، والاحترام.. وبذلك تُمَثِّلُ الهُوِيَّةُ الخُلُقِيَّةُ بطاقة معرفية تعكس الصورة التي يحملها الفرد عن شخصيَّته وما ينبغي عليه القيام به^(٢).

كما قد عرِّفت الهُوِيَّةُ الخُلُقِيَّةُ بأنَّها تصوّر إدراكي ذاتي منظم عن مجموعة

١ - أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٥٧.

٢ - راجع: جامعة البصرة، ندوة تحت عنوان: مبادئ الهوية الأخلاقية عند تشارلز تايلور، تاريخ النشر ٣٠ / ١ / ٢٠٢٢ م.

من الصفات الخُلُقِيَّة المَحَدَّدة، يفكِّرُ بها الفرد ويشعر بها ويفعلها. وتتبدَّى الصفات الخُلُقِيَّة في مجموعة الخصائص المرتبطة بالبناء الاجتماعي ك: التطوُّع، والتعاطف، والتعاون، والعدل، والصدق، والرحمة، والكرم^(١).

ثانيًا: تعريف الشباب المسلم

١- تعريف الشباب:

أ- الشباب لغة:

إنَّ كلمة شباب في اللغة العربيَّة يراد بها: الفتوة: والفتاء بمعنى الحيويَّة والقوَّة، وكلمة شب أصلها من شبيب، فالشباب هو الفتاء والحدائث، وشباب الشيء أوله، وجمعها: شباب، وشبان، وشواب^(٢).

ب- الشباب اصطلاحًا:

إنَّ المراد بالشباب اصطلاحًا: شريحة اجتماعيَّة تشغل وضعًا متميِّزًا في بنية المجتمع^(٣).

كما وعُرِّفَ بأنَّه مرحلة من مراحل العمر تقع بين الطفولة والشيخوخة،

١ - زهير عبد الحميد النواجحة: «الهوية الأخلاقية وعلاقتها بمقاومة الإغراء لدى الطلبة والمراهقين»، ص ١٢٥.

٢ - ابن منظور الأفرقي: لسان العرب، ج ٧، ص ٢٥٧.

٣ - أعضاء هيئة التدريس، قسم علم الاجتماع: الطفل والشباب في إطار التنمية الاجتماعية والاقتصادية، ص ١١٣.

وهي تتميز من الناحية البيولوجية بالاكتمال العضوي ونضوج القوة، كما تتميز من الناحية الاجتماعية بأنها المرحلة التي يتحدّد فيها مستقبل الإنسان، سواء مستقبله المهني أم مستقبله العائلي^(١). يقول (الشيخ مجيد الصائغ) عن تعريف الشباب في الاصطلاح: قوّة بين ضعفين، قوّة بين ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة... فمرحلة الشباب تتحدّد زمنياً وعمرياً من سنّ ١٥ - ٢٤ سنة، وهذا الاتجاه هو السائد بين علماء النفس والتربية^(٢).

٢- تعريف الإسلام:

أ- الإسلام لغة:

إنّ أصل كلمة الإسلام من س ل م، وهذه المادة تدلّ على: الصحّة، والعافية؛ إذ إنّ المراد بالسلامة هو أن يسلم الإنسان من الأذى والعاهة^(٣)، كما تستخدم كلمة الإسلام للدلالة على تسليم الأمر إلى الله سبحانه وتعالى، وكذلك بمعنى الدخول في السّلم؛ كونه انقياداً على السلامة^(٤).

١ - عبد الرزاق أمقران: دراسات في علم الاجتماع، ص ٢٦٨.

٢ - مجيد الصائغ: الشباب المعاصر بين الاستقامة والانحراف، ص ٣٤.

٣ - ابن فارس المغربي: معجم مقاييس اللغة، ج ٣، ص ٩٠.

٤ - الفضل بن الحسن الطبرسي: تفسير مجمع البيان، ج ٢، ص ٢٥٧.

ب- الإسلام اصطلاحًا:

إنَّ الإسلام هو: دينٌ إلهيٌ توحيديٌّ إبراهيمي، يعتقد أتباعه بإله واحد لا شريك له، منزّه عن كلّ نقص، ونبوّة النبي محمد ﷺ الذي أرسله الله -تعالى- بدين الإسلام، كما يعتقد المسلمون بأنَّ القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الذي يضمّ ما أوحى به الله -تعالى- إلى رسوله الأكرم محمد ﷺ^(١).

٣- تعريف الشباب المسلم:

إنَّ المراد بالشباب المسلم: الشباب المحدّد بالفئة العمريّة المعروفة الذي يدين بدين الإسلام، ويعتقد به من حيث الفروع والأصول، ويؤدّي العبادات، ويدافع عن دينه ضدّ أي هجمة، كما يسهم في إعلاء شأنه، والدفاع عنه، والموت في سبيله.

ثالثًا: تعريف تحديّات التغريب

١- تعريف التحديّات:

أ- التحديّات لغة:

إنَّ المراد بالتحديّات في اللغة: الشيء حداثه، وفلان طلب مباراته في أمر^(٢).

١ - محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان، ج ١٦، ص ١٩٣.

٢ - أحمد الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٦١.

ب- التحدّيات اصطلاحًا:

ويراد بها: أزمة تنجم عن شيء جديد، يأخذ صفة المعاصرة إلى حين ظهور غيره، يولد الحاجة لدى المجتمع الذي يندفع بها نحو التغلّب عليه، ويتطلّب تغييرًا شاملاً في شتّى مناحي الحياة^(١).

٢- تعريف التغريب:

إنّ المراد بالتغريب هو: تيّار فكري ذو أبعاد سياسيّة واجتماعيّة وثقافيّة يرمي إلى صبغ حياة المسلمين بالأسلوب الغربي، وذلك بهدف إلغاء شخصيّتهم المستقلّة، وخصائصهم المتفرّدة، وجعلهم أسرى التبعيّة الكاملة للحضارة الغربيّة صحيحها وسقيمها^(٢).

٣- تعريف تحدّيات التغريب:

إنّ المراد بتحدّيات التغريب هي: الأزمات التي خلقها التغريب والتيّار التغريبي في البلدان الإسلاميّة، وتلك الأزمات كثيرة، منها: الأزمات الخُلُقِيَّة، والدينيّة، والاجتماعيّة، والسياسيّة، والاقتصاديّة. فكثيرة هي

١ - محمد كتش: العالم التربوي على صفح ساخن: دراسة للمنظور التربوي لإشكالية الأصالة والمعاصرة، ص ٤٠.

٢ - رياض صدقي: النزعة التغريبية وفقدان البوصلة، موقع الجزيرة، تاريخ المدونة ٢٠١٨/٣/٨م.

الأزمات التي خلقها التيار التغريبي والغرب، ومنها الحروب التي فرضها من أجل الهيمنة والاستعمار والسيطرة، ليتلوها استعمار من نوع آخر، وهو الاستعمار الثقافي.

رابعاً: تعريف الثقافة الخُلُقِيَّة

١- تعريف الثقافة:

أ- الثقافة لغة:

رجلٌ ثقِف لقف: أي يصيب علم ما يسمعه على استواء^(١)، ثقِف: الثقِف الحَذِق في إدراك الشيء وفعله^(٢)، وثقِفَت العلم: إذا أسرعَ أخذه^(٣).

ب- الثقافة اصطلاحاً:

إنَّ الثقافة هي: النمو التراكمي للتقنيات، والعادات، والمعتقدات لشعب من الشعوب يعيش في حالة الاتصال المستمرِّ بين أفرادهِ، وينتقل هذا النموُّ التراكمي إلى الجيل الناشئ عن طريق الآباء، وعبر العمليَّات التربويَّة^(٤).

١ - ابن فارس المغربي: معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ٣٨٢.

٢ - الراغب الاصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص ٩٠.

٣ - جار الله الزمخشري: أساس البلاغة، ص ٤٦.

٤ - معن زيادة: معالم على طريق تحديث الفكر العربي، ص ٣١.

كما يراد بها: معرفة عمليَّة مكتسبة، تنطوي على جانب معياري - والمقصود بالجانب المعياري هنا، هو وجود حالة يُقاس في ضوئها حال الثقافة قريبًا أو بعدًا، تقدّمًا أو تخلّفًا. وهذه الحالة المعياريَّة لأي ثقافة هي بمثابة الهدف الذي يسعى الأفراد والجماعات للوصول إليه والاقتراب منه ما أمكن، فهي بمثابة الصورة المثلى والأكمل لما ينبغي أن يكون عليه^(١).

٢- تعريف الثقافة الخُلُقِيَّة:

تقوم الثقافة الخُلُقِيَّة على فكرة أنّ احترام المبادئ الخُلُقِيَّة والعيش وفقًا لها أمر أساس لعيش حياة هادفة ومُرضية، ولبناء عالم فيه الخير للجميع. يركّز ممارسو الثقافة الخُلُقِيَّة على دعم بعضهم بعضًا ليصبحوا أشخاصًا أفضل، وعلى فعل الخير في العالم.

١ - عزمي طه السيد وآخرون، الثقافة الإسلامية: مفهومها مصادرها خصائصها مجالاتها، ص ٢٧.

الفصل الأول:

الهوية الخلقية في الإسلام

المبحث الأول: مفهوم الهوية وماهيتها الخُلُقِيَّة في الإسلام

أولاً: الهوية الخُلُقِيَّة في ضوء القرآن الكريم والسُّنَّة النبويَّة المطهَّرة

بما أنَّ الهوية الخُلُقِيَّة هي ذات الفرد، من جهة ما يحمله وما يتفرَّد به عن غيره من مُثُل، وقيم، ومبادئ خُلُقِيَّة تمثِّل معتقداته وتصوِّراته عن ذاته، مثل: الحقِّ، والواجب، والكرامة، والاحترام.. وبذلك تمثِّل الهوية الخُلُقِيَّة بطاقة معرفيَّة تعكس الصورة التي يحملها الفرد عن شخصيَّته وما ينبغي عليه القيام به، لذلك علينا أن نبحث عن أبرز صفات تلك الهوية في القرآن الكريم.

إنَّ الهُوِيَّةَ الْخُلُقِيَّةَ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْمَطَهَّرَةِ هِيَ مَوْضُوعٌ مُهِمٌّ يَعْكُسُ التَّفَاعُلَ بَيْنَ الدِّينِ وَالْمَجْتَمَعِ فِي تَحْدِيدِ الْخُلُقِيَّاتِ وَالْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ؛ إِذْ تُعَدُّ الْأَخْلَاقُ جُزْءًا أَسَاسِيًّا مِنْ بِنَاءِ الْهُوِيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ وَالْجَمَاعِيَّةِ لِلْمُسْلِمِينَ.

إنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَشَدِّدُ عَلَى أَهْمِيَّةِ الْأَخْلَاقِ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ، وَيَعِدُّهَا مِنْ الْمَقْوَمَاتِ الْأَسَاسِ لِلْإِيمَانِ، وَقَدْ بَيَّنَّ ذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ الْمُبَارَكَةِ، فَإِنَّ الْبَاحِثَ عَنِ الْهُوِيَّةِ الْخُلُقِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ سَيَجِدُ تِلْكَ الْآيَاتِ الَّتِي تَذَكِّرُ صِفَاتِ تِلْكَ الْهُوِيَّةِ.

١- الهُوِيَّةُ الْخُلُقِيَّةُ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

أ- الْعِفَّةُ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

ب- عَدَمُ الْاسْتِكْبَارِ وَلَا التَّكْبِيرِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبَرُونَ﴾ [النحل: ٤٩].

ت- التَّوَاضُعُ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا

حَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿﴾ [الفرقان: ٦٣].

ث - خفض الجناح:

قال تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:

٢١٥].

ج - عدم التعالي وعدم الفساد:

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

ح - الإعراض عن الجهل وأهله:

قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾

[الأعراف: ١٩٩].

خ - الصفح الجميل:

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

د - الصبر والمغفرة:

قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

[الشورى: ٤٣].

ذ - كظم الغيظ والعفو:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ

وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ [آل عمران: ١٣٤].
 ر- المغفرة:

قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية: ١٤].

٢- الْهُوِيَّةُ الْخُلُقِيَّةُ فِي ضَوْءِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْمَطْهَرَةِ:

أما في السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، نجد أن النبي محمد ﷺ كان نموذجاً حياً للأخلاق الإلهية والإسلامية الفاضلة، وقد بين ذلك في عدد من أحاديثه وكلماته المباركة؛ إذ قد بين من خلال تلك الأحاديث صفات الهوية الخُلُقِيَّةِ الإسلاميَّةِ.

أ- أفضل الأشياء يوم القيامة:

قال رسول الله ﷺ: «ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حُسن الخلق»^(١).

ب- أجرها عظيم:

قال رسول الله ﷺ: «إن صاحب الخلق الحسن له مثل أجر الصائم القائم»^(٢).

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٨١، ح ١.

٢ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٨٢، ح ٥.

ت - مفتاح الجنة:

قال رسول الله ﷺ: «أكثر ما تلج به أمتي الجنة تقوى الله وحُسن الخُلُق»^(١).

ث - أفضل الأيمان:

قال رسول الله ﷺ: «أفضلكم إيماناً أحسنكم أخلاقاً»^(٢).

ج - إثبات للمودة:

قال رسول الله ﷺ: «حُسن الخُلُق يثبت المودَّة»^(٣).

ح - صاحب الخُلُق الحَسَن هو أحسن الناس:

قال رسول الله ﷺ: «خياركم أحسنكم أخلاقاً، الذين يَأْلِفون ويؤْلَفون»^(٤).

خ - نصف الدين:

قال رسول الله ﷺ: «حُسن الخُلُق نصف الدِّين»^(٥).

د - أفضل الخصال في الدنيا والآخرة:

قال رسول الله ﷺ: «لا يلقى الله عبداً بمثل خصلتين؛ طول الصمت،

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٢٤٢، ح ٢.

٢ - ابن شعبة الحراني: تحف العقول، ج ١، ص ٣٧.

٣ - ابن شعبة الحراني: تحف العقول، ج ١، ص ٣٨.

٤ - ابن شعبة الحراني: تحف العقول، ج ١، ص ٣٨.

٥ - الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ١٥٤، ح ٢٧.

وحُسن الخلق»^(١).

ذ- أوسع الأشياء:

قال رسول الله ﷺ: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم»^(٢).

ر- أول ما يوضع في الميزان:

قال رسول الله ﷺ: «أول ما يوضع في ميزان العبد يوم القيامة حُسن خلقه»^(٣).

إنَّ الهويّة الخلقية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة واضحة الملامح من خلال الآيات القرآنية التي بيّنتها، والأحاديث النبوية المباركة التي وضّحتها، ومن يريد التعرف على الهويّة الخلقية للفرد المسلم، فما عليه إلا الرجوع إلى القرآن الكريم، وإلى أحاديث النبي محمد ﷺ، يضاف لها أحاديث الأئمة المعصومين (عليهم السلام).

فالهويّة الخلقية ما بين القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة، واضحة وبيّنة؛ إذ من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية، يجري تحديد معالم الهويّة الخلقية في الإسلام التي تركز على عدّة قيم أساس، مثل: الرحمة،

١ - حسين النوري: مستدرك الوسائل، ج ٨، ص ٤٤٧، ح ٢٢.

٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٣٨٣، ح ١٩.

٣ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٣٨٣، ح ٢٠.

والإحسان، والصدق، والأمانة، والشجاعة، والعدالة، وغير ذلك. هذه القيم لا تقتصر على الحياة الفردية فقط بل تشمل أيضاً العلاقات الاجتماعية أو المجتمعية، ما يسهم في بناء مجتمع إسلامي قويم. أمّا الفهم العملي للهوية الخلقية، فالهوية الخلقية في الإسلام تدعو إلى تحقيق التوازن بين الحياة الروحية والاجتماعية، ما ينعكس على سلوك الفرد المسلم تجاه نفسه وتجاه الآخرين على حدٍ سواء. فمن خلال التقوى والصدق والإحسان - على سبيل المثال - يستطيع المسلم أن يحقق التوافق ما بين هويته الدينية وهويته الاجتماعية، ما يعزّز من دوره بصفته فرداً في بناء مجتمع يتسم بالعدل، والسلام، والتعاون. أما بشأن أثر الهوية الخلقية في المجتمع، فإنّ بناء هوية خلقية قائمة على قيم القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة؛ يسهم في تشكيل مجتمع تسوده الفضائل من: المحبة، والتراحم، والتعاون. فالهوية الخلقية السليمة تقود إلى خلق بيئة آمنة ومستقرة، يكون الأفراد فيها متعاونين ومهتمين بالآخرين، يعكس ذلك تعاليم الدين الإسلامي التي تدعو إلى العدل والمساواة.

إنّ الهوية الخلقية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة؛ هي أساس لتكوين شخصية المسلم الحقيقية، وتحديد علاقاته مع الله - سبحانه وتعالى - ومع الناس، وذلك من خلال التمسك بالأخلاق

الحميدة التي جاء بها القرآن الكريم وأوضحها النبي محمد ﷺ، حينها يمكن للمسلم أن يسهم في بناء مجتمع قائم على العدل والمساواة، ويسهم في نشر السلام في مجتمعه ومحيطه.

ثانيًا: دور القيم الخُلُقِيَّة في تشكيل شخصيَّة الفرد المسلم

إنَّ القيم الخُلُقِيَّة تلعب دورًا أساسًا في توجيه عمليَّة تطوير الذات وتشكيل شخصيَّة الفرد، فهي البوصلة التي تضمن أن يسير الفرد في مسار ينسجم مع المبادئ الإنسانيَّة والإسلاميَّة، والالتزام بالقيم الحقيقيَّة البناء، مثل: الصدق، والعدل، والأمانة، ما يضيف على عمليَّة تشكيل الذات مصداقيَّة وأصالة؛ حيث يصبح الفرد قادرًا على تحسين سلوكيَّاته دون الإضرار بغيره أو الاعتداء على حقوقهم، فالقيم الخُلُقِيَّة تمنح الفرد إطارًا خُلُقِيًّا يساعده على التقدُّم بطرق واضحة ومسؤولة، ما يضمن له نجاحًا دائمًا واحترامًا. لذا، فإنَّ الأخلاق والقيم ليست فقط عوامل مساعدة في تشكيل الذات وبنائها بل هي جزء لا يتجزأ من العمليَّة نفسها التي تقوم على أسس من تحقيق التوازن، ما بين الطموح الفردي والمسؤوليَّة المجتمعيَّة.

إنَّ دور القيم الخُلُقِيَّة في تشكيل الذات وبنائها لا يمكن التقليل من

أهميته؛ إذ إنها تشكّل الأساس الذي يُبنى عليه السلوك الإيجابي للشخص، فالقيم الخُلقيّة تعمل باعتبارها موجّهًا داخليًا للسلوك الإنساني؛ حيث تزوّد الفرد بالدوافع كي يتصرّف بشكلٍ إيجابي ومفيد ونافع وبنّاء، فمثلاً إنّ الالتزام بقيمة الاحترام يعزّز من قدرة الفرد على التفاعل مع الآخرين بشكلٍ صحي ومثمر، كما يخلق بيئة من التفاهم والتعاون في مختلف جوانب الحياة، سواءً على الصعيد الشخصي أم المهني، أم باقي الصُعد الأخرى.

إنّ القيم الخُلقيّة لا تؤثر على طريقة تعامل الفرد مع الآخرين فقط بل تلعب دورًا محوريًا في تعزيز الثقة بالنفس، فمن يلتزم بالقيم الحميدة والحسنة والصالحة سيشعر بالراحة الداخليّة والسكينة؛ لأنّه سيدرك بأنّ أفعاله وسلوكه متوافقة - تمامًا - مع المبادئ والقيم الخُلقيّة الصحيحة، وهذا ما يعزّز من احترامه لذاته، ويجعله أكثر قدرة على مواجهة الصعوبات بثبات وإيجابية، ويسهم في بناء شخصيته بصفته فردًا مهمًّا في المجتمع. أمّا على صعيد تشكيل الفرد وبنائه سلوكيًا، فإنّ الالتزام بالقيم الخُلقيّة يلعب دورًا أساسًا في تحديد الأولويّات، والسعي نحو الأهداف بطريقة منظّمة ومشروعة، فالإنسان الذي يتبنّى القيم في حياته اليوميّة يتمكّن من تحقيق النجاح بطرق خُلقيّة، ما يمنحه شعورًا بالفخر والرضا عن ذاته، فالقيم الخُلقيّة لا تضمن تحقيق الأهداف فقط بل هي تضيف - أيضًا -

معنى وقيمة لذلك النجاح؛ حيث يشعر الفرد بأنه يسير في ما ينسجم مع المبادئ الإنسانية والإسلامية الرفيعة.

كما أن القيم ليست مجرد أطر نظرية بل هي عناصر عملية تؤثر بشكل مباشر على تشكيل الذات، فهي تمثل الركيزة التي تقوم عليها عملية النمو الشخصي؛ حيث تضمن أن يكون هذا النمو متوازناً ومستداماً، ومنسجماً ومناسباً مع متطلبات الحياة والمبادئ الإنسانية.

إنّ القيم الخُلُقِيَّةُ الأساس تؤدّي دوراً محورياً في تشكيل الذات وبنائها، وبناء الشخصية الإسلامية؛ إذ إنّها تعدّ من الركائز التي يقوم عليها نمو الفرد، وتفاعله الإيجابي مع المجتمع من خلال قيم خُلُقِيَّة، كالإيمان، والتقوى، والصدق، والأمانة، والعدل، والحياء، والاستقامة، والعمل الصالح، وغير ذلك. فهذه القيم الخُلُقِيَّةُ تعدّ من أسس النجاح في الحياة، فالصدق - على سبيل المثال - لا يقتصر على الأمانة في القول فقط بل يتعدّى ذلك ليشمل النوايا مضافاً للأفعال، وهذا ما يجعل الفرد موضع ثقة واحترام من قبل الآخرين، فالفرد الصادق يتمتّع باحترام كبير وتقدير، ما يعزّز مكانته في المجتمع، وكذلك الأمانة، فإنّها تأتي في مرتبة لا تقلّ أهميّة عن الصدق، فهي تجعل الفرد موثقاً في مجتمعه، وممن يتمتّع بشفافية ووضوح في كلّ شيء، فهي تضيف إلى الفرد صفة خُلُقِيَّة محبوبة، وتجعل منه فرداً قادراً على بناء علاقات قوية ودائمة مع الآخرين،

فالفرد الصادق والأمين ينظر إليه بصفته قدوة سالحة.
إنَّ من ملازمات الصدق والأمانة هو الوفاء بالعهد، فإنَّه قد اعتبر العلماء الوفاء بالعهد واجباً شرعياً في الإسلام على جميع المسلمين في مختلف الأمور الفرديَّة والاجتماعيَّة، وقد جاءت نصوص كثيرة في التأكيد على ذلك^(١).

ثالثاً: مكانة الأخلاق في الإسلام

إنَّ الأخلاق والقيم الخُلقيَّة - في الإسلام - ليست مجرد توجيهات دينيَّة منفصلة عن حياة الأفراد بل هي جوهر عبادتهم، وأساس بناء شخصيَّتهم الإسلاميَّة؛ كون الإسلام يولي الأخلاق أهميَّة كبيرة، ويعتبرها جزءاً لا يتجزأ من الإيمان ومن التقوى التي لا بدَّ أن يتَّصف بها الفرد المسلم.
إنَّ مكانة الأخلاق في الإسلام شغلت حيِّزاً كبيراً من اهتمام العلماء والمفكرين والمختصين، فإنَّ الإنسان - من حيث كونه إنساناً - لا يستطيع أن يستغني عن الأخلاق، كما لا يستطيع أن يستغني عن مثل أعلى يرجع إليه في سلوكه، ولا عن معيار للحكم على أفعاله وأقواله، أو أفعال وأقوال الآخرين، ولقد جعل الدين الإسلامي من الأخلاق قاعدة مُهمَّة لسلوك

الفرد المتديّن، وأفعاله وتصرفاته.

إنَّ مصدر الأخلاق الأوّل في الإسلام هو القرآن الكريم، كلام الله سبحانه وتعالى، فهو -تعالى- ومن خلال الآيات القرآنيّة المباركة، يبيّن للفرد المسلم تلك القيم والأخلاق، ويوضّحها له، ويحثّه عليها من دون إجبار ولا إكراه. إنَّ الأخلاق تمثّل ركنًا مهمًّا من أركان الدين الإسلامي، ومن خلالها يُعرف حسن الأخلاق من قبحها، فالدين هو الذي يربّي في الإنسان الضمير الحي الذي على أساسه يرتفع البناء الخُلُقِي للفرد في المجتمع. فكمال الإيمان أو نقصانه إنّما يكون على قدر التمسك بالأخلاق الحسنة، وكذلك مقدار تقوى الإنسان وورعه، فإنَّ الأخلاق هي مقياسها الحقيقي. واتباع ما جاء به الأنبياء عليهم السلام يجعل الإنسان في كنف الله -سبحانه وتعالى- وطاعته، فإنَّ من أهمّ موارد الاتباع هو اتباع النبي الأكرم محمد صلّى الله عليه وآله، بما جاء به من شريعة خاتمة، فيها خير البشريّة جمعاء. فحُسن الخُلُق يرفع درجات العبد عند الله سبحانه وتعالى، وإن كان لا يبلغ أعمال العابدين في الطاعات والعبادات. قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إن العبد ليبلغ بحُسن خُلُقهِ عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل، وإنّه لضعيف العبادة، وإنّه ليبلغ بسوء خُلُقهِ أسفل درجة في جهنّم»^(١).

الفصل الأول - المَبَحْثُ الأول ٣١

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «إِنَّ الله تبارك وتعالى ليعطي العبد من الثواب على حُسن الخُلُق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يغدو عليه ويروح»^(١).

إِنَّ الدين الإسلامي يأمر بحُسن الخُلُق من أجل أن يعمَّ السلام وتعمَّ الطمأنينة بين جميع البشر، ولكي تستقرَّ المجتمعات، ويسود السلام بين الجميع.

إِنَّ انقطاع العلاقات ما بين الناس في المجتمع سببها سوء الخُلُق، وسوء التربية، وانعدام الورع والتقوى، وضعف الإيمان، أمَّا العلاج لذلك فإنَّه يكون في عدَّة أمور منها:

- ١- تحصيل الفرد والمجتمع اقتصادياً.
- ٢- القضاء على الفقر والبطالة بكلِّ أنواعها.
- ٣- نشر التعليم ومحاربة كلِّ أنواع الجهل والتجهيل.
- ٤- توفير الأعمال المفيدة والصالحة للفرد والمجتمع.
- ٥- بناء المؤسسات التعليميّة والتربويّة الصالحة.
- ٦- غرس القيم الخُلُقيّة في الأفراد من الصغر.
- ٧- توفير البيئة المناسبة لنمو القيم الخُلُقيّة النافعة.

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج ٢، ص ١٠١، ح ١٢.

٨- تنمية الشعور بالمسؤولية.

٩- تنمية الروح المجتمعية عند الفرد.

وما شاكل ذلك من موارد مُهمَّة في سبيل البناء الخُلُقِي السليم.

المبحث الثاني : مقومات الهوية الخُلُقِيَّة للشباب المسلم

أولاً: الإيمان والتقوى أساسان مهمَّان للهوية الخُلُقِيَّة الإسلامية

إنَّ الإيمان والتقوى أساسان مهمَّان من أسس الهوية الخُلُقِيَّة الإسلامية، فهما يشكَّلان ركيزتين أساسيتين في بناء الشخصية المسلمة، وهما يمثلان مرجعيةً رئيسة للقيم الخُلُقِيَّة التي يجب أن يتحلَّى بها الفرد والمجتمع في الإسلام، وهذا مهمُّ كونه يتناول العلاقة المتكاملة بين الإيمان والتقوى في تحديد الهوية الخُلُقِيَّة للمسلم، وكيفية انعكاس هذه المفاهيم على سلوك الأفراد والمجتمعات.

١- الإيمان:

إنَّ الإيمان هو التصديق والاعتقاد القلبي بتعاليم النبي محمد ﷺ

الفصل الأول - المبحث الثاني ٣٣

والأئمة المعصومين (عليهم السلام)، والإيمان شرط ضروري في مرجع التقليد، وفي إمام الجماعة، وفي القاضي، ومستحق الزكاة، ولقد بيّنت آيات القرآن الكريم مصاديق للإيمان، كالإيمان بالله تعالى، والإيمان بالأنبياء (عليهم السلام)، والإيمان بالكتب السماوية التي أنزلها الله تعالى، والإيمان بيوم القيامة، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالغيب.

فالإيمان هو أساس الاطمئنان القلبي، وهو قابل للزيادة والنقصان، وهو ليس محلّ إجبار مطلقاً، علماً أنّ الإسلام أعمّ من الإيمان، فكلّ مؤمن مسلم، وليس كلّ مسلم هو مؤمن بالضرورة.

والإيمان يعدّ أساساً مهمّاً للهوية الخلقية الإسلامية، فمن المفروض أن يكون المسلم مؤمناً، ويتميّز بالإيمان على باقي الأفراد ممّن يدينون بأديان وضعيّة أو محرّفة، أو ممّن يذهبون مذاهب بشريّة شتى.

إنّ الهوية الخلقية الإسلامية تتحدّد بجملة أمور من أهمّها الإيمان، فهو الهوية المميزة للإنسان المسلم، وهو المائز له عن غيره ممن لا إيمان عنده.

والإيمان في الإسلام يعني الاعتقاد الجازم والمطمئن بوجود الله سبحانه وتعالى، وبالأنبياء (عليهم السلام)، والكتب السماوية، واليوم الآخر - كما بيّنا مسبقاً - وهذا الاعتقاد ليس موجوداً في العقل فقط، ولكنه موجودٌ في القلب أيضاً، فهذا ما يخلق علاقة وثيقة بين الفرد ومولاه.

لو فَتَشْنَا قِرَائِيًّا فَإِنَّا سَنَجِدُ أَنَّ الإِيمَانَ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ مُرْتَبِطٌ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا بِالأَخْلَاقِ، فَقَدْ وَرَدَ فِي عِدَدٍ مِنَ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ أَنَّ مَن آمَنَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَبِالأخْرَةِ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَتَحَلَّى بِالصِّفَاتِ الخُلُقِيَّةِ النَّبِيلَةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا ذُكِرَتْهُمُ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الكُفْرَ عَلَىٰ الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضَلًّا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٨٧].

إِنَّ الإِيمَانَ يَدْفَعُ المُسْلِمَ إِلَى التَّحَلِّيِ بِكُلِّ مَا هُوَ خَيْرٌ، وَيَتَخَلَّى عَنِ كُلِّ مَا هُوَ شَرٌّ، فَيَحْفَظُ لِسَانَهُ عَنِ قَوْلِ الزُّورِ، وَيَصُونُ عَيْنَيْهِ عَنِ المَحْرَمَاتِ، وَيَشْجَعُ عَلَى التَّرَاحُمِ وَالتَّعَاوُنِ، وَيَحْتَضِرُ عَلَى الإِحْسَانِ إِلَى الآخَرِينَ.

٢- التَّقْوَى:

إِنَّ التَّقْوَى قُوَّةٌ مَوْجُودَةٌ فِي النَفْسِ البَشَرِيَّةِ، تَمْنَحُ صَاحِبَهَا مَنَاعَةَ رُوحِيَّةً وَمَعْنَوِيَّةً؛ حَيْثُ إِنَّهُ لَوْ كَانَ فِي بَيْتَةٍ سَيِّئَةٍ تَمَارَسُ الذُّنُوبَ وَالأثَامَ، فَإِنَّ

تلك القوّة النفسية ستحفظه، وذلك ما أكّدت عليه آيات القرآن الكريم،
وأحاديث النبي ﷺ، وروايات الأئمة المعصومين عليهم السلام.

أ- آثار التقوى:

فمن آثار التقوى على الفرد المسلم هو مغفرة الذنوب، وقَبول الأعمال،
والقدرة على تمييز الحقّ من الباطل، والرزق الحلال، والنجاة من الهموم
والصعوبات، وعلوّ الدرجة، ورفعَة المنزلة، كما ولها آثار مُهمّة أخرى،
منها:

- تمييز الحقّ من الباطل.
- قَبول الأعمال عند الله تعالى.
- الاستفادة من التعاليم الإلهية.
- النجاة من المصاعب.
- الاستفادة من الهداية القرآنية.
- مغفرة الذنوب.
- الوصول إلى الإخلاص والخلاص.
- بلوغ المكانة الرفيعة.
- إصلاح القلب والجوارح.
- اجتناب الوقوع في الشبهات.
- التطهر من الذنوب.

■ الرزق الحلال.

■ دخول الجنة.

ب-مراتب التقوى:

ذكرت التقوى في القرآن الكريم بقدر الإيمان، والعمل الصالح،
والصلاة، والزكاة، وهي لها مراتب كثيرة، منها:

■ تقوى اللسان التي تكون في موارد صدق الكلام.

■ ضبط اللسان عن الفحش في القول.

■ ترك الكلام في غير المفيد.

■ تقوى العين بغض البصر عن الحرام.

■ تقوى السمع بصرف الأذن عن الاستماع إلى ما حرم الله تعالى،

والاستماع إلى الأشياء والعلوم النافعة.

■ تقوى القلب كون التقوى أمراً روحياً وباطنياً يتعلّق بالنفس

البشريّة، فتقوى القلب يلزم منها خلوّ القلب من الشك،

والشرك، والكفر، والنفاق.

إنّ الإيمان والتقوى أساسان مهمّان من أسس تحديد الهويّة الخُلُقِيَّةِ

الإسلاميّة الحقيقيّة والأصيلة، ومن دونهما لا يمكن اعتبار الفرد مسلماً

بل ولا يتمتّع بأيّ خصلة خُلُقِيَّةِ حسنة، وسيكون فرداً أقرب إلى الحيوانات

منه إلى بني البشر.

التقوى في الإسلام تعني اتخاذ سبل العناية بالحقوق والواجبات تجاه الله سبحانه وتعالى، والعمل على الابتعاد عن المعاصي، والتمسك بما يرضي الله سبحانه وتعالى، فهي تعني أن يكون الفرد دائماً في مراقبة لنفسه أمام الله - سبحانه وتعالى - في سلوكياته وأفعاله كلها.

ت- ملامح التقوى في القرآن الكريم:

ففي القرآن الكريم، جاء تبين ملامح التقوى وبشكل واضح:

قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾

[البقرة: ١٩٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ قُرْبَ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ

إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾

[الأحزاب: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأَمُّكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

إنَّ التقوى هي الأساس الذي يحفظ الإنسان من الانزلاق إلى المعاصي والفواحش، وتعدّ الدافع الذي يوجّه المسلم للتصرف بشكل خُلُقِي، فإذا كان الفرد تقياً، فإنه يلتزم بالقيم القرآنيّة والقيم الموجودة في السُنّة النبويّة المباركة في جميع شؤونه.

فالإيمان والتقوى يشكّلان معاً أساساً قوياً للهويّة الخُلُقِيّة في الإسلام،

فالإيمان يعزّز الاعتقاد الصادق في الله - سبحانه وتعالى - وباتباع رسوله ﷺ، بينما التقوى تمثل السلوك العملي الذي يترجم هذا الإيمان إلى أفعال وتصرفات من أخلاق وقيم وسلوك.

فالتقوى تعني أنّ الإيمان ليس فقط محصوراً في الشعور الداخلي، بل يتحقّق تجسيده في حياة المسلم اليوميّة، لذلك فإنّ الهُوِيَّةُ الخُلُقِيَّةُ الإسلاميّة تتأسّس على هذين الركيزتين اللتين تدعمان سلوك المسلم في جميع جوانب حياته.

أما عن انعكاسات الإيمان والتقوى على الهُوِيَّةُ الخُلُقِيَّةُ، فإنّ الإيمان يعزّز من وعي المسلم بعلاقته بالله سبحانه وتعالى، ما يوجّهه للتمسك بالقيم النبيلة، وبذلك يتحلّى المسلم بالصفات الخُلُقِيَّةُ الحميدة، ك: الأمانة، والصدق، والعدالة، والرحمة، والتقوى، والتي ستؤدّي إلى تعزيز صفات أخرى ك: الصبر، والتحمّل، والإيثار، والعطاء، ما سيعزّز الهُوِيَّةُ الخُلُقِيَّةُ في إطار القيم الإنسانيّة العالية، فالمسلم الذي يتحلّى بالإيمان والتقوى يصبح مثلاً خُلُقِيّاً يحتذى به في مجتمعه من خلال سلوكه اليومي، ما سيسهم في بناء مجتمع قوي قائم على التعاون والتراحم، بفضل خصلتي الإيمان والتقوى.

فالمسلم الذي يؤمن ويعيش بتقوى، يتّسم سلوكه بالصدق في التعامل مع الناس، كما يتجنّب الغشّ والظلم، ففي التعامل مع الآخرين، يظهر

المسلم تقواه من خلال الإحسان إليهم والوفاء بعهوده وموآثيقه، وفي مواجهة المواقف الصعبة يبقى المسلم ثابتاً على قيم الإيمان والتقوى، ما سيعكس قوته الداخلية وتوازنه النفسي على مصاعب الحياة. الإيمان والتقوى ركنان أساسان في بناء الهوية الخلقية الإسلامية، فالإيمان هو أساس التصور الديني الذي يوجّه السلوك، بينما تمثل التقوى التطبيق العملي لهذا الإيمان في الحياة اليومية، وذلك من خلال التمسك بحقيقة الإيمان وحقيقة التقوى، وبذلك سيمتلك المسلم أخلاقاً نبيلة تعزز من سلوكياته، ومن قوته، وبالتالي من قوة المجتمع الإسلامي كله. لذا، فإنّ من المهمّ الاهتمام بالإيمان والتقوى بوصفهما ركيزتين خُلقيّتين مُهمّتين، لهما دور كبير في بناء الفرد، ومن ثمّ بناء المجتمع بالشكل الصحيح، أي بالشكل الذي يُحصّن المجتمع من جميع الأمراض الخُلقيّة التي تتزايد يوماً بعد يوم في عالمنا.

ثانياً: الصدق والأمانة والعدل والحياء قيم أساس في الهوية الخلقية الإسلامية

١- الصدق:

إنّ الصدق من أفضل الفضائل وأحسنها وأقومها، وعليه صلاح الفرد والمجتمع، لذلك قيل: إن كان الكذب هو الإخبار عن الأشياء على

خلاف ما هي عليه، فإنّ الصدق هو ضده^(١). فالصدق هو مطابقة القول للواقع الذي هو عليه، وهو أشرف الصفات، ورئيس الفضائل، وما ورد - شرعاً - في مدحه وعظيم فائدته كثير في الآيات والروايات.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق؛ فإنه بابٌ من أبواب الجنة»^(٢). وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): «الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرّك على الكذب حيث ينفعك»^(٣).

١ - محمد مهدي النراقي: جامع السعادات، ص ٣٦٠.

٢ - محمد الريشهري: منتخب ميزان الحكمة، ص ٢٨٩.

٣ - الشريف الرضي: نهج البلاغة، ص ٤٥٨، ح ٤٧.

الفصل الأول - المبحث الثاني ٤١

إنّ من ضرورات الحياة الاجتماعيّة ومقوماتها الأصيلة شيوع التفاهم والتآزر بين أفراد المجتمع الواحد، ليتمكّنوا من النهوض بأعباء الحياة، وتحقيق غاياتها وأهدافها، لينعموا بحياة هانئة وكريمة، ملؤها المودّة والسلام، وهذا لا يتحقّق إلاّ بالتفاهم والتعاون الوثيق وتبادل الثقة والائتمان بين الأفراد، ومن البديهيّ أنّ اللسان هو أحد أهمّ أدوات التفاهم والتواصل بين البشر، والترجمان العمليّ لأفكارهم وما يدور في خلدهم، فهو يلعب دوراً خطيراً في حياة المجتمع والأفراد، وعلى صدق اللسان وكذبه تبنى سعادة المجتمع وشقاؤه، فإن كان اللسان صادق القول، وأميناً في الشّهادة والنقل، كان عاملاً مهمّاً في إرساء السّلام في المجتمع، وزيادة أواصر التفاهم والتعاقد بين أفراد، وكان رائد خير ورسول محبة بين البشر، وأمّا إن كان متّصفاً بالخداع والتزوير، والخيانة والكذب، غدا رائد شرّ، ومدعاة للتباغض بين أفراد المجتمع، وسبباً لخرابه وفساده، لذا كان الصّدق من ضرورات الحياة الاجتماعيّة والفردية لما له من انعكاسات مباشرة على كلّ منها، فهو نظام عقد المجتمع السعيد والمسالمة، ودليل استقامة أفراد والمؤكّد على صحّة وقوّة إيمانهم، لذا كان التأكيد والحثّ شديدين في الآيات والروايات؛ لأنّه باختصار العمود الفقريّ لمجتمع معافى وسليم من الأحقاد والتنازع.

ومن الصّدق أن يكون الفرد صادقاً في القول، الصّدق في القول هو

الإخبار عن الأشياء على ما هي عليه، وهو يستوجب على المؤمن أن يحفظ لسانه فلا يتكلم إلا بصدق ولا ينطق إلا بحق، فأحسن الكلام ما صدق فيه قائله، وانتفع به سامعه.

٢- الأمانة:

إنَّ الأمانة من أهمِّ الفضائل الخُلُقِيَّةِ والقيم الإسلامية والإنسانية التي وردت كثيراً في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وقد أولاهها علماء الأخلاق أهمية كبيرة على مستوى بناء الذات والشخصية، وعلى العكس من ذلك، الخيانة التي تعدّ من الذنوب الكبيرة والرذائل الخُلُقِيَّةِ في واقع الإنسان وسلوكه الاجتماعي. والأمانة هي في الحقيقة رأس مال المجتمع الإنساني، والسبب في شدِّ أواخر المجتمع وتقوية الروابط بين الناس في نظامهم الاجتماعي وحياتهم الدنيوية والأخروية، ولهذا شدّد أهل البيت (عليهم السلام) عليها كثيراً.

إن للإمام زين العابدين (عليه السلام) في هذا المجال تعبيراً عجيباً؛ حيث يقول لشيعته: «عَلَيْكُمْ بِأَدَاءِ الأمانةِ، فَوَ الَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ نَبِيًّا، لَوْ أَنَّ قَاتِلَ أَبِي الحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ (عليه السلام) ائْتَمَنَنِي عَلَى السَّيْفِ الَّذِي قَتَلَهُ بِهِ لِأَدِيَّتِهِ إِلَيْهِ»^(١).

١ - محمد بن علي القمي الصدوق: الأمالي، المجلس الثالث والأربعون، ح ٦/٣٧٤.

إنَّ الأمانة من الصفات التي تربط الإنسان من جهة بالله تعالى، وكذلك تربطه مع غيره من أفراد البشر، ومن جهة ثالثة ترسم علاقته مع نفسه أيضاً، ومع الطبيعة والبيئة، بل إنَّ جميع النعم الماديَّة والمواهب المعنويَّة الإلهيَّة على الإنسان في بدنه ونفسه هي في الحقيقة أمانات بيد الإنسان. في حين أنَّ الخيانة بمثابة النار المحرقة التي تحرق جميع العلاقات الاجتماعيَّة وتؤدِّي إلى الفوضى والفقر والشقاء، وبالتالي تخريب الأطر الإنسانيَّة والحضاريَّة في المجتمعات البشريَّة.

رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا بِصَدَقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ»^(١).
 إنَّ هذا التعبير يوضِّح أنَّ جميع الأديان السماويَّة قد جعلت الصدق والأمانة جزءاً مهمَّاً من تعليماتها الدينيَّة والإنسانيَّة ومن الأصول الثابتة في الأديان الإلهيَّة.

وقد ورد ذكرت الأمانة في القرآن بالنسبة إلى سِتَّة من الأنبياء الكبار بعبارة: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٠٧]. وهم: النبي نوح عليه السلام في [الشعراء: ١٠٧]، والنبي هود عليه السلام [الشعراء: ١٢٥]، والنبي صالح عليه السلام [الشعراء: ١٤٣]، والنبي لوط عليه السلام [الشعراء: ١٦٢]، والنبي شعيب

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج ٢، ص ١٠٤، ح ١.

[الشعراء: ١٧٨]، والنبي موسى [الدخان: ١٨]، وهذا يدلّ دلالة واضحة على أهميّة هذه الفضيلة الخُلُقِيَّةِ إلى جانب مهمّة إبلاغ الرسالة الإلهيّة، ودون ذلك لا يمكن لهؤلاء الأنبياء من كسب ثقة الناس واعتمادهم على أقوالهم.

إنّ ما ورد من الأحاديث الشريفة عن النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأئمّة المعصومين عليهم السلام يحكي عن الأهميّة البالغة لهذه المسألة؛ حيث وردت الأمانة تارة بعنوان أنّها من الأصول والمبادئ الأساس المشتركة بين جميع الأديان السماويّة، وتارة أخرى بعنوان أنّها علامة للإيمان، وثالثة بعنوان أنّها سبب نيل الرزق، والثروة، والثقة، والاعتماد لدى الناس، وسلامة الدين والدنيا، والغنى، وعدم الفقر، وأمثال ذلك.

ففي حديث عن النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «لا إيمانَ لِمَنْ لا أمانةَ لَهُ»^(١). كما ورد عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعبير شديد في ذلك؛ حيث قال: «لا تَنْظُرُوا إلى كَثْرَةِ صَلَاتِهِمْ وَصَوْمِهِمْ وَكَثْرَةِ حَجِّهِ وَالْمَعْرُوفِ وَطَنَطَنَتِهِمْ بِاللَّيْلِ، وَلَكِنْ أَنْظُرُوا إلى صِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ»^(٢).

الهدف من هذا التعبير ليس هو أنّ هؤلاء لا يهتمّون بصلاتهم وصومهم أو يستخفّون بحجّتهم وإنفاقهم، بل الهدف هو أنّ هذه الأمور ليست هي

١ - ضياء الدين الراوندي: النوادر، ص ٩١.

٢ - محمد بن علي القمي الصدوق: الأمالي، ص ٣٧٩، المجلس الخمسون، ح ٦/٤٨١.

العلامة الوحيدة لإيمان الفرد بل هناك ركنان أساسان لدين الشخص، أي الصدق والأمانة.

٣- العدل:

إنَّ للعدل عدّة معانٍ في اللغة العربيّة، منها: ضدّ الظلم، والمثل، والمساواة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

فالعدل - الذي هو العدالة - قيمة خُلُقِيَّةٌ أساس، فالعدل يضمن التوازن في التعامل مع الآخرين، وبه يظهر احترام الفرد لحقوق غيره، مع سعيه لتحقيق المساواة مع الإنصاف، والفرد العادل يمتلك شخصيّة متوازنة، شخصيّة قادرة على اتخاذ القرارات الحكيمة، التي تراعي مصالح الجميع، فالعدل قيمة خُلُقِيَّةٌ مهمّة لبناء مجتمع قائم على الثقة، والتفاهم، والتطور، والتقدم، كما تعزز من فرص النموّ باستقامة واحترام متبادل.

لقد حظي كلّ من مفهوم العدالة والمساواة بالأهميّة البالغة عند المجتمعات البشريّة كافّة، سواء أكان ذلك في تأريخها أم حاضرها، وستعنى بهما الأجيال القادمة قطعاً؛ وذلك لأهميّتهما، كونهما يعبران عن

الكرامة الإنسانية، والحرية، والأمان، والاستقرار النفسي والمجتمعي .
 إنَّ العدل في اللغة هو ضدُّ الجور، وهو في الحُكم أن يُثاب المرء على
 الحسنة بالحسنة، وعلى السيئة بالسيئة، وهو التسوية بين الشئيين أيضاً .
 أما العدل في الاصطلاح فهو استخدام الأمور في مواضعها وأوقاتها
 الصحيحة من دون تقديم أو تأخير .

ومفهوم العدل يعبر عن الإنصاف، كما يُعبر عن معاملة الناس
 بشكل متساوٍ، وعدم الانحياز لفئةٍ معينة، أو تعريضهم للظلم أو
 التعامل معهم بعنصريَّة، وذلك من خلال سن القوانين الاجتماعيَّة،
 والسياسيَّة، والجنائيَّة، والتي من شأنها تحقيق الإنصاف بين أفراد
 المجتمع في مختلف المجالات الصحيَّة، والتعليميَّة، وحتى في
 مجال الأعمال، بصرف النظر عن أجناسهم وأعراقهم، كما يتجلى
 دور هذه القوانين في منح أفراد المجتمع الفرص المتساويَّة في الحياة،
 مضافاً إلى حمايتهم في مختلف المجالات الاجتماعيَّة، والسياسيَّة،
 والاقتصاديَّة .

إنَّ الشريعة الإسلاميَّة وضعت مبادئ العدالة والمساواة والحرية في
 خط واحد يكمل أحدهم الآخر؛ لأنَّ هذه المبادئ هي التي تعبر حقيقة
 عن كرامة الإنسان، فهي التي تنشدها حقوق الإنسان في الدساتير الدوليَّة،
 فالمجتمع الذي لا مساواة فيه لا حرية فيه ولا عدل ولا سلام، وسيكون

مجتمعاً عنوانه الظلم والطغيان، وسيطرة القوي على الضعيف، والغني على الفقير.

يتجسّد الأصل العام في البشر جميعاً في حكمة الله - سبحانه وتعالى - الذي خلق جميع البشر متساوين في أصل الخلقة، أي في الإنسانيّة؛ فكل الناس لآدم، وآدم خلُق من تراب، لا فرق بين أبيض وأسود وأحمر، ولا طويل ولا قصير، ولا عربي ولا عجمي.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: ٢٢].

إنّ أهمّ ركيزة حضاريّة في البناء والتنمية، وأعظم أساس تقام عليه الدول والنظم هي العدالة التي جاء الإسلام حاملاً لوائها، ومقيماً لمعالها إقامة لافته من بين التشريعات التي نظّم بها شؤون الحياة، وقد ارتبطت العدالة في منظور الإسلام بمفاهيم عدّة، ويمكن تناول كلّ مفهوم من مفاهيم العدالة التي جاء بها الإسلام بشكل مستقلّ ومنفصل عن الإسلام، مثل: الحقوق، والحُرّيّات، والنظم، والأحكام التشريعيّة والفقهية التي نظّر لها علماء الإسلام في مجالاتهم المختلفة، لكن الرابطة بين تلك المفاهيم جميعاً هو العدل والذي تجلّى في نظام تشريعي محكم، يراعي التدرّج والواقعيّة بين متطلّبات التنفيذ ومقتضيات الحكم.

٤- الحياء:

إنَّ الحياءَ هو صفةٌ خُلُقِيَّةٌ يراد منها الاحتشام، والانقباض عن القبيح، والانزجار عن كلِّ ما يخالف الأدب، فهو رأس المكارم، وله آثار تنعكس على روح المرء، كالعفة ومحو الذنوب، وإنَّ الحياءَ يتأتَّى من الإيمان والعقل السليم.

إنَّ من أسس الحياء شيئين مُهمَّين، هما:

أ- العقل:

قال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): «العقل شجرة ثمرها الحياء والسخاء»^(١).

ب- الإيمان:

قال الإمام الباقر (عليه السلام): «الإيمان والحياء مقرونان في قرن، فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه»^(٢).

إنَّ هناك ارتباطاً وثيقاً ما بين الإيمان والحياء حتَّى صار الإيمان غير ممكن التحقق من دون الحياء، وهذا يعني أنَّ عدم وجود الحياء سينعكس على سلوكيّات الإنسان في هذه الدنيا؛ حيث يجعله بعيداً كلَّ البُعد عن سلوك الإنسان المؤمن الملتزم، وحيث إنَّ أعمال الإنسان وسلوكيّاته

١ - عبد الواحد الأمدي: غرر الحكم، ص ٢٥٦، ح ٥٤٣٨.

٢ - محمد الريشهري: ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٩٥٤، ح ٤٥٥٥.

ستنعكس في الآخرة، فإن صورة عدم الحياء ستكون في الآخرة خسران مبین، والحياء مطلوب من الإنسان بشكل عام، ولكنّه مطلوب من النساء بشكل أكيد، فعلى الإنسان أن يستحي من ارتكاب المعاصي، وعليه أن يستحي من ترك الواجبات وفعل المحرمات؛ لأنّ الذي يستحي من الله -تعالى- لا يمكن أن يعصيه وهو ينظر إليه، وكذلك الذي يستحي من النبي ﷺ لا يمكن أن يقع في المعصية وهو يعلم أنّ معصيته هذه ستعرض على النبي ﷺ، فالحياء هو الدين كلّّه، فكلّما ازداد الحياء ازداد الدين.

إذن، فإنّ الصدق، والأمانة، والعدل، والحياء، قيم أساس في تشكّل ومعرفة الهوية الخُلُقِيَّة الإسلاميَّة، ومن دون هذه الخصال لا يمكن أن تكون الشخصية إسلاميَّة، أو خُلُقِيَّة، فهذه الخصال هي بالحقيقة أسس مُهمَّة من أسس الشخصية الخُلُقِيَّة الإسلاميَّة.

إنّ الحياء من الإيمان، فإنّ كلّ أنواع السلوك المعبرة عن الإيمان وأصناف الخُلُق الإسلاميَّة - إنّ هذه كلّها - إذا التزمها الإنسان، فذلك دليل على وجود الحياء، بمقدار الالتزام، ويضعف الحياء بمقدار التكرّر لذلك السلوك، وذلك الخُلُق الإيمانى؛ لأنّ الحياء من شرائع وأسس الإسلام. الحياء مكرمة إيمانيَّة كبرى عندما يكون تجلياً إنسانياً وتعبيراً عن التصاق صاحبه برضا المحبوب، فإنّ الحياء أصل مُهمّ من أصول تحصيل المكارم وإدراك الغايات والقيام بالواجب.

والعقَّةُ أساس مهم كذلك، فهي التي فرضها الله -تعالى- في كتابه على كلا الجنسين الرجل والمرأة، حينما أمرهما بغضّ بصرهما، فهي تؤدّي إلى توثيق المودَّة والمحبة بين الزوجين من جهة، وبين أفراد المجتمع من جهة أخرى.

قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

فإنَّ التَّعَفُّفَ المتأثريَّ من العقَّة جعل صاحبه لا يمدّ يده، ولا يطلب بلسانه، فيعيش بكرامة تلبسه ثوب الغنى، فأولئك لهم سيماء، أي صفة أو صفات، لا ولن يسألوا الناس بالاحاح، فواحدهم يتكلّم مرّة واحدة، إن جرى له ذلك الطلب، وإلا سكت حياء وكرامةً، فهم لا يملكون إلا الحياء والكرامة مع الإيمان، ولن يقبلوا التفريضة فيها.

ثالثاً: الاستقامة والعمل الصالح ودورهما في بناء الهويَّة الخُلُقِيَّةِ الإسلاميَّة

١- الاستقامة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ [الأحقاف: ١٣].

إنَّ من السمات المَهْمَة المطلوب غرسها في بناء شخصيَّة الشاب المسلم هي الاستقامة، فمن الضروري أن يتحلَّى الشاب في عمله وفكره بالاستقامة، مع الابتعاد التام عن الانحراف، والابتعاد عن الانجرار إلى الإغراءات، فإذا عملنا على غرس الاستقامة في داخله سنكون قد غرسنا فيه ركناً مهمًّا من أركان بناء شخصيَّته بالشكل الصحيح، وسيجري تهيئته ليكون شخصيَّة نافعة وغير مضرة، شخصيَّة مفيدة مأمونة الجانب.

ومن ملازمات الاستقامة الثبات، فإنَّ الثبات مهمٌّ أيضاً، وهو يعضد الاستقامة، فإنَّ الاستقامة تحتاج دعماً من الثبات، مع عدم الميلان نحو الانحراف، فالثبات يمنح الشاب القدرة على الصمود في مواجهة المغريات ومصاعب الحياة والأزمات، والمجتمع أحوج ما يكون إلى شخصيَّات شبايئة تتمتع بالاستقامة والثبات معاً، علماً أنَّ الوصول إلى هذه المرحلة يحتاج إلى مقدّمات، مع رفع موانع حقيقيَّة منها: البطالة، والفراغ، والفقر؛ فإنَّ توفر الأرضيَّة السليمة مهمٌّ للوصول إلى النتائج الجيدة.

إنَّ اكتساب الاستقامة في ظلِّ واقع يعج بالمغريات والانحرافات ليس سهلاً، ولكنَّه في الوقت نفسه ليس مستحيلاً. فإذا سار الشاب في هذا الدرب بكل إخلاص وتفانٍ، فإنَّ الثبات سوف يجعله على الخط الصحيح

وملازمًا للاستقامة، وسوف تكون حصيلة الجمع بينهما مباركة وإيجابية، تجعل الشاب ثابتًا على نهجه ومبدئه؛ فالشاب الذي يتحكَّم باندفاعه سوف يكون قادرًا على المضي في ثباته. نعم، قد يكون وقوعه في الفخِّ متوقِّعًا بنسبة ما، نظرًا للبيئة التي عاش فيها والإغراءات والانحرافات وما شاكل ذلك، ولكن يبقى على العلماء والحكماء وأصحاب الرأي والسداد مساعدة الشباب على التمييز الصحيح وفق منهج تربوي يدعم به الشباب، مضافًا إلى دعمه ماديًّا ومعنويًّا وروحيًّا، وعلميًّا ومعرفيًّا، سيرًا به إلى طريق النجاة.

إنَّ مفتاح الاستقامة يبدأ من طاعة الله تعالى، وذلك بالتزام العبد بأوامر الله تعالى، والاجتناب عن كل ما نهى عنه سبحانه؛ لأنَّ الطاعة هي حصن الله الأعظم، فهي الحرز والأمان عن عقوبات الدنيا والآخرة، وإنَّ الجنوح عن هذا الخطَّ يعني إحاطة العبد بالمخاوف والمهالك من كل جانب، فإطاعة الله -تعالى- هي الحصن الحصين من المخاوف والمهالك. لذا، فإنَّ مسألة الاستقامة أساس لكلِّ الأعمال الصالحة، وركن أساس في امتثال كلِّ طاعة، واجتناب كلِّ معصية، كما أنَّها تُعدُّ أحد العوامل المهمَّة في دخول الجنَّة^(١).

إنَّ الاستقامة في ما أمر الله تعالى به، أو في ما نهى عنه، مندرجة ضمن قانون الكون الكلّي، فالكون مستقيم على أمر الله تعالى، والاستقامة هي حقيقة من حقائق الإيمان، وحقيقة من حقائق العبودية لله تعالى، والاستعانة به، وتوحيده، وتنزيهه، والطريق إلى ذلك هو الالتزام التام بأوامر سبحانه وتعالى.

إنَّ الخط المستقيم، كما يقال في الرياضيات ضمن قواعده، هو: أقرب خطّ بين نقطتين، وهذا الحال في علوم الدنيا، أما في الآخرة فالطريق المستقيم هو طريق السلوك إلى الجنّة والنعيم والخير الأبدي، فلقد حثَّ الله - سبحانه وتعالى - عباده على الاستقامة وأمرهم بها، فالمسلم يقرأ في صلاته الفاتحة المباركة، وفيها يقرأ قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

إنَّ خير موضوع يهَمُّ الشباب هو الاستقامة، ففيه خير الدنيا والآخرة، ونتيجة ذلك الجنّة، فالاستقامة هي التي تقود لذلك، والاستقامة هي أحد أبواب الخير؛ لأنّها تعدّى صاحبها لتطال كلّ من حوله.

٢- العمل الصالح:

يعدّ العمل الصالح من الركائز التي أعطاهها الإسلام أهميّة كبيرة، وذلك من خلال التوصيات التي ذكرت في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١].

وفي آية أخرى بيّنت أن العمل الصالح هو الغاية من خلق السماوات والأرض.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتِ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [هود: ٧].

وفي آية أخرى جعل الله -تعالى- العمل الصالح عدل الإيمان وثمرته.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف، ١٠٧].

إنّ الشاب المؤمن يكون سعيه الأساس هو لإرضاء الله -تعالى- وطاعته، فيقوم بامتثال جميع أوامر الله -تعالى- ويتتبعها عما نهاه الله -تعالى- عنه؛ إذ إنّ هناك أفعالاً يتقرّب بها العبد عن طريق الجوارح، ومنها ما يكون عن طريق القلب.

إذن، فما هو العمل الصالح؟

إنّ العمل الصالح هو أي فعل أو قول يرضاه الله -تعالى- من عباده الذي يقصد منه التقرب إليه جلّ شأنه، وهو ما نصّ عليه القرآن الكريم، والسنة المطهّرة عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، أو عن طريق أهل بيته الكرام المعصومين عليهم السلام.

فالعامل الصالح يجب أن يكون وفق المنهج الذي رسمه الله تعالى؛
حيث بين ذلك إلى خلقه عن طريق نبيه الكريم.

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]. وكذلك ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ
أَطَاعَ اللَّهَ ۗ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠].

وفيها قد أمر الله -تعالى- بإطاعة أوامر الرسول الأكرم صلوات الله عليه وآله، هذا من
جانب، ومن جانب آخر أن يكون العبد مخلصاً في عمله لله -تعالى- كما
نصت على ذلك آيات القرآن الكريم.

إنَّ الالتزام بالأوامر والنواهي الإلهية سوف تعود بنتائج طيبة على
الشباب المؤمن، وهو سيشعر بها، فيحيا حياة طيبة في ظلها.

إنَّ هذا وعد من الله -تعالى- بهناء العيش في الدنيا وحسن الجزاء في
الآخرة، كذلك سوف يعود عليه بمحو السيئات والوصول إلى محبة الله
سبحانه وتعالى، فهذه المحبة ستعكس على قلوب عبادة فيصبح العبد
محبوباً من قبل باقي عباده، وهذه منحة الله -تعالى- له ألقاها في قلوبهم؛
لأجل وصول عبده إلى محبته، وهو مظهر من مظاهر محبة الله -تعالى-
لعبده المؤمن المخلص، وهذا سيدخله في زمرة عباد الله المخلصين،
مضافاً إلى دخول هذا العبد المؤمن - وأخصَّ الشباب بالذكر - في حفظ
الله تعالى، ومنعه هو وذريته من السيئات، وهذه بركة إتيانه بأوامر الله

-تعالى - وإخلاصه له، ومن مَنَنِ الله -تعالى - عليه أنَّ البركة ستسري إلى ذريَّته، وكذلك سوف يكون هذا العبد المؤمن مستجاب الدعاء فيقضي الله -تعالى - حاجته ويزيده من فضله، تفضُّلاً منه وكرماً، وفيض الله -تعالى - عليه من فيوضاته؛ بأن يجعل من عمله الصالح سبباً في تفريج الكربات ودفع البليَّات .

إنَّ للعمل الصالح صوراً مختلفة، فهي لا تنحصر بصورة واحدة بل بصور عدَّة، يشترط فيها كلُّها الإخلاص لله تعالى، فمن هذه الصور وأبسطها إفشاء السلام، وذلك كما أكَّدت عليه الروايات، وكذلك الإحسان، والصبر، وقضاء حوائج الناس، والكرم، والحثُّ على الأعمال الصالحة قولاً أو فعلاً، وإمارة الأذى عن الطريق، وغير ذلك .

إنَّ من المُهمِّ أن يكون الشاب المؤمن مراقباً لعمله كما هو يراقب أمواله، حريصاً من العُجب والرياء، فالرياء إذا استمكن من العمل محقِّ الإخلاص منه وجعله هباءً منثوراً، فالمراقبة شرط مُهمٌّ لاستمرار ديمومة وقبول العمل الصالح، كما ومن المُهمِّ محاسبة النفس في اليوم والليلة على الأقلِّ مرَّة قبل النوم، فإذا كانت الأعمال صحيحة خالصة حمد الله تعالى، وإلا استغفر الله تعالى، ووعدته -تعالى - بعدم العودة إلى مثل ذلك، مع تصحيح العمل .

إذن، فإنَّ الاستقامة والعمل الصالح أمران مُهمَّان في بناء الهويَّة

الخُلقِيَّة الإسلاميَّة للفرد المسلم في مجتمعه، بل وحتى لو كان يعيش في مجتمعات أخرى.

المبحث الثالث: عوامل تعزيز الهوية الخُلقِيَّة وديمومتها

أولاً: العبادات ودورها في تعزيز الهوية الخُلقِيَّة للفرد المسلم

إنَّ مرحلة الشباب تعدُّ من أهمِّ المراحل التي يهتمُّ بها الجميع - كيانات ودول - ومن مختلف التيارات الفكرية؛ حيث يتسابق الكلُّ إلى الفوز بها؛ وذلك لأنَّ عليها المَعوَّل والمآل؛ حيث إنَّ هذه الفترة هي القاعدة الأساس للبناء الروحي والنفسي، وإنَّ أي خلل في هذه المرحلة يؤثِّر على القادم كامل البناء، والحذر كلَّ الحذر من الفراغ ومن تداعياته المدمِّرة.

إنَّ الشباب كالأرض الخالية التي يمكن أن تزرع فيها ما تشاء، كما وأنَّ الأرض المزروعة تحتاج إلى تهيئة، وجهد، وعناية، ووقت، لأجل ديمومة صلاحها.

لذلك كان التوجيه من الطفولة مُهمًّا؛ لأنَّ التوجيه في هذه المرحلة الطفولة أهون بكثير من مرحلة عمرية متقدِّمة المراهقة والشباب،

خصوصاً إن استحكمت بها الخطأ، أو بُنيت بناءً خاطئاً.

إنَّ هناك عاملين مُهمَّين ينبغي ملاحظتهما عموماً، وهما:

١. إنَّ الناس قد جبلت تعودت على حب الدنيا، والركون إليها، والتعلُّقُ بها، فهم لا يميِّزون ما هو صالح لهم بسبب هذا التعلُّق.

٢. إنَّ فئة الشباب - عموماً - تتميز بالتمرد، والبحث، ودوام السؤال، وهي سهلة البناء، للخروج بها من التعود العام الموجود عند المجتمع.

إنَّ مرحلة الشباب مرحلة عاطفيَّة، فالشاب - عموماً - ما هو إلا كتلة من العاطفة المتأجَّجة، تنطلق تلك العاطفة من مرحلة المراهقة، أي من عمر خمس عشرة سنة بالنسبة إلى الذكور، وتسع سنوات بالنسبة إلى الإناث، ويكون التأجَّج العاطفي بصور متباينة أو مختلفة نحو الآخرين.

في هذه المرحلة العمريَّة المراهقة، يكون الإنسان مسؤولاً عن أعماله؛ لأنَّه وبحسب المشرِّع الإسلامي يكون مسؤولاً عن أعماله في سنِّ الخامسة عشر بالنسبة إلى الذكور، وتسع سنوات بالنسبة إلى الأنثى، علماً أنَّ علم النفس غير الإسلامي يعتبر سنة الخامسة عشر سن مراهقة للذكر والأنثى على حدِّ سواء، وأما القوانين الوضعيَّة فتعتبر عمر الثماني عشرة سنة هي مرحلة البلوغ، أو الرشد، وهي المرحلة المؤهِّلة لتحمل

المسؤولية.

إنَّ الشاب - عمومًا - يتميَّز بمجموعة من العناصر، فهو يتمتع بالاستقلالية في الشخصية، مع الاضطراب في المواقف، فهو غير مستقرّ سواء من الناحية الفكرية أم النفسية، أم الاجتماعية، ولديه روح التمرد، كما ولديه روح المبادرة، فهو أكثر انطلاقًا وحماسة من الشخص الكبير، فالشاب مستعدّ للبذل والعطاء من دون تردد.

إنَّ الشاب قد يواجه مجموعة من المعوقات التي تصدّه عن الدين وعن العبادة، منها الإعلام المضادّ، وذلك بسبب قوّته واستمكانه، فهو يسخر الطاقة في الرياضة لأمر بعيدة عن الأخلاق، كما ويعدّهم عن مسؤولياتهم العقديّة والفكرية، قد يساعد على ذلك نوع الخطاب الديني الموجه للشباب، فهو قد يكون ليس بالمستوى المطلوب منه قياسًا للتحديات المضادة؛ لكون أغلب الخطاب موجه نحو الطقوس الدينية فقط، وعلى حساب جوهر الدين، وروح العمل، وعلى حساب شرائح المجتمع، وبالخصوص شريحة الشباب.

يضاف إلى ذلك تحديات أخرى، منها التحديات الاقتصادية، كالبطالة والفساد، فالبطالة والفساد مع سوء التخطيط، وانعدام فرص الاستثمار، لها مردودات سيئة على الشباب، فهي تعدّ موانع عن توجيه نحو الدين، وذلك بسبب انشغالهم الكامل في تأمين معيشتهم.

كذلك الحال بالنسبة إلى التحدّيات الفكرية والثقافية، ولا شكَّ أنّ هذه التحدّيات تلقي بظلالها على تفكير الشاب، فتشوّش فطرته السليمة، فحربه تكون داخلية مع نفسه، وأخرى ضمن محيطه الأسري، وثالثة خارجية ضمن مجتمعه، وذلك سيدمر الشباب ويفقدهم التفكير الصحيح.

إنّ هناك تحدّيات خُلُقِيَّة يجب التنبيه لها، وعدم إغفالها، فبسبب ما يميّز به الشاب من الاستعجال والتهوّر والعنف، من دون التقيّد بالضروريّات والأساسات الخُلُقِيَّة، فقد يقوم بأعمال غير خُلُقِيَّة كثيرة، ويفتخر بأنّه فعلها، ويتفاخر بذلك.

مضافاً إلى التحدّيات التربوية والتعليمية التي لها نصيب كبير، وذلك يصبّ في مجمل التحدّيات التي يتعرّض لها الشاب، علماً أنّ بناء الشخصية الشبابية مهمّ من جانب، وصعب من جانب آخر، ويجب أن تكون كلّ خطوات البناء والتوجيه والنصيحة مدروسة ومقننة.

علماً أنّ هناك أمراً مهمّاً ينعكس وبصورة سلبية على الشاب، وهو جانب واجب الحكومات المتعلّق بالشباب، فالإهمال الحكومي لفئة الشباب، وعدم الاهتمام بهم يؤدّي الى إفلات زمام الأمور عن السيطرة، وبالتالي الوصول الى نتائج غير محمودة العواقب.

لذلك نذكر لمعالجة هذه التحدّيات مجموعة من الحلول، حتى تكون

الفصل الأول - المبحث الثالث ١١

للمؤسسة الحكومية الدور الفعّال في توعية الشباب وإرشادهم، وبثّ روح المسؤولية عندهم في التعامل بجدية في حلّ المشاكل، مضافاً إلى ترسيخ المعتقدات الصحيحة فيهم، والسيطرة على حماسهم من أن تسبّب لهم الانحراف، ومن تلك الحلول:

١. الاهتمام بالشباب، وتبدأ هذه من الصغر، وحتى سنّ الكبر والشيخوخة.

٢. مضافاً إلى المدارس ومؤسسات التعليم، لا بدّ من وجود مؤسسات رياضية واجتماعية، وملتقيات للشباب أيام التعطيل، لتملأ أوقات فراغهم.

٣. العمل على توحيد عمل كل الجهات الحكومية وغيرها؛ لمتابعة الشباب، وبنائهم وإصلاحهم.

إنّ الرحلة الخلقية والتربوية تبدأ من البيت والمدرسة وصولاً الى الجامعة، لذلك فإنّه من الواجب ان يكون هناك اهتمام حكومي برفد المصلحين وإعانتهم، وتسهيل السبل، وتوفير فرص المعيشة الكريمة لهم، والعمل المسؤول من قبل الجميع من دون استثناء، فذلك هو العمل الأفضل للوصول الى النتائج المثمرة، من أجل استثمار الشباب، وأخذهم الى برّ الأمان في حماية عقائدهم، ودينهم، وحياتهم.

إنّ العبادة في الإسلام اسم يطلق على كل ما يصدر عن الإنسان المسلم

من أقوال وأفعال، وأحاسيس واستجابات لأمر الله سبحانه وتعالى، لكي يطابق عمل الإنسان مشيئة الله تعالى وإرادته.

لا حصر لنوع الأعمال والأقوال التي يُعبد الله -تعالى- بها، فالصلاة، والصيام، وكذلك الصدقة، والجهد، والتفكير في خلق الله، ومساعدة الضعيف، وإصلاح الفاسد، وأداء الأمانة، والعدل ما بين الناس، ورفض الظلم، كل تلك هي أعمال عبادية ما دام فيها أساس الاستجابة لأوامر الله سبحانه وتعالى.

لذلك، فإنَّ العبادات لها دور مهمّ وأساس في تعزيز الهُوِيَّة الخُلُقِيَّة للفرد المسلم داخل مجتمعه، وهي ميزة له عن مجتمعات أخرى مغايرة لمجتمعه.

ثانياً: الصَّحبة الصَّالحة والعلم الشرعي النافع ودورهما في تعزيز الهُوِيَّة الخُلُقِيَّة للفرد المسلم

١- الصَّحبة الصَّالحة:

لقد خلق الله تعالى الإنسان وجعله إنساناً اجتماعياً، يأنس باجتماعه مع أفراد نوعه، ولكونه اجتماعياً فهو يتأثر بصديقه وجليسه، وهو عرضة لاكتساب الأخلاق والصفات من خلال صداقاته، حتى قيل: إذا أردت ان تعرف شخصاً ما، فتعرّف على أصدقائه، فالأصدقاء مرآة تعكس أخلاق

الفصل الأول - المبحث الثالث ١٣

الأفراد؛ إذ إنَّ الرجل على دين خليله رفيقه - صديقه - صاحبه. لقد كانت الصداقة الصحبة موضوعاً مهماً في الديانة الإسلامية، وذلك لما ينعكس عليها من فائدة وخطورة في الوقت نفسه، فهي إما أن ترفع من شأن الشخص أو تجعله في أسفل سافلين. لذا، حثَّ الإسلام على اختيار الرفيق الصديق المؤمن، والتقيِّ، والورع، ذي الأخلاق العالية، واجتناب رفيق السوء.

إنَّ الصداقة هي من العلاقات الإنسانيَّة النبيلة، فهي علاقة تتقوَّم بين طرفين أو أكثر، أساسها المحبَّة والاحترام، فالصديق الحقيقي هو من يكون بمثابة ظلك، ومن ينصحك ويضحى من أجلك لا لأجل غايات ومصالح، وهو الذي يكون مخلصاً لك في السراء والضراء، ويكون معك ولصيقك في الأفراح والأتراح.

إنَّ صحبة الأشرار سوف تنقل الشرَّ، فالشر كالمرض، فهو يسري بين الأفراد، وهو داء دواؤه صعب، خصوصاً إنَّ استفحل في صاحبه، لذلك كان الموضوع خطيراً جداً، وكما قلنا، فإنَّ مرآة الإنسان هم أصدقاؤه، فقل لي من صاحبك، أقل لك من أنت، والصديق شقيق الروح.

إنَّ الشيء الخطير في موضوع الصداقة هو صديق السوء الذي سوف نسلط الأضواء عليه، ولقد أسلفنا القول إنَّ الإنسان كائن اجتماعي، كما لا يوجد شخص يولد سيئاً، لكن البيئَة وبما تحمل من أفراد ومؤثرات

هي التي تكون مؤثره في شخصيته، لذا كان دور الأسرة مهمًا في الحفاظ على أفرادها، كما ويجب عليها - على الأسرة - الانتباه إلى أصدقاء أبنائها، وإحاطة أبنائها بالأمان، والحذر من وصول أصدقاء السوء إليهم؛ لأنَّ صديق السوء سيجرّ الابن - ولدًا أم بنتًا - إلى الخروج عن أخلاقه، فيغدو - حينها - منحرفًا سلوكيًا؛ إذ قد يتعاطى المخدرات، ويرتكب الجرائم، بل ومن الممكن أن يسبب صديق السوء جملة من الأمراض النفسيّة، كالانزعاليّة، والاكتئاب، والحزن الشديد، أو الإصابة بالأمراض العضويّة الجسديّة، كأمراض القلب، والسكري، من خلال التدخين أو المسكرات، وغير ذلك من العادات السيئة وغير الصحيحة.

إنَّ الصديق السيِّئ يؤثّر على منظومة الاستقرار النفسي لصديقه، فبحسب دراسة أجرتها جامعة روتشستر في عام ٢٠١٥م التي خلصت - في هذه الدراسة - إلى أنَّ الصداقة السيئة تؤدّي إلى تأثير سيِّئ على الاستقرار العقلي، وذلك بسبب كثرة التفكير، فينهدم الاستقرار النفسي والاجتماعي، لينتهي المطاف الى الإصابة بجملة من المشاكل، كالوحدة والعزلة.

إن صديق السوء يمكن التعرف عليه من خلال جملة من الصفات، ومنها أنك تجده شخصًا أنانيًا، لا يفكر إلا بمصلحته، فهو لا يفكر بمصلحة صديقه، وهو لا يسمع هموم صديقه، بينما ترى بأن شكواه مسموعة، وهو لا يحب الخير لصديقه، فهو يتمنّى بأنَّ كلَّ ما يحقّقه

صديقه يكون له فقط، وهو يشعر بالمنافسة من صديقه؛ إذ يجده منافساً له، وهو لا يحترم خصوصيات صديقه، فهو ومن شدة أنانيته يوظف صديقه لخدمته، فيعتبره خادماً له، كما يغار منه، ويحاول إبعاده وعزله عن أصدقائه الآخرين، كما ينتقد صديقه في كل صغيرة وكبيرة حتى لو سبب ذلك لصديقه الإحراج، وهو بذلك، ليس موثقاً وليس مأموناً على الأسرار بل يحاول أن يفشي أسرار صديقه، كما أنه لا يسامح زلات صديقه حتى لو قدّم له الاعتذار، فهو حقود وحسود وشرير.

إنّ من الأجدر بالإنسان المؤمن اختيار الصديق الجيد، فإنّ تمكّن هو وكان ذا خبره في ذلك فبها، وإلا سعى من خلال المشورة مع الوالدين، أو من ذوي الخبرة، أو الأكبر سنّاً، أو من أصحاب التجارب من الصالحين، ممّن لهم اختلاط كبير بالمجتمع لنصيحة الشاب بخصوص اختيار الصديق، ومعرفة صفات الصديق الجيد.

إنّ هذا الموضوع يستحقّ الاهتمام؛ لأنّ الصديق المؤمن يجلب لك الخير، وهو مأمون الجانب، كما أنّه معك في الدنيا، وقد يكون معك في الآخرة، على عكس الصديق السيئ أو الكافر.

من هم أصدقاء السوء؟

إنّهم بحسب الروايات الشريفة يحملون الصفات الآتية:

أ- الأحمق الكذاب:

فقد جاء في الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إِيَّاكَ وَصَحْبَةَ الأَحْمَقِ الكَذَّابِ، فَإِنَّهُ يَرِيدُ نَفْعَكَ فَيُضْرُكَ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ البَعِيدَ، وَيَعْدُ مِنْكَ القَرِيبَ، إِنْ ائْتَمَّتْهُ خَانَكَ، وَإِنْ ائْتَمَّتْكَ أَهَانَكَ، وَإِنْ حَدَّثَكَ كَذْبَكَ، وَإِنْ حَدَّثْتَهُ كَذْبَكَ وَأَنْتَ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ السَّرَابِ الَّذِي يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا»^(١).

إنَّ هذه الأخطار الخُلُقِيَّةُ والعواقب السيِّئة التي عددها الحديث من قبيل الإضرار، والخيانة، والإهانة، والتكذيب هي كافية للردع عن معاشرته، ومعرفة أنَّ مصير العلاقة معه هو الفشل؛ لأنَّها تكون هدامة لا بِنَاءً ومؤدِّية إلى الانحطاط لا الارتقاء، من خلال الآثار الملموسة لهذا النوع الفتاك بل القاتل من الناحية المعنويَّة، مضافاً إلى الماديَّة.

ب- الفاجر:

فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): «لا تصحبِ الفاجرَ فيعلِّمَكَ من فجورِهِ»، ثمَّ قال (عليه السلام): «أمرني والدي بثلاثٍ ونهاني عن ثلاثٍ، فكانَ فيما قالَ لي يا بنيَّ من يصحبُ صاحبَ السوءِ لا يسلمُ، من يدخلُ مداخِلَ السوءِ يَتَّهَمُ، ومن لا يملكُ لسانه يندمُ»^(٢).

١ - محمد الريشهري: ميزان الحكمة، ح ١٠٢٨٠.
٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٩٦.

ت - البخيل :

فإنه قد جاء عنهم عليهم السلام التحذير من صحبته، وربما كان لأجل أن المرء يأخذ من أخلاق أصحابه ويتأثر بهم، كما عن النبي صلى الله عليه وآله: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»^(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «وإياك ومصاحبة البخيل، فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه»^(٢).

ث - الفاسق :

فقد ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال لولده الباقر عليه السلام: «يا بني انظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق... إلى أن قال عليه السلام: «وإياك ومصاحبة الفاسق فإنه بايعك بأكلة أو أقل من ذلك»^(٣).

ج - الكافر :

عن النبي صلى الله عليه وآله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤاخين كافرًا»^(٤).

ح - الشرير :

قال الإمام الجواد عليه السلام: «إياك ومصاحبة الشرير، فإنه كالسيف

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٩٦.

٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٩٦.

٣ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٩٦.

٤ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٩٧.

المسلولِ يحسنُ منظره ويقبحُ أثره»^(١).

خ- صاحب اللهو:

عن الإمام عليّ (عليه السلام): «إِيَّاكَ وَصَحْبَةَ مِنْ أَلْهَاكَ وَأَعْرَاكَ فَإِنَّهُ يَخْذُلُكُ وَيُؤْبِقُكَ»^(٢).

د- الجبان:

عن الإمام الباقر (عليه السلام): «لَا تَصَادِقْ وَلَا تَوَاحِ أَرْبَعَةً الْأَحْمَقَ وَالْبَخِيلَ وَالْجَبَانَ وَالْكَذَّابَ»^(٣).

ذ- ناشر المثالب والعيوب:

في الحديث عن الإمام عليّ (عليه السلام): «لَا تَوَاحِ مِنْ يَسْتَرُ مَنَاقِبَكَ وَيُنْشِرُ مَثَالِبَكَ»^(٤).

ر- رهين المداراة:

وهو الذي لا يُمكن استمرار الصداقة معه على قواعدها السليمة دون الخضوع إلى كثير من التكلّف والتجمل، وذلك ما يكون مع الأشخاص الذين هم سريعو الغضب والانفعال وإذا ما غضبوا هم لا يغفرون.

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٩٨.

٢ - محمد الريشهري: ميزان الحكمة، ح ١٠٢٧٦.

٣ - عليّ النمازي: مستدرك سفينة البحار، ح ١، ص ٧٣.

٤ - محمد الريشهري: ميزان الحكمة، ح ٢٣٥.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ليس لك بأخٍ من احتجت إلى مداراته»^(١).

ز- السبب:

في الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس مجلساً يتتقص فيه إماماً أو يُعاب فيه مؤمناً»^(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «من قعد عند سبب لأولياء الله فقد عصى الله»^(٣).

س - مزين المعصية:

سُئل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أي صاحب شر؟ قال: «المزين لك معصية الله»^(٤).

٢- العلم الشرعي النافع:

ليس بخافٍ على أحد ما للتجارب من أهمية كبيرة؛ كونها تجعل الإنسان يحصل على الخبرة المطلوبة، مضافاً إلى أنها ترفده بطرق الفهم

١ - محمد الريشهري: ميزان الحكمة، ح ٢٣١.

٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٢١٣.

٣ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٧٩.

٤ - محمد بن علي القمي الصدوق: الأمالي، ص ٤٧٢.

الصحيحة للتعامل مع المواقف. وعليه، فإنَّ الإنسان الناجح، هو من يتعلَّم من تجارب الآخرين، واعلم بأنَّ النصيحة من الآخرين هي انعكاس حقيقي للمحبَّة والمودَّة، فهي باقية ورد يرسلها إليك الناصح. سوف نتناول - هنا - نصائح عامَّة يجب على الشاب أن يأخذ بها؛ إذ إنَّ لها دوراً كبيراً في توفير الوقت والجهد على الشاب في حياته وعمره المديد.

إنَّ العلوم، وبصورة عامة، فيها العلوم النافعة كما فيها العلوم الضارَّة، ومن الواجب التمييز في ما بينها؛ لأجل الاستفادة من النافعة وترك الضارَّة، فالعلوم الضارَّة منها ما هي واضحة جليَّة يستطيع الإنسان تمييزها واجتنابها، وذلك كصناعة الأسلحة النوويَّة والجرثوميَّة، فالعقل يحكم بكونها ضارَّة. لذا من المفيد اجتنابها، وهذا في العلوم الحسِّيَّة المعلومة، لكن قد تكون بعض العلوم غير حسِّيَّة، كما هو الحال في النظريَّات التجربيَّة التي تعترف بالموجود الحسِّي فقط، وتترك ما وراء المحسوسات، ولا تعترف به، فهذه علوم ضارَّة تقود إلى إنكار الخالق، وبالتالي جعل الحياة تافهة، وليس وراؤها نتيجة إلا الضرر.

إنَّ العلوم النافعة هي التي تبني الأوطان، وهي التي تحترم البشريَّة، وتحرص على حياتهم ومعاشهم.

نعم، إنَّ التمييز قد لا يكون واضحاً، وإنَّما قد يختلط النافع بالضار،

الفصل الأول - المبحث الثالث ٧١

والصالح بالطالح، فكيف يمكن التمييز حينها؟ إنَّ الجواب عن ذلك يكون من خلال الاستعانة بأهل الخبرة والتجربة، فهم يستطيعون تمييزها، وذلك بما يمتلكونه من خبرة، وبالذات من كان متخصصًا، لذلك فإنَّ المسؤولة تبدأ من ذي الحاجة واقصد بهم الشباب، فقبل الخوض في العلوم، أو عند عدم تمييزها، فلا بدَّ من أن يُلتجأ إلى العارف بها، وأخذ النصيحة منه في كيفية الولوج في هذه العلوم، وما هي الخطوات التي تُنتهج من البداية حتى النهاية في الوصول إلى أهداف هذه العلوم. كما أنَّ التدرُّج في العلوم ضروري جدًّا، علمًا أنَّ أي تقصير في الخطوات ربما ستكون نتائجه خطيرة، فإنَّ مردودها لن يكون على المخطئ فقط، بل سيتعدَّى إلى جميع المجتمع الذي سوف تنتقل إليه الفكرة أو الأفكار الخاطئة، فإنَّ الخطأ مرضٌ ينتقل إلى الجميع إذا لم يعرفوه أو لم يميِّزوه، فإنَّ الخطأ في المقدِّمة سيؤدِّي إلى الخطأ في النتيجة، لذلك فإنَّ التشخيص ضروري جدًّا.

إنَّ العلم النافع مفيد للشخص وللمجتمع، فهو يبيِّن الحياة، وينشر المحبَّة، ويطهر القلوب ويزكِّيها، ويمنع الشرور ويرديها؛ وذلك لأنَّ للعلم النافع جوانب روحيةٌ وخلقيةٌ تبدأ فوائدها من صاحب الفكرة، وتنتقل إلى الآخرين كذلك، فإذا طهر القلب طهر المجتمع، وذلك من خلال سلوكياته وأخلاقه وتعاملاته، حينها سيسود الحُبُّ والتعاون، وتذهب

الإحْن والبغْضَاء، ويكُون التَّسَابِقُ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ، عَلَى عَكْسِ ذَلِكَ مَا عَلَيْهِ الْعُلُومُ الضَّارَّةُ الَّتِي تَنْشُرُ الكِرَاهِيَّةَ والبغْضَاءَ؛ لِأَنَّ الغَايَةَ مِنْهَا هُوَ التَّدْمِيرُ، تَبْدَأُ مِنْ صَاحِبِ الْعِلْمِ، ثُمَّ تَنْتَشِرُ إِلَى الْآخَرِينَ فِي المَجْتَمَعِ، وَحِينَهَا سَتَكُونُ المِحْنُ؛ ذَلِكَ أَنَّ الغَايَةَ لَيْسَتْ سَلِيمَةً؛ لِأَنَّهَا -غَالِبًا- تَكُونُ لِأَجْلِ المَادَّةِ وَبِصُورَةٍ غَيْرِ مَشْرُوعَةٍ، أَوْ تَكُونُ حَبًّا لِلظُّهُورِ، بِغَضِّ النِّظَرِ عَنِ الوَسِيلَةِ، وَقَدْ تَخْفَى عَلَى القَارِئِ أَوْ المَتَعَلِّمِ الغَايَةَ. لِذَلِكَ فَمِنَ الضَّرُورِيِّ اللُّجُوءِ إِلَى الخَبِيرِ النَّاصِحِ الَّذِي قَدْ اسْتَفَادَ الخُبْرَةَ وَالتَّجْرِبَةَ، فَهُوَ خَيْرٌ مُسَاعِدٍ وَمَعِينٍ؛ لِأَنَّ المَجْتَمَعِ يَحْتَاجُ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضِهِ الْآخَرَ.

لِذَلِكَ، فَإِنَّ لِلصَّحْبَةِ الصَّالِحَةِ وَالْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ النَّافِعِ دَوْرًا مُهِمًّا فِي تَعْزِيزِ الهُوِيَّةِ الخُلُقِيَّةِ لِلْفَرْدِ المُسْلِمِ، فَهَمَا أُسَاسَانِ مُهِمَّانِ فِي بِنَائِهِ اجْتِمَاعِيًّا وَعَقْلِيًّا وَسُلُوكِيًّا؛ كَوْنِ الْإِنْسَانِ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، وَكَوْنِ الْإِنْسَانِ يُعْرِفُ بَعْلَمَهُ. لِذَا، فَإِنَّ مِنَ المُهْمِّ الْإِهْتِمَامَ بِهَذَيْنِ الْأُمْرَيْنِ كَثِيرًا؛ كَوْنَهُمَا أُسَاسَيْنِ ضَرُورِيَيْنِ فِي بِنَاءِ الهُوِيَّةِ الخُلُقِيَّةِ لِلْفَرْدِ المُسْلِمِ.

ثَالِثًا: البِيئَةُ الاجْتِمَاعِيَّةُ الصَّالِحَةُ وَدَوْرُهَا فِي تَعْزِيزِ الهُوِيَّةِ الخُلُقِيَّةِ لِلْفَرْدِ المُسْلِمِ

إِنَّ البِيئَةَ سِوَاءَ أَكَانَتْ صَالِحَةً أَمْ طَالِحَةً، فَإِنَّهَا تَلْعَبُ دَوْرًا مُهِمًّا فِي الْفَرْدِ وَتَوَجِّهَاتِهِ، فَالبِيئَةُ الصَّالِحَةُ سَتَقُودُهُ إِلَى عَمَلِ الْخَيْرِ، وَالاسْتِقَامَةِ،

والصلاح، والتكامل. أما البيئة الطالحة فهي ستقوده إلى الضياع، والشر، والانحراف، والفشل، وسوء العاقبة.

إنَّ الطفل الفرد المولود من أبوين صالحين، ويعيش وسط أسرة متماسكة، أسرة تسود فيها الفضيلة، وتسود فيها أجواء الرحمة والإيمان والصدق والأمانة والحياء، فإنَّ هذا الطفل يعيش في تربة قويَّة، تربة صالحة لكي ينشأ على السجايا الحميدة، وعلى الشمائل النبيلة. أما لو ولد الطفل الفرد في بيئة فاسدة، أو عاش وسط أسرة خبيثة في طباعها، سيئة في أخلاقها وتعاملاتها، ومنحرفة في سلوكياتها، فإنَّ النتيجة ستكون نشأة فرد منحرف شرير وفساد.

إنَّ البيئة لها تأثير كبير على الفرد، فهي واحدة من المؤثرات على التربية، وواحدة من مسببات الذنوب.

إنَّ في قصة ابن نبي الله نوح (عليه السلام) أكبر دليل على تأثير البيئة على الفرد، فهو وعلى الرغم من أنَّه عاش فترة طفولته في كنف أبيه، لكنَّه خالط الأشرار والمنحرفين، فأفسدوا حياته، وسَمِّموا أفكاره، فاخترت الفضائل، وحلَّت محلَّها الرذائل.

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

فقد وصفه -تعالى- بأنه: ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾.

لذا، فإن من المُهمِّ الاهتمام بالطفل الفرد، وتوفير البيئة الصالحة لنموّه، وتوفير المربيِّ الصالح لتربيته، وتغذيته بالفكر الجيّد النافع، وبالعقيدة الصحيحة الرصينة، وهي عقيدة النبي محمد ﷺ وأهل بيته من الأئمة المعصومين عليهم السلام.

يقول (الشيخ محمد تقي الفلسفي): «إنَّ الطفل المتولّد من أبوين صالحين يملك تربة مساعدة لنشوء الصفات الخيرة في نفسه، ولكن إذا تُرك في بيئة فاسدة منذ الصغر، أو سُلمَّ إلى أفراد خبثاء بذئيّ الأخلاق، فإنَّ النتيجة ستكشف عن فرد فاسد شريّر؛ لأنَّ الصفات الموروثة والفضائل العائليّة لا تستطيع المقاومة أمام قوّة التربية. وعلى العكس من ذلك، فإنَّ الأطفال الذين يتولّدون من أبوين فاسدين، ويملكون التربة المساعدة لنشوء الآثار السيّئة في سلوكهم، لو تركوا في محيط مليء بالصالح والخير، وسُلمّوا إلى مربيّين صالحين، فمن الممكن أن تختفي تلك الآثار السيّئة عنهم، وينشأوا أفراداً يتّسمون بالفضيلة والإيمان»^(١).

١ - محمد تقي الفلسفي: مختصر الطفل بين الوراثة والتربية، ص ٧٣-٧٤.

الفصل الثاني:

مفهوم التغريب الخُلقي وتأثيره على الشباب المسلم

المبحث الأول: مفهوم التغريب الخُلقي وأبعاده وتأثيراته

أولاً: تعريف التغريب الخُلقي وبيان ماهيته

١- التغريب:

إنَّ التغريب هو تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسيَّة واجتماعيَّة وثقافيَّة وفنيَّة، يرمي الى صنع حياة الأمم بعامة، والمسلمين بخاصة بالأسلوب الغربي، وذلك بهدف إلغاء شخصيَّتهم المستقلَّة وخصائصهم المتفرِّدة، وجعلهم أسرى التبعيَّة الكاملة للحضارة الغربيَّة.

بدأ المشرقيُّون في العالم الإسلامي مع نهاية القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر بتحديث جيوشهم وتعزيزها عن طريق إرسال بعثات الى البلاد الأوربيَّة أو باستقدام الخبراء الغربيين للتدريس والتخطيط للنهضة

الحديثة؛ وذلك لمواجهة تطلُّع الغربيين إلى بسط نفوذهم الاستعماري بُعيد بدء عهد النهضة الأوربيَّة.

فلمَّا قضى السلطان محمود الثاني على الانكشاريَّة العثمانيَّة سنة ١٨٢٦م أمر باتخاذ الزي الأوروبيّ الذي فرضه على العسكريين والمدنيين على حدّ سواء.

واستقدم (السلطان سليم) الثالث المهندسين من السويد، وفرنسا، والمجر، وإنجلترا، وذلك لإنشاء المدارس الحربيّة والبحريَّة.

كما قام (محمد علي) والي مصر الذي تولّى سنة ١٨٠٥م بناء جيش وفق النظام الأوروبي، كما عمد إلى ابتعاث خريجي الأزهر من أجل التخصّص في أوروبا.

وأنشأ (أحمد باشا باي الأوّل) في تونس جيشاً نظامياً، وافتتح مدرسة للعلوم الحربيّة فيها ضبّاط وأساتذة فرنسيّون وإيطاليّون وإنجليز.

كما افتتحت أسرة القاجار التي حكمت إيران كليَّة للعلوم والفنون على أساس غربي سنة ١٨٥٢م.

منذ عام ١٨٦٠م بدأت حركة التغريب عملها في لبنان عن طريق الإرساليّات، ومنها امتدّت إلى مصر في ظلّ (الخديوي إسماعيل) الذي كان هدفه أن يجعل مصر قطعة من أوروبا.

إنّ من أفكار التغريب: تشجيع فكرة إيجاد فكر إسلامي متطور يبرّر

الأنماط الغربية ومحو الطابع المميّز للشخصية الإسلامية بغية إيجاد علاقات مستقرّة بين الغرب وبين العالم الإسلامي خدمة لمصالحه، والدعوة الى الوطنية ودراسة التاريخ القديم والدعوة إلى الحرّية؛ باعتبارها أساس نهضة الأمة مع عرض النظم الاقتصادية الغربية عرضاً مصحوباً بالإعجاب، وتكرار الكلام عن تعدّد الزوجات في الإسلام وتحديد الطلاق واختلاط الجنسين، ونشر فكرة العالمية والإنسانية والفردانية التي يزعم أصحابها بأنّ ذلك هو السبيل إلى جمع الناس على مذهب واحد تزول معه الخلافات الدينية والعنصرية من أجل إحلال السلام في العالم، ولتصبح الأرض وطنًا واحدًا! يدين بدين واحد! ويتكلّم بلغة واحدة! وثقافة مشتركة واحدة! بغية تذويب الفكر الإسلامي واحتوائه في بوتقة الأقوياء المسيطرين من أصحاب النفوذ العالمي.

كما أنّ نشر الفكر القومي خطوة على طريق التغريب الذي ظهر في القرن التاسع عشر الميلادي، وقد انتقل من أوروبا إلى العرب والإيرانيين والترك والأندونيسيين والهنود.

لقد استطاعت حركة التغريب أن تتغلغل في بلاد العالم الإسلامي كلة، وإلى كلّ البلاد المشرقية على أمل بسط بصمات الحضارة الغربية المادية الحديثة على هذه البلاد وربطها بالغرب فكراً وسلوكاً، ولقد تعالت تأثير حركة التغريب؛ إذ إنّها قد ظهرت بوضوح في مصر، وبلاد الشام، وتركيا،

وأندونيسيا، والمغرب العربي، وتدرّج بعد ذلك في البلاد الاسلاميّة الأقلّ فالأقلّ، ولم يخلُ بلد إسلامي أو مشرقي من آثار هذه الحركة وبصماتها. إنَّ التغريب تيارٌ مشبوه يهدف الى نقض عرى الإسلام والتحلل من التزاماته وقيمه واستقلاليتّه، والدعوة إلى التبعية للغرب في توجهاته وممارساته كلّها. لذا، فمن واجب قادة الفكر الإسلامي كشف مخططاته والوقوف بصلاية أمام سموه ومفترياته التي تبثّها الآن شخصيات مسلمة أو تدعي الإسلام، وصحافة ذات باع طويل في محاولات التغريب، وأجهزة وثيقة الصلة بالصهيونيّة العالميّة والماسونيّة الدوليّة، وقد استطاع هذا التيار استقطاب كثير من الكتّاب والمفكرين العرب، فمسحوا هويّتهم، وحاولوا قطع صلّتهم بدينهم، والذهاب بولائهم وانتمائهم إلى الغرب، والتفاخر بكلّ ما هو غربي، حتى الخُلُقِيَّات غير الجيِّدة، والنماذج السيّئة.

٢- التغريب الخُلُقِي:

إنَّ التغريب الخُلُقِي، والتغريب السلوكي؛ كلّها مصطلحات ومفاهيم تدخل في إطار مشروع واحد، هو مشروع الاستكبار الغربي الهادف الى تغريب مجتمعات المسلمين، لغايات استعماريّة وسلطويّة، والحديث عن التغريب لا يمثّل حديثاً نظريّاً وبحثاً ترفيئاً بل هو لصيق بواقع المجتمعات المسلمة كافّة من دون استثناء؛ لأنّ هذه المجتمعات تعيش

مظاهر كبيرة للتغريب الفكري والسلوكي والمؤسسي، على مستويات الفرد والمجتمع والدولة.

فالمراد بالتغريب هنا: هو اتخاذ الغرب مرجعية، على مستوى مناهج التفكير، والتجاجات الفكرية والمفاهيم والمصطلحات، والثقافة العامة والخاصة، والسلوك الفردي والمجمعي، وهو ما يتعارض مع الهوية الإسلامية الفردية والمجتمعية التي تستند إلى المرجعية الإسلامية في التفكير والسلوك، وهي مرجعية القرآن والسنة، ثم مرجعية الاجتهاد المتفرعة عنها، مضافاً إلى العادات والتقاليد المحلية التي لا تتعارض مع المرجعية الإسلامية، وهي غالباً عادات وتقاليد محافظة ومتوازنة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعَبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧].

فكيف بالمسلم وهو يتخذ النصارى واليهود الذين تحوّلوا الى ملحدين وعلمانيين مرجعية وأولياء سياسيين وفكرين وثقافيين.

تعدّ فئات المراهقين والشباب والنساء الأكثر استهدافاً في عملية

التغريب، وتحديدًا المرحلة العمرية ١٤ - ٣٥ سنة، وهي — عادة — مرحلة تلقي واستقبال وانجذاب وانفعال، ويكون فيها الإنسان أكثر قابلية ذاتية على التماهي والحفظ والتقليد، شعوريًا وغير شعوري، أكثر منها مرحلة عطاء وفعل واستقطاب وجذب، وإذا تشكَّلت شخصية الإنسان وفق قواعد أو قوالب فكرية وثقافية وسلوكية معينة في هذه المرحلة العمرية؛ فسيكون من الصعب إحداث تغيير واختراق فيها عندما يتقدَّم في العمر. إنَّ التغريب المجتمعي هو أهم مخرجات الغزو الشامل الذي تقوم به المدينة الغربية للشعوب الأخرى منذ أكثر من قرنين، وهي المدينة التي أفرزها ما يُسمَّى بعصر الأروبية، وما رافقه من احتلال عسكري مباشر لأراضي بلدان الجنوب؛ أي البلدان الإسلامية والأفريقية والآسيوية واللاتينية، وهيمنة اقتصادية، ونهب للثروات، وتصدير للأفكار والثقافات والمنهجيات، والنظم الاحادية والعلمانية والليبرالية والكنسية، وتشكيل جماعات من العملاء السياسيين والعسكريين والفكرين والثقافيين والمخابراتيين.

إنَّ هذا الغزو الشامل هو مظهر للصراع الجدلي بين الأمم والحضارات والمدنات والشعوب الذي تتمكَّن من خلاله الحضارة أو المدينة المتفوقة والأمة المتفوقة ماديًا أو معنويًا من فرض وجودها وسياساتها، وأدبياتها، وثقافتها، ومفاهيمها، وتقاليدها، السياسية، والاقتصادية، والعسكرية،

والثقافية، والمجتمعية على الأمة المنهزمة المقهورة.

لا يمكن في إطار نظرية التدافع الطبيعي، أن نلوم الأمة المتفوقة على فرض شروطها على الأمة المنهزمة والمتخلفة، إلا بمقدار ما نلوم الأمة المنهزمة نفسها التي سمحت لعوامل الهزيمة بالتسلل إليها.

تشتمل أدوات الغزو الثقافي والتغريب على أغلب مجالات حركة الفرد والمجتمع والدولة، كالفكر والثقافة، والتعليم، والفن، والسياسة، والتشريعات، والاقتصاد، والسلوك، في إطار استراتيجية متكاملة، الأمر الذي يجعل مواجهة الغزو وصدّه وتحصين الهوية الإسلامية والثقافة المحلية، محفوفاً بالصعوبات والتعقيد؛ لأنّ من يقوم بعملية الردع والصدّ والتحصين، سواء كان فرداً أو جماعة إسلامية أو مؤسسة دينية أو ثقافية أو حراكاً اجتماعياً، سيواجه بشبكة عميقة نافذة في جميع مفاصل الدولة ومؤسّساتها، وفي الأحزاب، والصحافة والإعلام، والمؤسّسات التعليمية، ومؤسّسات الانتاج الفني، ومنظمات المجتمع المدني، بما يشبه الدولة العميقة التي تحميها مافيا كبيرة لا ترحم أي صوت مختلف أو معارض لها.

ثانياً: جذور التغريب ومسبباته وأثر الاستعمار الثقافي على الأخلاق الإسلامية للفرد المسلم

لقد اعتمد الغرييون أجنحة ثلاثة لتكون الرافد الأساس للتغريب

وللغزو الفكري البديل عن الغزو العسكري، ألا وهي: التنصير أو التبشير، والاستشراق، والاستعمار؛ حيث يتولَّى التنصير الجوانب الميدانيَّة والاجتماعيَّة، ويختصُّ الاستشراق بالجوانب العلميَّة والأكاديميَّة، ويكون الاستعمار أداةً لهما مذلاً للصعاب أماهما.

إنَّ مؤسَّسة التبشير استهدفت تنصير العامَّة وذوي الحاجات بما يناسبها من وسائل، أمَّا الاستشراق فقد اختصَّ بتنصير النخبة والمثقفين بوسائط علميَّة وفكريَّة، كما أنَّ المستشرقين هم من استدعى الاستعمار الحديث إلى بلاد الإسلام.

إنَّ بدايات ظهور التيّار التغريبي في الوطن العربي كانت في لبنان، ثم انتقل إلى مصر؛ حيث استقرَّ وترعرع فيها، ثمَّ وصل إلى تونس، وبعدها انتشر في بقيَّة الدول العربيَّة.

لقد كان للمسيحيين العرب في لبنان وسوريا دور بارز في التآثر بالغرب؛ حيث كان بعضهم يوفدون إلى الجامعات الأوروبيَّة في إيطاليا وفرنسا، ومن هؤلاء على سبيل المثال: (إبراهيم الحاقلاني)، والمطران (جرمانوس فرحات)، و(يوسف السمعاني)، وغيرهم، وقد أصبح هؤلاء في ما بعد حملة لواء الدعوة إلى القوميَّة العربيَّة.

ومن دعاة القوميَّة يمكن عدّ: (فرح أنطون)، و(شلي شميل)، و(يعقوب صروف)، و(فارس نمر)، و(جرجي زيدان).

كما عاد (رفاعة الطهطاوي) من باريس بعد خمس سنوات من الدراسة فيها لينادي بالفرعونيّة؛ إذ ينادي بها بديلاً عن الإسلام.

إنّ الذين ردّدوا الأطروحات الغربيّة نفسها، كان لهم أثرٌ بالغ في محيط ثقافي واسع، مثل: (طه حسين) بكتابه في الشعر الجاهلي، و(محمد أحمد خلف الله) بكتابه الفنّ القصصي في القرآن، و(محمد أركون) بكتابه الفكر العربي، و(نصر حامد أبو زيد) بكتابه مفهوم النص. فقام هؤلاء بترديد شبّهات المستشرقين الطاعنة في أصول الإسلام وأحكامه وعقائده؛ حيث إنّ ما يقوم به هؤلاء - وغيرهم ممن يتابعهم - لا يتعدّى كونه اجتراراً لأراء وأفكار المستشرقين، مع حرصهم على بعض الإضافات، لإضفاء طابع عربي إسلامي على كتبهم وبحوثهم.

يعدّ بعض الكُتّاب ظهور ما يُسمّى بالمدرسة الإصلاحية، وحركة التجديد بداية من بدايات التيّار التغريبي، ويعدّون (الشيخ محمد عبده) أبرز أولئك، ومعه كذلك (رفاعة الطهطاوي)، و(جمال الدين الأفغاني)، و(خير الدين التونسي)، و(عبد الرحمن الكواكبي)، و(علي عبد الرازق)، وغيرهم.

لقد كان للجامعات أثر كبير في تغيير أفكار كثير من طلبتها وخاصةً تلك الجامعات التي سيطر عليها المستشرقون، فأخرجت جيلاً بل أجيالاً ممّن تشبّعوا بالفكر الاستشراقي.

لقد لعبت الجامعة المصرية في النصف الأوَّل من القرن الماضي دورًا حاسمًا في انتشار الفكر الاستشراقي؛ حيث سعت إلى جلب المستشرقين وتشجيعهم على التدريس فيها، ومن هؤلاء: (جوزيف شاخت-Joseph Schacht)، و(ميغيل أنجيلو غويدي-Michelangelo Guidi)، و(لويس ماسينيون-Louis Massignon)، و(كارلو ألفونسو نلينو-Carlo Alfonso Nallino)، وغيرهم.

ولقد أنشأ (فون كريمر-von Kremer) كَلِيَّةَ فيكتوريا في الإسكندرية لتربية جيل من أبناء الحُكَّام والزعماء والوجهاء في محيط إنكليزي، ليكونوا أداة المستقبل في نقل الحضارة الغربية ونشرها. إنَّ أكثر الأفكار قد أخذت من مستشرقين أمثال: (مرجليوث - Margoliouth)، و(بلاشير - Blachère)، و(برجستراسر - Bergsträsser)، و(إجانتس جولدتسيهر - Ignaz Goldziher)، و(أليوس شبرنجر - Aloys Sprenger)، و(فون كريمر - von Kremer)، و(جوزيف شاخت - Joseph Schacht)، و(تيودور نولدكه - Theodor Nöldeke)، و(يوليوس فلهاوزن - Julius Wellhausen - كانون سيل - Canon Sell)، و(صمويل زويمر - Samuel Zwemer)، و(ريجيس بلاشير - Régis Blachère)، و(فريدريك شيفالي - Friedrich Schwally)، و(كارل بروكلمان - Carl Brockelmann)، و(ريتشارد بل - Richard Bell)، و(برنار لويس -

(Bernard Lewis)، و(إبرهام جايجر - Abraham Geiger)، و(كريستوفر لوكسمبورغ - Christoph Luxenberg)، و(ريكولودو - Ricoldo da Monte di Croce)، و(سلفستر دي ساسي - Silvestre de Sacy)، و(بودلي - Bodley)، و(غوستاف فايل - Gustav Weil)، و(وليم ميور - William Muir)، و(هاملتون جب - Hamilton Gibb)، و(هرشفيلد - Hirschfeld)، و(هنري ماسيه - Henri Massé)، و(رودنسون - Maxime Rodinson).

كما يُعدّ الغزو الثقافي أخطر شيء يهدّد المجتمعات، وبالخصوص طبقة الشباب؛ وذلك لأنّ وسائل الإعلام - بكلّ صورها وأنواعها - وضعت إمكانيّات كبيرة جدّاً في سبيل التأثير على جيل الشباب، وذلك لكي تحرفه عن الطريق الصحيح، وبالتالي عن دينه، وعن أخلاقه، وعن أصله، وعن ثوابته، فتتمكّن منه إلى حدّ أن تُنوّمه مغناطيسيّاً ليعيش حياة غير واقعيّة خُطّطت، ورسمت له، وهو كالدميّة فيها.

فبعد أن أدرك أعداء الإسلام أنّ مواجهته بالقوة العسكريّة وأساليب القمع والإرهاب لن تحقّق مآربهم في التخلص من الإسلام وفي الحدّ من انتشاره، وإنّ غزو بلاد الإسلام كثير التكاليف الماديّة والبشريّة. لذا، فقد توجّهوا إلى غزوه ثقافيّاً، وفكريّاً، وعقليّاً.

ويقصد بالغزو الثقافي: الوسائل غير العسكريّة التي اتخذها أعداء الإسلام لإزالة مظاهر الحياة الإسلاميّة، وصرف المسلمين عن التمسك

بالإسلام مما يتعلّق بالعميقة، وما يتصل بها من أفكار وأنماط وسلوك^(١). كما يطلق على الغزو الثقافي مسمّيات أخرى، منها: التغريب الثقافي، والحرب الباردة، والحرب الناعمة، والاختراق الثقافي، وما شاكل ذلك من أسماء ومسمّيات ذات دلالات واحدة.

ثالثاً: الفرق ما بين الانفتاح الثقافي والتغريب الخُلقي

إنّ مسيرة بني الإنسان قائمة على دورات من الولادة والفناء للأفراد والجماعات والشعوب، لكن كلّهم ورغم حتميّة الفناء تجدهم فاعلين في عمليّات البناء والاستمرار، كأنّ لا فناء، وكأنّهم خالدون. إنّ غريزة الأخذ والاستفادة من الآخرين هي من الغرائز الذاتيّة للإنسان، سواء أكانت إثارته بواسطة الفائدة أم الحسد أم غير ذلك. في حياة البشريّة تجارب وتجارب عدّة، منها المُحزن ومنها المُفرح، ومنها الذي جعل منها شعوباً يحسب لها ألف حساب، ومنها ما أدّى إلى محوها من ذاكرة التاريخ نهائياً، كأن لم تكن أبداً. لا بدّ للإنسان أن يسعى نحو التجارب الناجحة في حياة البشريّة وتاريخها، لكي يستفيد منها؛ ذلك أن عمره لا يسمح لخوض كلّ شيء

من أجل معرفته، فلا بدّ له من الاستفادة من تجارب غيره، بما فيها من سلبيّات وإيجابيّات.

إنّ الاستفادة من تجارب الآخرين لا مانع عقلي ولا شرعي يمنعه، بل نجد أنّ القرآن الكريم قد أكّد على الاستفادة من تجارب الآخرين، وكذلك الأحاديث النبويّة المباركة وأحاديث المعصومين (عليهم السلام).

إنّ في حقيقة بناء كلّ تجربة إصلاحية ونهضويّة هناك أسس مهمّة، كما أنّ انطلاقها وبناءها له مقوماته. لكنّ هناك سرّاً مهمّاً جدّاً في التجارب الإصلاحية والنهضويّة كلّها، وهو يعتبر ركيزة أساس في نجاحها أو فشلها، ذلك هو النموذج؛ إذ إنّ لكلّ قاعدة، ولكلّ قانون، ولكل نظريّة نموذجها الخاص بها، وإنّ اختلّ شيء فإنّ أساس الخلل سيكون في النموذج المطروح وغير الملائم لتلك القاعدة أو النظريّة المطروحة.

لا بدّ لكلّ قاعدة أو نظريّة من نموذج، ولا بدّ أن يكون النموذج موافقاً لتلك القاعدة أو النظريّة، فلا يمكن أن تكون القاعدة شيئاً والنموذج شيئاً آخر.

إنّ لكلّ دولة نهضت وأصلحت وتقدّمت كيائها ونموذجها الخاص بها، وهناك عوامل أساس علميّة وثقافيّة، فإنّها إنّ تساوت مع غيرها في المجال العلمي، فمن اليقين أنّها لن تتساوى مع غيرها في المجال الثقافي؛ ذلك أنّ لكلّ مجتمع ثقافته الخاصّة به.

فعلى سبيل المثال، قد شكَّلت المعاهدات التي وقعتها اليابان مع الدول الخمس: هولندا، وأمريكا، وروسيا، وبريطانيا، وفرنسا، خلاصة الضغوط الغربية التي أجبرت اليابان على التخلي عن سياسة العزلة. فكانت بذلك مؤشراً على نهاية حقبة في تاريخ اليابان، وبداية مرحلة انتقالية حرجة أدت إلى إسقاط نظام الباكوفو^(١)، وإعادة السلطة إلى الإمبراطور. ولم تكن الضغوط ولا الشروط التي أملاها المفاوضون الغربيون سلبية في نتائجها على مستقبل اليابان؛ فقد حرَّكت المفكرين اليابانيين، ودعتهم إلى التفكير في بديل ممكن يجنب اليابان الاستسلام للقوى الغربية، كما أنَّها خلخلت الوضع السياسي، وغيَّرت موازين القوى داخل البنية السياسيَّة.

لقد اختار اليابانيون - دون تردّد - العمل على تصليب الجبهة الداخليَّة والعمل على تماسكها؛ حيث تعجز القوى الأجنبيَّة عن اختراقها. لم يعتمد المصلحون اليابانيون نموذجاً سياسياً واحداً ومقتبساً من دولة غربيَّة بعينها، بل جمعوا ما بين تقاليد العمل السياسي التي كانت

١ - الباكوفو: شوغونية توكوغاوا، أو توكوغاوا باكوفو، اسم يطلق على سلسلة الحكومات العسكرية والاقطاعية التي حكمت اليابان من القرن الثاني عشر، حتى قيام حكومية الميجي سنة ١٨٦٨ م. راجع: ليث العنابي: تجارب نهضوية من واقع الحاجة البشرية، ص ٤١.

سائدة في اليابان، والنظم الغربية الحديثة، على أن يكون الاقتباس بشرط أن لا يهدد أسس المجتمع الياباني وتقاليدته العريقة.

لقد جمع الدستور الجديد بين التقاليد اليابانية والحداثة الغربية، أنها حركة إصلاحية بأفق نهضوي مركب يجمع بين الأصالة والمعاصرة. فإذا كانت أفكار الإصلاح التنويرية في فترة «الميجي»^(١) قد حرصت على تطوير القاعدة الاقتصادية والتكنولوجية بسرعة قصوى، فإنها بالمقابل حصنت الشعب من التغريب والتفكك القيمي؛ حيث كان شعار النهضة الجديدة هو: التقنيّة غربية، أما الروح يابانية.

لذا، فإنّ هناك فرقاً كبيراً ما بين الانفتاح الثقافي، والتغريب الخُلقي، فالانفتاح يقابل ويناقض التغريب الخُلقي، فالانفتاح الثقافي يقوم على مبدأ المثاقفة، أي: الاغتناء من ثقافة الآخر والاستفادة منها، وكذلك إغناء ثقافة الآخر، أي تبادل ثقافي قائم على الأخذ والردّ في حدود الثقافة والمعرفة، من دون إلزام ولا إرغام، فإنّ المثاقفة هي صيغة تفاعل وليست نتيجة لفعل ما، أما التغريب الخُلقي، فهو قائم على فرض الثقافة الغربية والنموذج الغربي على الواقع الخُلقي الإسلامي، وبذلك يكون الجبر والإرغام، وقد تحقّق ذلك من خلال الاستعمار، والغزو الثقافي، والعولمة.

١ - الميجي: الإمبراطور المستنير، أو الحكومة المستنيرة، وهو نموذج إصلاحية ياباني. راجع: ليث العنابي، تجارب نهضوية من واقع الحاجة البشرية، ص ٤١.

إن الانفتاح الثقافي يتطلَّب شعبًا مثقفًا وواعيًا، وحكومة قويَّة عادلة ومنصفة مع شعبها، واقتصادًا قويًّا، وثقافة عالية ذات بعد تاريخي وحضاري كبير، من دون ذلك فإنَّ الشعب سيذهب في مهب الريح من أوَّل اختبار لملامح الانفتاح الثقافي، وسيكون هذا الانفتاح وبالاً عليه، وسيفقد هويَّته وتاريخه وحضارته.

أمَّا أنَّه لم يكن الشعب قادرًا على ذلك، فإنَّ التغريب الخُلُقِي سيسيطر عليه، وسيكون مرتعًا لكلِّ التجارب الغربيَّة في جميع المجالات، حتى يصل به الحال إلى مرحلة مسخ الهويَّة الخاصَّة به، فيكون شعبًا غير غربي بالاسم فقط، وسيكون جسدًا من دون روح.

المبحث الثاني: مظاهر التغريب الخُلُقِي في المجتمعات الإسلاميَّة

أولًا: الترويج لمفاهيم خُلُقِيَّة تتعارض مع أسس الإسلام

التوضيح العام للمفاهيم الغربيَّة المطروحة:

إنَّ الترويج لمفاهيم خُلُقِيَّة تتعارض مع أسس الإسلام، مثل الحرية المطلقة، والفردانيَّة، واللذة بوصفها غاية يتطلَّب فهمًا عميقًا للخطورة

التي تمثلها هذه الأفكار عند محاولة نشرها في المجتمعات الإسلاميّة، فالإسلام يقدّم نموذجاً خُلُقياً متوازناً يعتمد على الحرّية المسؤولة، والعدالة، والتحكّم في النفس. فإنّ من المُهمّ توضيح المفاهيم الغريبيّة المطروحة التي تروّج لها الماكنة الإعلاميّة الغريبيّة، فإنّ من المُهمّ فهم المراد بها، والأهداف والغايات من ورائها.

١- الحرّية المطلقة:

لقد تكثرت الأقوال عن حرّية الفرد، فهناك من قال بإطلاقها، وهناك من قال بتقييدها، وقسم ثالث وضع شروطاً لتلك الحرّية. إنّ ما يهمننا هنا هو أن نعرف رأي أصحاب نظريّة الحرّية المطلقة وما هي أدلّتهم، وما هي غاياتهم التي يسعون لها. إنّ أصحاب نظريّة الحرّية المطلقة يقولون إنّ الإنسان - وبحكم طبيعته - حرّ، يستطيع فعل ما يشاء، وهم يوصون الآباء بقَبول جميع رغبات الطفل وسلوكيّاته وأحلامه وتصرفّاته، من دون النظر إلى طبيعة ما يفعله، ولا إلى عواقبه ومؤثّراته.

إنّ الحرّية المطلقة - بما يريد الغرب منها - مساوية للفوضى، وبالخصوص ما تنطوي عليه من اختلاط غير صحّي، فأصحابها يطمحون إلى الحرّية التي لا حدود لها، وهم ينفون وجود الأخلاق والقيم

والقوانين، ويقولون إنَّها مانعة للحرية، كما يقولون كلِّما زال الخوف زادت الحرية، وإنَّ تحديد الأشخاص بالقوانين سيزيد بلاءهم!

إنَّ من جملة أدلَّة أصحاب نظرية الحرية المطلقة، هي:

أ. إنَّ عالم الطبيعة مليء بالظواهر الحيوانية والنباتية الحرة، فلم

لا يكون الإنسان مثلهما؟

ب. إنَّ الحرية حقٌّ طبيعي للإنسان، وهو قد خُلِق حُرًّا، وإنَّ الطبيعة

هي الدليل إلى التربية والمثال عليها.

ج. إنَّ سلب حُرِّيَّة الفرد سيصيبه بالعقد النفسية، وهذا سيؤدِّي إلى

الصدمة الروحية، وسيكون له أثر سلبي في حياته.

د. إنَّ القضاء على الحرية سيؤدِّي إلى الكسل، والخول، والكآبة،

والتبعية الشديدة للأب أو الأم، ولهذا أثر سيئ على مستقبل الفرد.

ه. إنَّ الحرية ناشئة من الإرادة، وكلَّ إرادة تشير إلى وجود حاجة،

ولهذا لا يحقَّ حرمان الأفراد من إرادتهم.

إنَّ أصحاب نظرية الحرية المطلقة يعتقدون أنَّ الميول والرغبات

الباطنية عند الطفل هي خير دليل على سلامته الروحية والجسدية، وهي

خير دليل على سعادته المستقبلية. لذا، يجب قبول ذلك فيه، فإنَّ وجود

الحرية المطلقة سيكون سببًا إلى النشاط والفرح والسرور الروحي عنده،

وهذا ما يجب العمل عليه عند تربيته.

إنَّ الحُرِّيَّةَ المطلقة تسبّب عدداً من الأضرار للطفل ولل فرد، ومن تلك الأضرار:

أ. الأضرار النفسية: فإنَّ الحُرِّيَّةَ المطلقة تسبّب الصدمات النفسية للأطفال؛ كونهم لا يستطيعون تشخيص طريق الخير أو الصلاح، فإنهم أسهل ما يقعون في المخاطر والفخاخ، وأنهم بسبب حبّ اطلاعهم سيقعون في الأخطار النفسية المدمرة.

ب. الأضرار الجسدية: إنَّ الحُرِّيَّةَ المطلقة ستسبّب للأطفال أضراراً جسدية قاتلة ومميته، كاللعب بالكهرباء، أو اللعب مع الحيوانات المفترسة، أو مع أصحاب الأمراض المعدية والخطرة.

ج. الأضرار على المستقبل: فإنَّ الحُرِّيَّةَ المطلقة ستؤدّي إلى أضرار على مستقبل الطفل أو الفرد، فهي ستؤدّي به إلى الفوضوية في العيش، وعدم الانضباط، والتأثير السلبي على الآخرين، كما أنَّ الحُرِّيَّةَ المطلقة ستجعل من الفرد عنصراً خاملاً وعديم الإرادة، يستسلم لأنواع الظروف المختلفة، إنَّ الحُرِّيَّةَ المطلقة ستؤدّي إلى توسع غريزة التخريب، والتهجّم على الآخرين، وهذا سيؤدّي إلى إيذاء النفس والآخرين.

٢- الفردانيَّة:

إنَّ مفهوم الفردانيَّة يعني: مركزيَّة الذات الإنسانيَّة وحرِّيَّتها وفعاليتها على جميع المستويات... ويتضمَّن مبدأ الذاتِيَّة أربعة مفاهيم، هي: الفردانيَّة، والحقُّ في النقد، واستقلاليَّة الفعل، والفلسفة التأمليَّة؛ باعتبار أنَّ الفلسفة التي تمسَّك بالفكرة التي لها وعي بذاتها، وهي نتاج الأزمنة الحديثة^(١).

إنَّ الفردانيَّة هي وجود سمات خاصَّة عند الفرد لا تتكرَّر عند غيره، فالفردانيَّة هي صورة الإنسان الذي يتميَّز عن الآخرين أو الجماعة بطرق تفكيره وعلمه ونظرته إلى الوجود، وأنَّها حالة من إعطاء الفرد سمات وخصائص شخصيَّة يتفرَّد بها، ويكتسب عبرها هويَّته المميَّزة، لكنَّ الفردانيَّة لا تعني من جهة أخرى العزلة أو التضادَّ مع ما هو اجتماعي بل تعني أنَّ الفرد يكتسب خصائص يتميَّز بها عن الآخرين في سياق التعاون والتكامل الاجتماعي^(٢).

إنَّ الفردانيَّة هي الحالة التي يكون فيها الفرد كيان مستقلَّ متفرَّد عن الجماعات التي من المفترض أن ينتمي لها، وهو قادر على اتِّخاذ قراراته

١ - مجموعة مؤلِّفين: مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، ص ١٢.

٢ - لويس دوما: المفهوم الحديث للفردانية، - Louis Dument, le concept moderne de l'individu, Paris 1978

استناداً إلى إمكانيّاته الخاصّة به هو، وقدرتها، واستقلاليّته المطلقة. إنّ الفرد بحسب الفردانيّة هو: كائن إنساني يمتلك وحدته الداخليّة، ويؤدّي وظيفته بنسق ونظام متكاملين، ويمتلك استقلاليّة خاصّة في الوسط الذي ينتمي إليه^(١).

لقد بدأت الفردانيّة تنتشر في مجتمعاتنا بشكل واضح، لتصبح حقيقة ملموسة نتعايش معها رغماً عنّا داخل البيوت وفي علاقاتنا الاجتماعيّة بصفة عامة، فرغم أنّ انتشارها كان غريباً بالدرجة الأولى منذ منتصف القرن التاسع عشر بشكل محتدم لتصل إلى أوجها في القرن العشرين، لكنّها صارت سلوكاً يطبع مجتمعاتنا بشكل كبير، فصار العارفون والمتخصّصون في مجال علم الاجتماع، فضلاً عن العامة من الناس، ينبّهون من خطورة تفشيّ هذه الظاهرة.

إنّ من أخطارها هو انخفاض عدد الأسر، أو انخفاض أعداد الأسرة من الداخل، وإنّ هناك تناقضاً واضحاً في عدد أفراد الأسرة مقابل ارتفاع عدد الغرف، وذلك بسبب التوجّه نحو حصول كل فرد على غرفة بشكل منفرد. تتجلى الفردانيّة في اللجوء إلى الصمت المطبق داخل البيت وفي العمل، وعدم السؤال عن أحوال الأهل والأصدقاء، والاكتفاء بتبادل

١ - نورة عابد: مفهوم الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر.

الرسائل النصيَّة النمطيَّة عبر الهاتف لتبرير التواصل معهم خلال الأعياد والمناسبات، فصار الهاتف المحمول هو الأنيس الوحيد في غالب الأحيان حتَّى أثناء اللقاءات العائليَّة الضيقة، ليصل الأمر إلى انطواء بعض الأفراد على أنفسهم، مكتفين بعلاقات اجتماعيَّة جدَّ محدودة، فصارت الانعزاليَّة والابتعاد عن الناس رمزاً للتحضُّر حسب الفردانيين.

إنَّ الإفراط في النزوع نحو الفردانيَّة سيؤدِّي حتماً إلى تحلُّل العلاقات الإنسانيَّة، ومن ثمَّ بداية انهيار البناء الاجتماعي مقابل تضخُّم الذوات وترسُّخ الماديَّة والأنانيَّة، وتحوُّل الإنسان الكامل إلى إنسان ناقص عابث لا يهَمُّه إلا إشباع حاجاته الماديَّة حتى لو كانت افتراضيَّة، إن لم يكن يصدِّقها هو، فإنَّ سلوكيات الأفراد تجعله يصدِّق ذلك رغماً عنه، فيغرق في الفردانيَّة.

٣- اللذة بوصفها غاية:

يرتكز مذهب اللذة على إعطاء الأولويَّة للمتعة بوصفها ركيزة أساس في حياة الفرد، وفي سلوكه، وتفكيره، وحياته، ويشمل هذا المفهوم مجموعة من الطروحات المتنوعة في مجالات: الفلسفة، والفن، وعلم النفس؛ حيث يكون تناول قضايا المتعة الحسيَّة، والممارسات الفكريَّة، والأمور الشخصيَّة. كما يُستخدم هذا المصطلح في اللغة الحياتيَّة بشكل قدحي، ليدلَّ على سعي بعضهم نحو الأنانيَّة، وإشباع الغرائز، من دون

مراعاة الآخرين، ومن دون التفكير في عواقب ذلك.

إنَّ مذهب اللذة الخُلُقِيَّة، أو اللذة المعياريَّة يقوم على أساس السعي لتحقيق المتعة، وتجنُّب الألم، سواء بالنسبة للفرد أم الآخرين، وذلك السعي يمثِّل أقصى تعبير عن الخير الخُلُقِي!

إنَّ اللذة مذهب غير خُلُقِي، يرى بأنَّ اللذة هي الشيء الجيِّد الوحيد في الحياة، تأسَّس في العهد اليوناني القديم، وظهر بثوبه الجديد في مذهب المنفعة الذي نادى به فلاسفة أوروبا والغرب، ورؤيتهم إلى اللذة بأنَّها وحدها الخير، فهي خير دائم، ولا توجد اللذة إلا من خلال إقصاء الألم وكلِّ ما يعكِّر صفو العقل.

إنَّ اللذة في الإسلام ليست هي الغاية النهائيَّة، فالإسلام لا ينكر اللذة؛ كونها جزءاً من حياة الإنسان بل يحثُّ على الاعتدال في الاستمتاع بها. إنَّ اللذة الحلال، مثل الطعام والشراب والعلاقات الأسريَّة، يجب أن تكون موجَّهة بشكل يتماشى مع القيم الخُلُقِيَّة، أمَّا إذا تحوَّلت اللذة إلى هدف في حدِّ ذاته، فإنَّها يمكن أن تؤدِّي إلى التفرُّط والمخاطر، ما يضرُّ بالفرد والمجتمع.

كما أنَّ اللذة مرتبطة بالنيَّة، ففي الإسلام كلُّ عمل يعملُه المسلم يمكن أن يكون مصدرراً للشواب إذا كان بنية صافية، والسعي وراء اللذة ليس بذاته أمراً محرماً، ولكن إذا كانت اللذة على حساب الواجبات الدينيَّة أو

الإضرار بالآخرين، فإنَّ ذلك يتعارض مع التعاليم الإسلاميَّة. لذا، يجب توعية الناس بأنَّ السعادة الحقيقيَّة لا تأتي من اللذَّة المؤقتة بل من السكينة النفسيَّة الناتجة عن الالتزام بالأخلاق الإسلاميَّة، ويجري تعزيز مفاهيم، مثل الصبر، والشكر، والاتزان في الاستمتاع بنعم الله - سبحانه وتعالى - من دون أن تصبح اللذَّة هي الهدف الأسمى.

الاستراتيجيَّات الصحيحة في الترويج للمفاهيم الإسلاميَّة:
فمن المُهمَّ الترويج للمفاهيم الإسلاميَّة الصحيحة في مواجهة المفاهيم الغربيَّة المخالفة للأخلاق، وللدين، وللأصول، والثوابت الإنسانيَّة، ويجري ذلك من خلال عدَّة نقاط، منها:

أ. التعليم والتوعية: وذلك من خلال الندوات، والدروس، والبرامج الإعلامية؛ إذ يجب توضيح الفرق ما بين الحرِّيَّة الإسلاميَّة المسؤولة والحرِّيَّة المطلقة، وكذلك توضيح كيف أنَّ التكامل بين الفرد والمجتمع له أثر إيجابي على الجميع.

ب. استخدام القصص والفن القصصي: من خلال الاستفادة من القصص القرآني والسيرة النبويَّة في تعليم القيم الاجتماعيَّة الصحيحة، فالنبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان دائماً يوازن ما بين حقَّ الفرد وحقَّ المجتمع، وهو النموذج الأمثل في هذا الصدد.

ج. الحديث عن مفهوم السعادة الحقيقيَّة في الإسلام: من خلال

الفصل الثاني - المبحث الثاني (١٠)

نشر ثقافة أنّ السعادة ليست في اللذة أو الإشباع الفردي بل في الطاعة لله، والقيام بالواجبات الاجتماعية، والتوازن النفسي، فالإسلام يقدم نموذجاً لحياة مليئة بالسلام الداخلي والنجاح في الدنيا والآخرة.

د. الإشارة إلى الآثار السلبية للفردانية: إذ يمكن تقديم أمثلة حيّة من المجتمعات التي تعتمد على الفردانية المطلقة التي غالباً ما تؤدي إلى التوتر الاجتماعي والتفكك، وتحقيق الفشل على مستوى المجتمع.

هـ. التفاعل مع وسائل الإعلام: ففي ظلّ العصر الرقمي ووسائل التواصل الاجتماعي، يمكن أن يكون للمحتوى الرقمي دور مهمّ في نشر القيم الإسلامية، من خلال استخدام هذه المنصّات لعرض المواد التوعويّة والقصص المؤثّرة الذي يمكن أن يكون له أثر إيجابي.

و. الاستفادة من الفئات المؤثّرة: كالقيادات الدينيّة والشبابيّة، فإنّ استخدام الشخصيات المؤثّرة في المجتمع، سواء كانت دينيّة أم شبابيّة، لنشر الرسائل الصحيحة عن مفهوم الحرية، والفردية، والسعادة في الإسلام، له أثر كبير في التوعية والتعليم. لذا، فإنّ هؤلاء يمكنهم أن يكونوا سفراء للرسالة الإسلاميّة الخُلقيّة.

فمن خلال هذه الاستراتيجيات، يمكن مواجهة الترويج للمفاهيم التي تتعارض مع الإسلام، والعمل على نشر القيم الإسلامية التي تؤكد على التوازن بين الحرية والمسؤولية، الفرد والمجتمع، واللذة والتقوى. لذا، فإن الترويج لمفاهيم ومصطلحات خُلُقِيَّة، كالحرية المطلقة، والفرديَّة، واللذة باعتبارها غاية تتعارض مع أسس الإسلام ومبادئه، وهو يؤثّر على سير الفرد وسلوكه في المجتمع، ويحوّله من إنسان إلى حيوان، ومن شخص حرّ إلى شخص مُستعبد من قبل شهواته ولذّاته وانفلاته. لذا، فإنّ من المهمّ توضيح أمثال هذه المصطلحات والمفاهيم الخطرة، الناعمة من جانب، والقاتلة من جانب آخر التي تريد محو الأسس القيمية الحقيقية التي جاءت بها الأديان السماوية، وتحلّ محلّها نظريات وضعيّة شيطانية، هدفها تدمير روح الإنسان وتحويله إلى حيوان يبحث عن شهواته ولذّاته فقط، بغضّ النظر عن تأثيراتها، أو آثارها الجانبية.

ثانياً: تأثير الإعلام الغربي ووسائل التواصل الاجتماعي في تغيير القيم لدى الفرد المسلم
١- الإعلام الغربي:

إنّ الإعلام الغربي هو الإعلام التابع للدول الغربية، رغم أنّ الغرب لا يقتصر على أمريكا، لكنّ هيمنتها على الدول الأجنبية في أوروبا وغيرها

الفصل الثاني - المبحث الثاني ١٠٣

جعل مصطلح الغرب أو العالم الغربي يطلق ليراد به المنظومة التي تقودها أمريكا.

إنّ الإعلام الغربي قائم على متخيّل مُختلّق لأعداء من دين معيّن، ومكان معيّن، وأهداف معيّنة، تريد محاربة الغرب الذي يمثّل الخير! لذا، فإنّ الغرب من خلال الإعلام، وغير ذلك، سيحارب ذلك المتخيّل! مع إيجاز ما تقدّم، أين الديمقراطية؟ وأين حقوق الإنسان؟ وأين الشعارات الرنّانة التي يصدح بها الغرب ليل نهار؟!

إنّ الإعلام الغربي قائم على تشويه الأشياء، وعلى التهافت، وتعريف الأشياء بحسب هواه ومصالحته، فمثلاً نجد في أبحاث القسم الفيدرالي لمكتبة الكونغرس الأمريكي ما نصّه: «تتنوّع تعاريف الإرهاب على نحو واسع، وعادة تكون غير ملائمة، حتى باحثي الإرهاب غالباً يهملون تحديد الاصطلاح... وبالرغم من ذلك، ربّ عملٍ ينظر إليه في الولايات المتحدة بحسبانه عملاً إرهابياً لا يرى كذلك في بلد آخر، ونوع العنف الذي يميّز الإرهاب عن غيره من أنواع العنف، كالجرائم العادية، أو عمل الجيوش في أوقات الحروب، يمكن أن يُحدّد بعبارات تجعله معقولاً»^(١). هنا تقع الازدواجيّة القائلة لكثير من المفاهيم الغربيّة بشكل عام،

وللمفاهيم الأمريكيَّة بشكل خاص، وهنا يمكن أن نذكر الملاحظات الآتية:

أ. نجد غزواً يرافقه عنف يوطَّر بإطار الدفاع عن النفس وحفظ أمن الدولة الفلانيَّة، والجماعة الفلانيَّة، ونرى دولاً ومنظّمتين دوليَّةً تؤيِّد ذلك ولا تعتبره عنفاً أو إرهاباً أبداً. وأكبر مثال على ذلك ما تفعله إسرائيل في فلسطين المحتلة، وفي لبنان، وفي الوقت الحاضر مع إيران وسوريا، بل وحتى مع العراق وأفغانستان، ودول أخرى. إنَّ مشروع المقاومة الجهادي بدأ يفرض وجوده بالتحديِّ الأكبر للعدوِّ الصهيوني بلا منازع، ودرجة حتى الأحزاب الفلسطينيَّة غير الإسلاميَّة بدأت تتبنَّى مشروع المقاومة الإسلاميَّة الجهادي، وأصبحت ثقافة الشارع الفلسطيني ثقافة استشهاديَّة عامة وشاملة، ما جعل (آريل شارون - Ariel Sharon) يفشل في تنفيذ وعوده في القضاء على الانتفاضة في مئة يوم، فمضت سنوات ولم تمت ثقافة الاستشهاد، ولم تتوقَّف في إنتاج قوافل الاستشهاديين. إنَّ تجذّر المشروع الجهادي بحيث أصبح ثقافة عامَّة في الشارع الفلسطيني؛ يعدّ سبباً أساساً من أسباب دفع الصهاينة، وعبرَ لوبيهم في الإدارة الأمريكيَّة إلى احتلال العراق والبدء

بخطوات هجومية شاملة انطلاقاً من ساحة هذا البلد^(١).
ب. نجد احتلالاً وتجاوزاً يؤطر بإطار حفظ الأمن العالمي، أو ما شاكل ذلك. ومثاله ما تحجّجت به أمريكا سابقاً في غزواتها الطائشة الكبرى في أمريكا الجنوبية، وآسيا، وما صنعته كذلك في غزوها لأفغانستان، والعراق. ولعلّ القول إنّ أمريكا ذهبت لاحتلال العراق وإسقاط نظامه الصدامي الديكتاتوري لتدمير أسلحة الدمار الشامل، هو استخفاف بعقول الناس بعد انكشاف كذب التقارير الاستخباريّة، واعتراف المسؤولين الأمريكيين وعلى رأسهم (جورج بوش الابن - George W. Bush) بهذا الكذب، وبخداعهم للأمريكيين وللرأي العام. فالدوافع الأمريكيّة لهذا الزحف العسكري يرتبط بمشروع أمريكا الكوني، ولا يرتبط بالعراق والمنطقة فحسب^(٢).

٢- وسائل التواصل الاجتماعي:

إنّ وسائل التواصل الاجتماعي اليوم أصبحت محلّ اهتمام أغلب الشباب على طول يومهم، فشكّلت جزءاً مهمّاً يأخذ حيناً من وقتهم، ما

١ - مهدي حسن الخفاجي: أمريكا مصدر الإرهاب في العراق، ص ٢٥.

٢ - مهدي حسن الخفاجي: أمريكا مصدر الإرهاب في العراق، ص ١٧.

انعكس على سلوكياتهم؛ إما إيجاباً، والأكثر سلبيًا. إنَّ الجانب الإيجابي لوسائل التواصل الاجتماعي، هي أنَّها قد أظهرت المواهب المدفونة للشباب، بعد أن كانوا مهمَّشين، نظرًا لما قد يعانون من مشاكل جسديَّة وعقليَّة، وهم - بسبب ذلك - يعانون من قلَّة الاهتمام، فكانت وسائل التواصل فرصة لهم للانخراط في صداقات متعدِّدة، والتعرُّف على مختلف الثقافات من مختلف البلدان، وكذلك كانت فرصة لبعضهم في الحصول على فرص عمل بما يناسب وضعهم، ومن ثمَّ التعبير عمَّا في داخلهم، وبالطريقة التي يفضلونها، كما أنَّ بعضهم أصبح أكثر تديُّنًا وتمسُّكًا بالدين؛ نظرًا للمعلومات التي تلقَّوها عن طريق السماع والقراءة، فكانت هذه المواقع مصدر معلومات ونصح وهداية لهم.

أمَّا الجانب السلبي لوسائل التواصل الاجتماعي، فهو الاستخدام غير الصحيح والمفرط، وبصورة مستمرَّة، بحيث ولَّد الاكتئاب عندهم، مضافًا إلى الاضطرابات النفسيَّة والعصبية، ونقص في التركيز، وما تسبَّبه من روح معارضة دائمة وجدال أو الهروب من المشاكل، مضافًا إلى التقليد الأعمى، والنقاش في المعتقدات الدينيَّة على نحو التشكيك، فيؤدِّي ذلك إلى الشك في كلِّ شيء، وبالتالي فإنَّ ذلك سيؤثِّر تأثيرًا واضحًا على أفكار الشباب وتصرُّفاتهم، ومن ثمَّ الذهاب بهم نحو الهلكة والتدمير.

إنَّ شبكة الإنترنت - عمومًا - جاءت لغرض بناء مجتمع إنساني حديث،

الفصل الثاني - المبحث الثاني ١٠٧

وليكون متطوراً فكرياً وثقافياً وعلمياً، فكان الهدف منها هو نشر العلوم والمعارف، وليكون العالم مكاناً يسهل طرح العلوم المتنوعة فيه، وكذلك التبادل التجاري للسلع وبكل سهولة، مع سهولة الاستخدام لكل الفئات لهذه الشبكات، وبالطبع إذا كانت هناك فائدة فكرية وثقافية ومادية فلا تعدّ كثرة استخدام هذه الشبكات مضرّة، لكنّ وفي الوقت نفسه يجب الحذر من الاستخدام المفرط؛ لأنّ هناك بعض الشباب يعاني من الكبت الداخلي والحرمان، وهذا سيؤدّي إلى أن يكون استخدامه غير صحيح، فهو قد يجنح نحو الأمور الكوميديّة الساخرة أكثر من الجادة والمفيدة، وذلك بسبب الحرمان والكبت الذي يعيشه؛ حيث يعتقد أنّها حُرّيّة ومنتقّساً له، وقد يجنح - كذلك - إلى الأمور المحرّمة، ما يؤدّي إلى الانحراف.

لذلك فمن الأجدر والأولى تثقيف الشباب وتسليحهم بالوعي المطلوب؛ لكيلا يقعوا ضحيّة التيارات المنحرفة التي ستؤدّي بهم إلى عواقب لا تحمد، عليهم وعلى المجتمع كلّ.

لذلك، فإنّ دور الخبير الموجّه للشباب - ضمن هذا الانفتاح العالمي الكبير - ضروري، فضرورة وجوده في الساحة لا غنى عنه، فهو الذي يأخذ على عاتقه توجيه الشباب وهدايتهم.

إنّ التطوّر التكنولوجي قد وجد لخدمة العلم والإنسانيّة، وهو مشترك

بين الإيجابي والسلبي، فعليهم الاستفادة منه علمياً ومعرفياً، والابتعاد عن الذهاب في طريق الظلام والضلالة الذي يريده لهم أعداء الدين والإنسانية وتحت مُسمّيات مختلفة، لذلك عليهم الحذر؛ لأنك تستطيع غلق بابك بوجه الغرباء، أمّا هذه الوسائل فهي تقتحم الدور من دون استئذان، وذلك خطير جداً، ومن الصعب تركه أو غضّ البصر عنه، وفي الوقت نفسه من الصعب المنع المطلق عنه، والحلّ الوحيد هو ترشيد استخدامه، على أن يكون هذا الأمر من ضمن أولويّات العقلاء في المجتمع، ووضع البرامج الخاصّة له في التوجّه نحو تقنين الاستخدام وبما يتناسب مع العلم والإنسانية، ليكون مصدر هداية ومنفعة، لا مصدر ضلال وضرر.

لذا، فإنّ الإعلام الغربي ووسائل التواصل الاجتماعي لهما دور كبير في تغيير تشكّل وبناء القيم عند الفرد المسلم، وهذا ما يجب الحذر منه؛ لأنّه يشكّل الخطر الكبير على أجيالنا، وعلى المنظومة الخُلُقِيَّة ككلّها.

ثالثاً: التّغريب في التّربية والتعليم ودوره في إضعاف الأخلاق والقيم الإسلاميّة

لقد واكبت التربية خطّ المسيرة الإنسانية من يوم أن خلق الله - سبحانه وتعالى - الأرض ومن عليها مواكبة تردّدت ما بين العناية والتوجيه تارة،

الفصل الثاني - المبحث الثاني ١٠٩

والصعود والنزول تارة أخرى، فالعملية التربوية مشروطة بظروف الزمان والمكان، مضافاً إلى وجود الأسس والنماذج.

لقد مرّت العملية التربوية وعلى طول مسيرة الإنسان، بتغيّرات، وتبدّلات، وتطوّرات، وانتكاسات، ما دفع إلى ضرورة الالتفات لها، والتأكيد عليها، وصياغة العلوم الداعمة لها، بل جعلها علم بحد ذاته.

لقد بدأت التربية الإسلامية مع إشراقة نور الإسلام في القرن السابع الميلادي؛ ففي عام ٦٠٩ م بعث الله - سبحانه وتعالى - النبي محمّد بن عبد الله ﷺ نبياً ورسولاً وهادياً ومرّبياً.

إنّ رسالة الإسلام هي في حقيقتها رسالة تربوية جاءت لخير الناس وصلاحهم، وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد، فسأد هذا الدين بهذه المفاهيم التربوية أرجاء العالم، وانتشر في جميع الأنحاء، وكانت له الريادة والقيادة في مجال التربية والأخلاق.

إنّ التربية في يومنا هذا - منهجياً وبشكل عام - تعتمد وبصورة أساس على ما وصل إليه الفكر الغربي في مجال التربية، من أطروحات ونظريات ما أودى بالأمة الإسلامية إلى أن تفقد هويّتها التي أساسها الدين الإسلامي، وذلك بكل ما يحمله من منظومة ومنهج متكامل في الحياة. ساعد على ذلك التماهي ابتعاد الأمة عن النموذج الإسلامي الحقيقي نحو النموذج السلطوي الذي لا يمثل من الإسلام إلا الاسم فقط.

فإذا أرادت الأمة الإسلامية أن ترجع إلى موقع الصدارة والريادة، فعليها أن تعيد النظر في كامل منظومتها التي شابها التحريف والخمول، والتقليد الأعمى.

وعلى الأمة الإسلامية أن تصحح مفاهيمها ونظرياتها الحياتية، وبالخصوص في الجانب التربوي وذلك؛ بأن ترجع إلى كتاب الله -تعالى- بما فيه من آيات مباركة في مجال التربية والتعليم، وبناء الأمة، وإن ترجع إلى الأحاديث النبوية الشريفة، وإلى تراث أهل البيت (عليهم السلام) في مجال البناء الإنساني الصحيح.

إن التربية هي: عملية إنسانية وسلوكية، واجتماعية، وحضارية، تتألف في جوهرها من التعلم القائم أصلاً على الجهود الذاتية للمتعلّم، المتجلية في تشكيل سلوكه، والمؤدية إلى تطوير شخصيته، وبالتالي مساهمته في تقدّم مجتمعه وتمكينه من المساهمة في بناء الحضارة الإنسانية. وبهذه الصورة، هي عملية سلوكية واجتماعية، غايتها القسوى خير الإنسان، وخير المجتمع، وخير الإنسانية جمعاء^(١).

إن العملية التربوية كلُّ متكامل له أسسه ومبنياته، ولا يمكن تجزئته، أو اختصاره، فبدءاً من البيت، وحتى المدرسة، وفي الأماكن العامة، وفي

الفصل الثاني - المبحث الثاني (١١)

الشارع، والمسجد، فإنّ لكلّ مكان طريقة التعامل الخاصّة به، والتي هي مبنية على أسس محدّدة يكون الجاهل بها جاهلاً بأسس التربية الصحيحة. إنّ الجهل بأسس التربية يؤدّي إلى ضياع الفرد، ومن ثمّ صناعة جيل يفتقر لأسس التربية الصحيحة، والذي لا يمكن السيطرة عليه، ولا بدّ أن نعلم أنّه في الإطار التربوي العام يوجد خلط واضح في موضوع إعداد الأجيال وتربيتها وتعليمها؛ وذلك جرّاء الخلط الحاصل ما بين الأهداف التربويّة والأهداف التعليميّة، فنجد - مثلاً - أنّه في البيت وحتى في المدرسة لا يُعلم ماهيّة هذه الأهداف بل نجدهم يخلطون بينها خلطاً فاحشاً، والحقّ أنّه لا بدّ أن نعلم الفرق بينهما لتحقيق الأهداف المرجوة في مجالي التربية والتعليم على حدّ سواء.

إنّ الأهداف التربويّة هي أهداف عامّة بعيدة المدى، تصاغ في عبارات تصف الغايات النهائيّة القصوى للتعليم، أمّا الأهداف التعليميّة فهي أهداف قصيرة المدى، تصاغ في عبارات أقلّ عموميّة، تصف مخرجات تعليميّة محدّدة.

إنّ للتربية وللعمليّة التربويّة أهدافاً كليّة وأخرى جزئيّة، كما أنّ لها أهدافاً عامّة، وأخرى خاصة لا بدّ لكلّ معلّم ولكلّ تربوي أن يكون عالماً بها، ولقد وضّح القرآن الكريم عدداً كبيراً من هذه الأهداف، كما وقد بيّنت أحاديث المعصومين (عليهم السلام) هذه الأهداف والغايات، ووضّحت

الأسس التي من الواجب السير عليها لتحقيق الهدف التربوي الأسمى. فعلى مؤسَّسة المدرسة أن تكون مؤسَّسة تربويَّة وليست تعليميَّة فقط، لأهميَّة ذلك في بناء الأجيال؛ لأنَّ الطالب يقضي أكثر ساعات يومه فيها، ومنها يبدأ في تكوين صداقاته، وصناعة خزينه العلمي تمهيداً للانطلاق نحو العالم الأكبر.

لقد جاء التغريب في التربية والتعليم ليُضعف الأخلاق والقيم الإسلاميَّة عند الفرد والمجتمع، وليأتي بمناهج، ونظريَّات، وشخصيَّات ونماذج غربيَّة، بعيدة عن الدين، وعن الالتزام الخُلُقِي. فعلى سبيل المثال، يقول الأستاذ (إدريس هاني): «يمثّل برنارد لويس نموذجاً للشخصيَّة الجامعيَّة التي وظَّفت معرفتها بالشرق، ولا سيَّما الإسلامي، في دعم سياسة التحريض والتوجَّس والسيطرة؛ أي أننا أمام مثال صارخ لتدهور الأخلاق الجامعيَّة بامتياز. فبرنار لويس لا يتصرَّف كجامعي أو عالم بل في القول كسياسي متورِّط في مواجهة دول وثقافات»^(١).

إنَّ التغريب في التربية والتعليم أخذ أشكالا متعدِّدة، ما سبَّب في إضعاف الأخلاق والقيم الإسلاميَّة عند الفرد والمجتمع، ومن ذلك

١ - إدريس هاني: أخلاقنا: في الحاجة إلى فلسفة أخلاق بديلة، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ص ١٤٨.

الفصل الثاني - المبحث الثاني ١١٣

انبهار المعلمين بالنماذج الغربية، والترويج لها، ومدح النماذج العربية أو الإسلامية المنتقدة للإسلام ومصادره وتراثه بل أصبحت موضة بأن يُعدّ الإنسان فاهماً ومنفتحاً عندما ينتقد الإسلام، أو ينتقد القرآن الكريم، أو ينتقد المعصومين عليهم السلام، أو يأتي بنظريات هزيلة عن قضايا لا دليل عليها أبداً إلا مخيلته الملتبسة، والمتأثرة بالجهل المركّب الذي وقع فيه.

إنّ أهمّ آليات الهيمنة الثقافية هي: كتابة مناهج التربية والتعليم على ضوء فلسفة فصل الدين عن الحياة، وأيضاً الاستغلال السلبي التام للقنوات الإعلامية، ولا يخفى ما لأهميّة هذين الجهازين - التربية والإعلام - من أثر فعّال وخطير في المجتمع؛ فبعد التطوّر التقني للبت التلفزيوني، فإنّ ما كان مقروءاً ومسموعاً صار مرئياً وعلى مدار الساعة، وصار كلّ من على وجه الأرض يشاهده عبر الاقمار الصناعية. إنّ هذه الاجهزة بعملها الدؤوب المتواصل تبثّ وبكثافة فكرها المسموم، وتقاليدها الموبوءة وقيمها البعيدة كلّ البعد عن تعاليم السماء، ومن ثمّ ممارسة التغريب في التربية والتعليم وما له من أثر في إضعاف الأخلاق والقيم الإسلامية للفرد وللمجتمع، فهذا التغريب الذي يجري عبر الأيديولوجيا، ومناهج التعليم، والإعلام، والتكنولوجيا، له أثره الفاعل على الفرد، والأسرة، والمجتمع، وهذا ما نشاهده في عالمنا العربي والإسلامي، وما نشاهده على جيل الشباب بشكل واضح ومخيف.

المبحث الثالث: أدوات تغريب الثقافة الخُلُقِيَّة ووسائلها

أولاً: السينما والتلفزيون والمسلسلات والأفلام ووسائل لنشر القيم الغربية

إنَّ التغيُّر الثقافي قد يتأتَّى من تغيُّرات ضئيلة في المجتمع، تتسلل إليه عبر الأزياء أو الأغاني أو الأفلام، فإذا تأثَّر بها من يعتبرهم المجتمع صفوة أو نجومًا، كالفنانين، والرياضيين، والإعلاميين، دفعهم ذلك إلى سلوك جديد أو تغيير في سلوكهم القديم، وعندما يتأثَّر محبوبهم ومن حولهم من أفراد بهذا السلوك، فإنَّهم يبادرون إلى تقليدهم، وفي هذه الحالة إمَّا أن يلاقى رفضًا من المجتمع وخصوصًا من قبل بعض المثقفين الذين يحاولون تحصين ثقافتهم، أو أن يلاقي تقبُّلاً من المجتمع، أو غضَّ النظر عنه فيستمر بل يستقرُّ مضيئًا قيمةً جديدةً في ذلك المجتمع أو مغيِّرًا لقيمةٍ فيه. وبذلك يكون هذا السلوك هو المسيطر وسواه هو الشاذُّ، وهذه القيم الجديدة هي الأساس وعكسها هي الاستثناء، وما أن ينتقل من جيل إلى آخر حتى يتحول إلى جزء من ثقافة ذلك المجتمع^(١).

١ - راجع: الغزو الثقافي وكيفية مواجهته.

إنَّ أشكال التأثير الثقافي اليوم هي ما يطلق عليه بالقوَّة الناعمة؛ ففي عالمنا اليوم، يعتقد عادة أنَّ القوَّة الناعمة لأميركا تكمن في شعبية أفلام هوليوود، والكوكاكولا، وماكدونالدز، وستاربكس بمختلف أنحاء العالم^(١).

ولأنَّ تراث أي أُمَّة يراد به إرثها ومخزونها الثقافي، والحضاري، والفكري، والديني، والأدبي، والفني الذي حفظته وتناقلته الأجيال جيلاً بعد جيل، مفتخرة به، ومستفيدة منه^(٢). فهذا هو التراث، وهو رمز الأُمَّة، وأساس بقائها.

إنَّ هذا ما يُسمَّى إعلامياً بالتغطية: وهو أسلوب إعلامي على سبيل التضليل، بقصد قلب الحقائق أو تزييف الوعي، وتشكيل العقل وفق إملاء شروط الهيمنة. وكان قد وضَّح مثل هذا المفهوم خير توضيح (إدوار سعيد) في كتابه «تغطية الإسلام» «١٩٨٢ بالإنكليزية» وهو عن التضليل الإعلامي والأيديولوجي الذي مارسه وسائل الإعلام الأمريكية للتغطية على الإسلام، والحكم عليه بالإرهاب^(٣).

نعم، إنَّه مشروع أمريكي يريد إخضاع الأُمَّة الإسلاميَّة للمنظومة

١ - علي محمد الحاج حسن: الحرب الناعمة: الاسس النظرية والتطبيقية، ص ٩٩.

٢ - ليث العتايي: الأدوات المعرفية، ص ١٤٣.

٣ - عبد الله أبو هيف: الغزو الثقافي والمفاهيم المتصلة به.

الغربيَّة، ويجعل من أميركا - باعتبارها القطب المركزي الأحادي في العالم بعد سقوط الاتحاد السوفياتي - يجعلها المتحكِّمة بإدارة أدوات منظومة العولمة ووسائلها، لذا فقد لجأ إلى القوَّة الناعمة ليخرب من داخلنا، وليسقطنا من داخلنا، بأيدينا وأدواتنا، من دون أن نلتفت في كثير من الأحيان إلى ما يحصل بل نعيش حالة الغبطة بما يحصل، يترافق ذلك مع تعديل القيم التي يريدون تأسيسنا عليها لتسود قيمهم، ثمَّ نندفع بشكل طبيعي وعادي لتصديقها وتنفيذها، فيتعدَّل سلوكنا تبعاً لها، فتحوَّل اتباعاً بدل أن نكون مستقلِّين وأصحاب قرار^(١). وذلك هو ما يريدون.

وعن مدى تأثير الإعلام الغربي على العالم، وعلى العرب، وعلى المسلمين، فلقد أُجريت عدد من الدراسات عن وسائل الإعلام ومستخداميها، فكانت النتيجة: أنَّ نسبة الأفلام الأمريكيَّة - مثلاً - تزيد عن ٧٠٪ من الأفلام المعروضة في البلدان العربيَّة، أمَّا برامج التسلية التلفزيونيَّة فتزيد عن ٧٥٪ منها أمريكيَّة، وفي العالم أجمع عشر وكالات دوليَّة للدعاية، تسع منها أمريكيَّة، وأربع وكالات للأخبار، اثنان منها أمريكيَّة، أما البثُّ عبر الأقمار الصناعِيَّة، فالسابق والهيمنة فيه هو للولايات المتحدة الأمريكيَّة طبعاً^(٢).

١ - نعيم قاسم: كيف نواجه الحرب الناعمة؟، ص ٧.

٢ - راجع: حسين أبو نادر: الاختراق الثقافي سمعياً وبصرياً، شبكة النباء.

الفصل الثاني - المبحث الثالث ١١٧

من المؤكّد أنّ تلك الأفلام والمسلسلات تدعوا إلى الانحلاليّة، واللا شرعيّة، وتضعيف العلاقات والروابط الأسريّة، والترويج لكلّ ما ينافي الفطرة الإنسانيّة ويتنافى مع الأخلاق السامية.

إنّ حرب أمريكا وإسرائيل الناعمة ضدّ الإسلام والمسلمين تستخدم سلاحًا فعّالاً من شأنه أن يحقّق غاياتها الشريرة. لذا، تقول الكاتبة (أحلام شرف الدين): إنّ الدش الذي فوق سطح منزلي أو منزلك اشتريته أنا أم إسرائيل، حقيقة وبما تعنيه الكلمة لقد شراه لي الإسرائيليون، ودفَعوا مبلغًا أكثر مما دفَعْتَ؛ لأنّهم يفهمون أنّ هذه الاسرة متى ما فسدت سيصبح فسادها في صالحهم؛ لأنّ المسألة وصلت الى صراع، صراع شامل وليس صراعًا في جانب واحد، إنّما صراع إعلامي، وفكري، وثقافي، وسياسي^(١).

ولعلّ من يهّمه أمر دينه وأُمَّته من المسلمين يسأل: هل تمكّن الغرب من تحقيق أهدافه ومآربه في حربه هذه؟

في الواقع، إنّ العدو نجح وينجح يوماً بعد يوم في صراعه، وهو يوسّع من دائرة الاتباع والمتأثرين واللاهثين وراءه بشكل واضح وملحوظ، حتى اخترق هذا العدو كثيرًا من الحصون والقلاع التي كان من المفروض أن

١ - أحلام شرف الدين: ماهية ومفهوم الحرب الناعمة الأمريكية، الحرب الناعمة المفهوم والتداعيات.

تصمد أمامه، وبات يهدّد الأسس، والثواب^(١).

ترى بعض دول العالم - غير الإسلامي - أنّ الصراع الأيديولوجي الذي يخوضه العالم الإسلامي اليوم داخل مجتمعه له تداعيات مستقبلية خطيرة، وترى تلك الدول أنّها مهدّدة ومتأثّرة بذلك الصراع، وعلى رأس تلك الدول الولايات المتحدة الأمريكية؛ ولذا فإنّ مؤسّساتها البحثية منهمكة في إنشائها للبحوث والدراسات الاستراتيجية التي تتمحور حول السياسة الخارجية وكيفية تعاملها مع الإسلام، ومن أهمّ تلك الدراسات ما قامت به مؤسّسة راند وهي أهمّ مؤسّسة فكريّة تؤثّر على صناعة القرار في الإدارة الأمريكيّة^(٢).

في عالمنا اليوم، يُعتقد عادة أنّ القوّة الناعمة لأميركا تكمن في شعبيّة أفلام هوليوود، والكوكاكولا، وماكدونالدز، وستاربكس، وبمختلف أنحاء العالم.

إنّ أفلام هوليوود صارت تصنع أجندة أميركا الديمقراطية والمؤسّسية، أمّا «والد ديزني» (Walt Disney) فصارت تصنع العقول، وتؤثّر على الصغار وحتى الكبار بما لا يقدر عليه الوالدين! فإنّ مهاراتهم في التعليم والتلقين لن تجدها في أوسع المعلّمين، فهو يصل إلى كلّ أطفال العالم من حواضر

١ - ليث العنابي: الأدوات المعرفية، ص ١١٦.

٢ - محمد حمدان: الحرب الناعمة، ص ٨٩-٩٠.

أوروبًا وأمريكا مرورًا بالقرى، والنجوع، والوديان، والبوادي العربيّة، لقد غاب "والت ديزني" الرجل والشركة في آن واحد عن عالمنا قبل أربعة عقود، لكن منتجاته من... ما زالت تأسر عقول صغارنا، وما زال فريق العمل في شركة والت ديزني المكوّن من مئة ألف عامل يبيعون للعالم ما قيمته ١٢ مليار دولار من الأفلام والمسلسلات والألعاب، ولم يعودوا يخفون أهدافهم في صياغة عقول الناشئة في العالم وفق النموذج الأمريكي^(١).
إنّ السينما، والتلفزيون، والمسلسلات، والأفلام من أكثر الوسائل لنشر الثقافة والقيم الغربيّة بكلّ ما بها من رواسب وشوائب.

ثانيًا: المناهج التعليميّة الغربيّة وأثرها في بناء القيم وفق النموذج الغربي

إنّ من أكبر المؤثّرات على الفرد المسلم، وبالخصوص في مجال التربية والتعليم هو الاعتماد على المناهج الغربيّة في تربية الأفراد وبنائها، وفي تعليمهم العلوم التي تتعارض مع الدين والشواهد الخُلقيّة.
لقد أدركت الدول الغربيّة والاستعماريّة منذ زمن طويل أهميّة التعليم بالنسبة للفرد، وأثره العميق على نهضة المجتمع، فنال حظًا عظيمًا من

١ - كاظم الصالحي: الحرب الناعمة الاهداف وسبل المواجهة، ص ٥٩.

اهتمامهم داخليًا وخارجيًا، وصار سلاحًا ذا حدين؛ حيث استثمر لتنمية المجتمعات الغربية ونهضتها والارتقاء بالفرد والجماعة فيها من جانب، وصار حربة مصوِّبة إلى خاصرة الدول الإسلامية المستعمرة تدمر فيها الأفراد والجماعات وتزيّف التاريخ وتشوّهه من جانب آخر، مستعيضة بذلك عن الاحتلال العسكري الذي أثبت عدم جدواه في كثير من البقاع؛ فالمحتل العسكري لم يزل مكروهاً بل يبذل المجاهدون نفوسهم رخيصة في سبيل طرده من بلادهم، وتظلّ سلوكيات أفراده وأفكارهم منبوذة ومحلّ نقد مستمر؛ لذلك استعاض المستعمر بالغزو الفكري وأساليب التغريب التي قد ينطق بها وينشرها أناس يحملون لون البشرية ذاته، ويتكلمون باللسان العربي المبين؛ ولكنهم يحملون عقلاً وفكراً مخترقاً.

بإلقاء نظرة سريعة على واقع الدول الإسلامية في اللحظة الحالية، يتبين للباحث المتأمل أنّ المستعمر الأجنبي نجح في تحقيق أهدافه، بمسح الهوية العربية والإسلامية للدول المستعمرة - فكرياً - التي صارت تسير في ركب التغريب والعلمنة ونبد الدين والهوية العربية والإسلامية، ولا شك أن التعليم كان خط الهجوم الأول للمستعمر الذي نفذ من خلاله إلى ضمير أفراد المجتمع وضربه في الصميم.

لقد بدأت هذه الهجمة التغريبية الشرسة على نظام التعليم في العالم العربي الإسلامي في بداية القرن التاسع عشر، منذ تأسيس الدولة الحديثة

الفصل الثاني - المبحث الثالث (١٢١)

في مصر في عهد (محمد علي) التي بدأها بسياسة الابتعاث التي اتبعها؛ بإرسال الطلاب الشبان غير المحصنين للتعلم في أوروبا - التي كانت موطناً للفتن والشهوات -، وكان هذا أخطر ما فعله في الحقيقة؛ لأنه من هناك بدأ الخطّ العلماني يدخل ساحة التعليم، ومن ورائه ساحة الحياة في مصر الإسلامية، ومن ورائها إلى بقيّة أركان الوطن العربي.

لقد استخدم التغريبيون المتأثرون بالمناهج الغربية جملة من المناهج والعلوم الغربية التي استخدموها في نشر الثقافة، وفي قراءة التراث، وفي نقد الدين، منها:

١- المنهج الفيلولوجي (Philology):

أو المنهج اللغوي، أو علم اللغة الظاهري، وذلك من خلال استخدام اللغويات الحديثة واللسانيات الفيلولوجية التي تركّز على أصول الكلمة في استخداماتها الأوّلية التداولية، فإنّ ما طرحه الألسنية الحديثة - مثلاً - يختلف جذرياً عما طرحه اللغويات التقليدية التي كان المفسّرون القدامى يستخدمونها.

يعتمد التغريبيون في ذلك على أفكار (إميل بنفنيست - Émile Benveniste)، و(دي سوسير - Ferdinand de Saussure)، و(جاكسون - Roman Jakobson)، و(أوستن - J. L. Austin)

٢- الهرمنيوطيقا (Hermeneutics):

التأويلية أو التفسيرية أو الهرمنيوطيقا هي مدرسة فلسفية تشير إلى تطوّر دراسة نظريّات تفسير النصوص وفهمها في فقه اللغة واللاهوت والنقد الأدبي. إنّ مصطلح هرمنيوطيقا يستخدم في الدراسات الدينية للدلالة على دراسة النصوص الدينية وتفسيرها.

٣- التاريخانية (Historicism):

التاريخانية أو التاريخية من المصطلحات التي ترمز إلى وجود رأيين متعارضين في ما يرتبط بطبيعة الأبحاث التاريخية والاجتماعية؛ إذ يذهب الرأي الأول إلى أنّ من واجب المؤرّخين تفسير كل مرحلة تبعاً لما يسودها من قيم، وافتراضات، واهتمامات، وإنّ الحكم عليها من منظار الحديث يشوّه الظواهر التاريخية، في ما يذهب الرأي الآخر إلى ضرورة فهم التغيّر التاريخي وفقاً للقوانين الشاملة للتطوّر التاريخي.

٤- التفكيكية (Deconstruction):

إنّ التفكيكية منهج أدبي نقدي فلسفي معاصر تعمل على تدمير الخطاب المهيمن الذي يخصّ المدلول المفارق المعني الذي جرى الاعتراف به؛ باعتباره مطلقاً، وثابتاً، وأزلياً، وشفافاً، وسابقاً على النظام

الذي تخضع له كلّ المدلولات الأخرى، فخطاب التفكيك يحاول أن يلغي أي مركزية وأي ميزة يمكن أن تنشأ عن وجود هذه المركزية. لقد انطلقت التفكيكية من التشكيك في العلم، ثمّ تحوّلت إلى التشكيك في كلّ شيء، فشكّ التفكيكية في اللغة نتج عنها شكّ في كل قراءة أو تأويل للنصوص، وهكذا فتحت التفكيكية الباب على مصراعيه لتعدّد القراءات.

ومناهج أخرى، وأدوات غريبة أخرى، استُخدمت في تغيير الأفكار يمكن الرجوع إليها ومعرفتها من خلال مطالعة الكتب المختصة بذلك.

ثالثاً: الترويج لنماذج خُلقيّة غربيّة وفق المفهوم الغربي في الفن، والرياضة، والثقافة

إنّ من أهمّ الإشكاليّات التي تواجه الشباب هي الانبهار بالآخر وسوء اختيار القدوة الصالحة، وإعطاؤه الآخر حجماً أكبر من حجمه الطبيعي والشعور بالتصاغر أمامه، ومدحه، والكلام عنه، كأنّه يملك كلّ شيء ويعلم بكلّ شيء، والتأثّر بنماذجه السيّئة في الفنّ، والرياضة، والثقافة. لا بدّ لنا أن نعلم بأنّ ظاهرة الانبهار بالحضارة الغربيّة في تزايد، فإن كان بعضهم منبهرين بتقدّم الغرب، وبصناعاتهم وتكنولوجياهم، فقد وصل الأمر إلى حدّ الانبهار بمساوئهم وعاداتهم غير الخُلقيّة، وتقليدهم

حرفياً من دون عقل أو تعقل، ومن دون أي وازع أو رادع ديني أو خُلُقِي. لقد انبهر كثير من أبناء أُمَّتِنَا العَرَبِيَّةِ - الإِسْلَامِيَّةِ بالحضارة الغَرَبِيَّةِ، ونقلوا هذا الانبهار إلى أولادهم وإخوانهم وأصدقائهم، وبالتالي نفَسَى هذا المرض بين أوساط الأُمَّة فزادها مرضاً إلى أمراضها الأخرى الداخليَّة والمزمنة، فمن نفاق خُلُقِي وديني إلى ازدواجيَّة وذويان أمام الآخر.

إنَّ ديننا الإِسْلَامِي يدعونا إلى التَعَقُّل والاتزان في كلِّ شيء حتى في الأخذ من الآخر، فنحن نأخذ من الآخر العلم والتكنولوجيا، ونطمح أن نتقدَّم ونرتقي مثله، فلا بأس بكلِّ ذلك، أمَّا أن نستورد منه الخُلُقِيَّات والسلوكيات السيئة، لا بل أن يشعر بعضنا أمامه بالصغر والدونيَّة، فذلك هو خلاف العقل والدين، وخلاف منطق الإنسانيَّة، وخلاف أسس الإِسْلَام الذي يدعو إلى تكريم الإنسان.

إنَّ تقليد عالم الغرب يجب أن يكون - فقط - في مجال العلوم، والفنون التجريبيَّة، والأساليب الصحيحة والمثمرة؛ أي في إطار العقل والمصلحة، لا أن يتبع الشرقيُّون بصورة عمياء كلَّ ما عند الغرب، ويتعلَّموا أساليبهم ويعملوا وفقها دون قيد أو شرط؛ لأن كثيراً من الخطايا ترتكب في عالم الغرب بصورة مقنَّنة تحت عنوان الحرِّيَّة الفرديَّة، نتيجة لذلك فإنَّ عدداً كبيراً من النساء والرجال يتعرَّضون للمساوئ الخُلُقِيَّة والشُرور، بفعل الغرائز والرغبات النفسِيَّة، فينحرفون عن جادة الحقِّ والفضيلة، ثمَّ إنَّ

الفساد والضياع يزدادان يوماً بعد آخر، ويزداد معهما عدد المنحرفين والمذنبين^(١).

لقد وصل الانبهار بالآخر إلى محاربة التراث والدين وعدم الإيمان بالقدرات الموجودة، فمن أفكار القطيعة واتهام الفكر العربي بالبُعد عن الواقع، إلى إماتة العقول وسباتها، كأنَّ الفرد العربي ليس إنساناً، وما الإنسان إلا الفرد الغربي، ذلك الفرد المادي البعيد عن الله تعالى.

إنَّ الأصوات التي تنادي بتقليد الغرب والمتأثرة به كثيراً ابتدأت من أوَّل غزو استعماري للبلاد الإسلاميَّة، وهي مستمرة لحد الآن، فنجد دعوات كثيرة لتمجيد الغرب وضرورة تقليده عند كثيرين، قديماً وحديثاً.

إنَّ القرآن الكريم قد وضع لنا المنهجية الصحيحة في الأخذ، وكيف نأخذ من الآخرين وفق منهجية عقلانية صحيحة.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨].

إنَّ على الشعوب التي تأثرت وانبهرت بالغرب، وبالخصوص الشعوب الشرقيَّة أن تعرف كيفية الاستفادة من علم علماء الغرب، وتعلَّم منهم الأساليب العلميَّة والعملية بأسلوب واع، ووفق إطار العقل، وبما يسمح

١ - محمد تقي الفلسفي: الشباب وتقليد الغرب، ص ٢٠.

به الدين، وبما يتلاءم مع الأخلاق، وفي حدود العلوم والفنون التقنيّة، ومجال العلم والمعرفة، لا أن يقلّدوا الغرب بشكل أعمى، وبالتالي يأخذوا منه كل شيء حتى أقواله وأفعاله وسلوكياته وأخلاقه، من دون علم ودراية، ومن دون بُعد نظر.

من المعلوم أن دور أهل البيت عليهم السلام هو بناء الفرد المسلم بناءً إنسانياً وإيمانياً وخُلُقياً وعقدياً من خلال القول والفعل والتقرير.

فلقد اعتنى أئمة أهل البيت عليهم السلام بتربية أصحابهم وأتباعهم وتلامذتهم التربية الصحيحة المجسّدة للتعاليم الإسلاميّة مفهومًا وواقعًا، من خلال تربية الفرد المسلم وفق تعاليم كتاب الله تعالى، وسُنّة النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله حتى يكون هذا الفرد النموذج الحقيقي لهذه التعاليم، وليكون محصنًا ضدّ عوامل الهدم والانحراف، وليكون مهيبًا للقيام بالتغيير والإصلاح متى ما اقتضت الضرورة ذلك.

فنشاهد هذه الحقيقة جليّة وواضحة في سلوكهم، ونجده أيضًا جليًّا في وصاياهم وكلماتهم وأحاديثهم وتصرفاتهم التي تعدّ الدستور الذي يسير عليه أتباعهم ومحبوهم في كل زمان ومكان، تارة بأسلوب الإرشاد المباشر قولاً وفعلًا، وتارة أخرى بالفعل والعمل.

الفصل الثالث:

أثر التغريب على الأخلاق الإسلامية
للشباب المسلم في البلاد الإسلامية

المبحث الأول: تأثير التغريب على القيم الأسريّة والمجتمعيّة والوطنيّة

أولاً: التغيير الحاصل في مفهوم العلاقة ما بين الأجيال واحترام الوالدين

إنّ التغريب هو عمليّة تبني ثقافات وأفكار ونظم الحياة الغربيّة التي -غالباً- ما تتنافى مع القيم والتقاليد التي تتبناها المجتمعات الشرفيّة والإسلاميّة، فإنّ أحد المجالات التي تأثرت بشكل واضح بهذا التغريب هو العلاقة بين الأجيال، خصوصاً في ما يتعلّق بالاحترام المتبادل بين الأبناء والآباء، ومن ذلك دور التغريب في تغيير المفاهيم الثقافيّة، ففي عدد من المجتمعات، شكّلت القيم الثقافيّة والدينيّة أساساً للمعاملات

الأُسْرِيَّة؛ حيث كان الاحترام المتبادل بين الأجيال، لا سيَّما احترام الوالدين، يمثِّل أحد أسمى القيم. لكن مع التأثير المتزايد لثقافة الغرب، بدأت هذه القيم تتغيَّر.

إنَّ التَّغْرِيبَ أَدَّى إِلَى إِدْخَالِ أَفْكَارٍ جَدِيدَةٍ تَدْعُو إِلَى اسْتِقْلَالِيَّةِ الْفَرْدِيَّةِ، مَا يَنْعَكِسُ عَلَى الْعِلَاقَةِ بَيْنِ الْأَبْنَاءِ وَالْآبَاءِ، فِي الثَّقَافَاتِ الْغَرْبِيَّةِ، يُعَدُّ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَسْعَى الْفَرْدُ لِتَحْقِيقِ اسْتِقْلَالِهِ مِنْذُ مَرِحَلَةٍ مُبَكَّرَةٍ، وَبِالتَّالِيِ قَدْ يَقَلُّ ذَلِكَ مِنْ احْتِرَامِ الْوَالِدَيْنِ فِي جَمَلَةٍ مِنَ الْحَالَاتِ.

وكذلك ما للتغريب من تأثيرات سلبية على العلاقة ما بين الأجيال، مثل:

١. التَّغْيِيرُ فِي الْمَفَاهِيمِ: فَمَعَ تَغْلُغْلِ الْقِيَمِ الْغَرْبِيَّةِ، بَدَأَ بَعْضُ الْأَبْنَاءِ يَتَبَنَوْنَ أَفْكَارًا تَتَعَلَّقُ بِالْحَرِيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ وَالِابْتِعَادِ عَنِ الطَّاعَةِ وَالِاحْتِرَامِ التَّقْلِيدِيِّ الَّذِي كَانَ يَمَيِّزُ الْعِلَاقَةَ الْأُسْرِيَّةَ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

٢. الْاسْتِقْلَالِيَّةُ الْمَفْرُطَةُ: فِي الْمَجْتَمَعَاتِ الْغَرْبِيَّةِ، يَعَدُّ الْاسْتِقْلَالَ عَنِ الْوَالِدَيْنِ جِزَاءً مِنْ عَمَلِيَّةِ النُّضُوجِ، مَا قَدْ يَقَلُّ مِنْ أَهْمِيَّةِ التَّوَاصُلِ الْوَثِيقِ وَالِاحْتِرَامِ الْمَتَبَادَلِ مَا بَيْنَ الْأَجْيَالِ.

فِي الْمَقَابِلِ، وَفِي الْمَجْتَمَعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، يَجْرِي تَأْكِيدُ أَهْمِيَّةِ احْتِرَامِ الْوَالِدَيْنِ؛ إِذْ يَعَدُّ ذَلِكَ مِنْ أَسْمَى الْقِيَمِ، بِنَاءً عَلَى عِدَدِ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ

التي أكدت على ذلك.

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

إنَّ من الأسباب التي تسهم في التغيير الحاصل في مفهوم العلاقة ما بين الأجيال واحترام الوالدين:

١. التأثير الإعلامي: إذ تلعب وسائل الإعلام، بما في ذلك الأفلام والمسلسلات، دوراً كبيراً في نشر الثقافة الغربيّة، فعدد من هذه الوسائل تُصوّر العلاقة بين الأجيال بشكل مغاير لما هو موجود في المجتمعات الشرقيّة، ما يسهم في زعزعة قيمة الاحترام التقليدي.
٢. التطوّر التكنولوجي: قد يؤدّي الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي إلى تبني الأفكار الغربيّة بشكل أسرع بين الأجيال الشابة، ما يعزّز من توجهات الاستقلاليّة والابتعاد عن الأعراف الثقافيّة التي تحترم الوالدين.
٣. التعليم: ففي بعض الحالات، قد يكون التعليم الغربي، أو المقرّرات التعليميّة التي تروّج لأفكار الاستقلاليّة مصدراً آخر يؤدّي إلى تغييرات في مفهوم احترام الوالدين.

إنَّ التغريب يمكن أن يؤدي إلى تقليل التواصل بين الأجيال، بينما كانت الأسرة هي الوحدة الاجتماعية المركزية التي تضم الأجيال المختلفة، أصبح الأبناء في بعض المجتمعات الغربية يعتمدون على أصدقائهم أو المجتمع الأوسع بدلاً من الوالدين في اتخاذ القرارات الحياتية، فيبدأ الأبناء في التشكيك في القيم والمعتقدات التي نقلها الوالدان، ما يؤدي إلى تراجع احترامهم لآرائهم وتجاربهم.

رغم أنَّ التغريب له تأثيرات سلبية في بعض المجتمعات، لكن هناك مجتمعات إسلامية تحاول الحفاظ على التوازن بين القيم الغربية والمفاهيم التقليدية للأخلاق والاحترام المتبادل، فبعض المفكرين والمسؤولين في هذه المجتمعات يحاولون التأكيد على أهمية احترام الوالدين في ظلِّ التغيرات التي يفرضها العالم المعاصر، وذلك عبر البرامج التعليمية والثقافية التي تروِّج للقيم الإسلامية الأصيلة، فيمكن أن يكون للمساجد والمؤسسات الدينية دور مهم في إرشاد الأفراد في كيفية الحفاظ على الاحترام المتبادل داخل الأسرة مع التفاعل مع العالم المعاصر.

إنَّ التغريب أدى إلى تغييرات كبيرة في مفهوم العلاقة بين الأجيال في بعض المجتمعات، ما أثر على الاحترام المتبادل بين الأبناء والآباء، ومن المهم أن يجري التوازن بين القيم التقليدية التي تعزز الاحترام

والأفكار الحديثة التي تشجّع على الاستقلاليّة، ويمكن للأسرة والمساجد والمؤسّسات التعليميّة أن تلعب دوراً في حماية الهويّة الثقافيّة والدينيّة مع الحفاظ على انفتاحها على العالم المعاصر.

ثانياً: التفكك الأسري نتيجة واضحة لتغير القيم الخُلقية عند الفرد والأسرة

إنّ التفكك الأسري يُعدّ من أبرز الظواهر الاجتماعيّة التي برزت في عدد من المجتمعات في العصر الحديث، ويعدّ نتيجة واضحة للتغيرات الكبيرة التي طرأت على القيم الخُلقية والتقاليد الاجتماعيّة؛ إذ يعد تطوّر القيم والأفكار عن الفرد والأسرة أحد الأسباب الرئيسة التي أسهمت في هذا التفكك، وهو ما يعكس تأثيرات متزايدة للمجتمع المعاصر والمفاهيم الحديثة في الحياة الأسريّة.

١ - أسباب تغيير القيم الخُلقية وتأثيرها على الأسرة:

أ. التغيير في مفاهيم الاحترام والتضحية: في الماضي، كانت العلاقات الأسريّة تقوم على أساس الاحترام المتبادل، والتضحية، والمشاركة في مسؤوليّات الحياة اليوميّة، لكن مع تغيير القيم الخُلقية وانتشار الفكر الفردي والانفتاح على

الثقافات الغربيَّة، بدأ يظهر انخفاض في مفهوم التضحية والتعاون بين أفراد الأسرة؛ إذ لم يعد هناك الاهتمام الكافي بالحفاظ على الروابط الأسريَّة في مواجهة التحدّيات.

ب. تفكّك القيم الأسريَّة: مع تغيّر القيم في المجتمعات الحديثة، بدأ أفراد الأسرة في الاهتمام أكثر بمصالحهم الشخصيَّة وحقوقهم الفرديَّة على حساب الروابط العائليَّة، قد يؤثّر ذلك في تقدير الفرد للآخرين داخل الأسرة ويقلّل من شعورهم بالمسؤوليَّة تجاه بعضهم بعضاً، ما يؤديّ إلى تدهور العلاقات.

٢ - العوامل التي تسهم في التفكّك الأسري:

أ. الاستقلاليَّة المفرطة: تروّج المجتمعات الحديثة لفكرة الاستقلاليَّة الشخصيَّة بشكل مبالغ فيه، ما يخلق فجوة بين الأجيال ويقلّل من أهميَّة الحياة المشتركة بين أفراد الأسرة، فالأبناء في عدد من الحالات يبدوون في البحث عن هويّتهم بعيداً عن الأسر، وهو ما يسهم في تباعدهم عن الوالدين والأخوة.

ب. التأثير الإعلامي والتكنولوجي: تعرّض وسائل الإعلام بشكل مستمرّ أنماط حياة مختلفة قد تتناقض مع القيم

الأسريّة التقليديّة، علاوة على ذلك، أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي جزءاً كبيراً من حياة الأفراد، ما زاد من العزلة الاجتماعيّة والفجوة بين أفراد الأسرة، وهذه التأثيرات ساعدت في تكوين مفاهيم جديدة عن العلاقات الشخصيّة والأسرة.

ج. التغيّر في دور المرأة: ففي المجتمعات الحديثة، حصلت تغييرات كبيرة في دور المرأة داخل الأسرة، فقد دخلت المرأة سوق العمل وبدأت تشارك في مختلف الأنشطة الاجتماعيّة والاقتصاديّة، بينما قد يكون ذلك إيجابياً في بعض الأحيان، لكنّ هذا التغيّر -أحياناً- يؤثّر سلباً على استقرار الأسرة عندما لا يجري التوازن بين المسؤوليّات المنزليّة والعامة.

٣ - التأثيرات النفسيّة والاجتماعيّة للتفكّك الأسري:

أ. فقدان الاستقرار العاطفي: يؤدّي التفكّك الأسري إلى شعور الأبناء بعدم الاستقرار العاطفي، ما يمكن أن ينعكس على صحتهم النفسيّة، ويؤدّي إلى مشاكل مثل القلق والاكتئاب، فغياب الدعم الأسري يؤدّي إلى صعوبة في التعامل مع التحدّيات الحياتيّة.

ب. أثر التفكك على التنشئة الاجتماعية للأبناء: عندما تشهد الأسرة تفككاً في العلاقات، فإنَّ الأبناء يتعرَّضون لفقدان القدوة المثاليَّة التي يمكن أن يتعلَّموا منها مبادئ الاحترام والحبِّ والتضحية، وقد ينشأ الأبناء في بيئة غير مستقرَّة تؤثر على تنميتهم الشخصيَّة والاجتماعيَّة.

٤ - تأثير التغريب في تفكك الأسرة:

أ. إدخال القيم الغربيَّة: تأثير الثقافات الغربيَّة على المجتمعات قد أسهم بشكل كبير في تغيير النظرة التقليديَّة للأسرة، ففي الثقافات الغربيَّة يُنظر إلى الأسرة باعتبارها وحدة ذات ديناميكيَّات فرديَّة؛ حيث يحقّ لكلِّ فرد السعي لتحقيق طموحاته الشخصيَّة، ما قد يتسبَّب في إضعاف الروابط الأسريَّة.

ب. التقليل من أهميَّة القيم الدينيَّة: في بعض الحالات، أدَّى الابتعاد عن القيم الدينيَّة والتقاليد العائليَّة إلى تراجع في اهتمام الأفراد بالعلاقات الأسريَّة والحفاظ على تماسكها، فالأديان غالباً ما تُركِّز على أهميَّة الأسرة والروابط القويَّة بينها، ولذلك، فإنَّ الابتعاد عن هذه المبادئ قد يسهم في تفكك الأسرة.

٥ - الحلول الممكنة للتقليل من التفكك الأسري:

أ. تعزيز القيم الأسرية: من خلال العودة إلى تعزيز القيم الخلقية والدينية داخل الأسرة، مثل التعاون، الاحترام المتبادل، والاعتراف بمسؤوليات كل فرد في العائلة، يمكن إعادة بناء روابط أسرية قوية.

ب. التوازن بين الحياة الشخصية والعائلية: يجب أن يسعى الأفراد إلى الحفاظ على التوازن بين تحقيق طموحاتهم الشخصية والاهتمام بالعلاقات الأسرية، فيجب أن تكون الأسرة أولوية لدى الأفراد حتى في ظل الانشغالات اليومية.

ج. التواصل الجيد: من الضروري تحسين التواصل بين أفراد الأسرة، بحيث يتمكن الجميع من التعبير عن مشاعرهم واحتياجاتهم، كما يمكن أن تساعد الأنشطة المشتركة في تقوية الروابط، وتعزيز التفاهم بين الأجيال.

إن التفكك الأسري هو نتيجة مباشرة للتغيرات العميقة التي حدثت في القيم الخلقية والسلوكية في المجتمعات المعاصرة، فالتغيرات في مفهوم الأسرة والعلاقات الأسرية قد أدت إلى ضعف الروابط بين أفراد الأسرة، ويجب أن يجري التركيز على إعادة بناء القيم الأسرية من خلال تعزيز الاحترام المتبادل، والتعاون، وتهيئة بيئة مستقرة عاطفياً، وذلك للحفاظ على تماسك الأسرة وحمايتها من التفكك في المستقبل.

ثالثًا: تراجع دور الأسرة في التربية والبناء الخُلُقِي والقيمي للفرد:

إنَّ الأسرة هي الخلية الأساس في المجتمع، وتُعتبر المسؤول الأوَّل عن تربية الأفراد وبناء شخصياتهم وفقًا لقيم المجتمع وخُلُقِيَّاته. ومع ذلك، شهدنا في العصر الحديث تراجعًا في دور الأسرة في التربية والبناء الخُلُقِي والقيمي للأفراد، وهذا التراجع لا يحدث في فراغ، بل هو نتيجة لعدة عوامل اجتماعية وثقافية واقتصادية، ويتطلَّب فهم هذا التراجع تحليل العوامل المؤثرة على الأسرة، وكيفية تأثيرها في بناء الهُوِيَّة الخُلُقِيَّة والقيميَّة للفرد.

١- عوامل تراجع دور الأسرة في التربية: أ- التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية:

■ وسائل التواصل الاجتماعي والانفتاح على العالم الخارجي: في الماضي، كانت الأسرة هي المصدر الأساس للمعرفة والتوجيه؛ حيث كان الآباء والأمهات يتولَّون تعليم أبنائهم القيم والخُلُقِيَّات الأساس، ولكن مع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي، أصبح الأفراد يتعرَّضون لمحتويات متنوِّعة تؤثر في رؤيتهم للعالم، بما في ذلك القيم الخُلُقِيَّة والسلوكيات،

وهذه الوسائل قد تروّج لقيم وأيديولوجيات مختلفة عن التي تنشأ فيها الأسرة، ما يؤدي إلى تباين في المواقف والسلوكيات بين الأفراد وأسرهـم.

■ الانشغال التكنولوجي: أصبحت الأجهزة الإلكترونية والإنترنت جزءاً أساساً من حياة الأفراد، ما أثر على تفاعلهم الاجتماعي داخل الأسرة، فبدلاً من قضاء الوقت في التواصل والتوجيه داخل الأسرة، يقضي عددٌ من الأفراد ساعات طويلة على الإنترنت، ما يعزّز عزلة أفراد الأسرة عن بعضهم بعضاً ويقلل من وقت التوجيه والتربية الأسرية.

ب- التغيرات الاقتصادية والوظيفية:

■ ضغوط العمل والتسابق نحو تحقيق الذات: مع تزايد الضغوط الاقتصادية والمتطلبات الحياتية، أصبح عدد من الآباء والأمهات يكرّسون وقتهم للعمل لتحقيق دخل مناسب للعيش، ما يحدّ من الوقت المخصص لرعاية الأبناء وتوجيههم، وفي بعض الأحيان قد يضطرّ الأبوان للعمل لساعات طويلة خارج المنزل، ما يترتب عليه غياب عن التواصل الفعّال مع الأبناء.

■ النمط المعيشي السريع: تزايد وتيرة الحياة العصريَّة وتعدّد الانشغالات جعلت عدداً من الأسر تركّز على تلبية احتياجاتها الماديَّة فقط، مع إهمال الأبعاد العاطفيَّة والروحيَّة، وهذا التوجه يقلل من اهتمام الأسرة بالقيم الإنسانيَّة والخُلُقِيَّة التي يجب أن ترسخ لدى الأفراد.

جـ- التفكك الأسري وزيادة حالات الطلاق:

■ ضعف الروابط الأسريَّة: شهدنا في السنوات الأخيرة زيادة في حالات الطلاق والابتعاد بين الزوجين، وهو ما ينعكس سلبيّاً على تربية الأطفال، والأطفال الذين ينشؤون في بيئات مفكّكة أسريّاً يعانون من نقص في الرعاية العاطفيَّة والنفسيَّة، ما يؤثّر سلبيّاً على تطوّرهم الشخصي والقيمي في هذه البيئة قد يفتقر الأبناء إلى القدوة الصالحة التي تسهم في تشكيل هويّتهم الخُلُقِيَّة.

■ غياب الاستقرار العاطفي: يؤثّر فقدان الاستقرار العاطفي داخل الأسرة على تطوّر شخصيَّة الطفل، وعندما لا يجد الطفل توجيهاً مستمرّاً أو استقراراً عاطفيّاً من الأهل، يصعب عليه أن يكتسب القيم الخُلُقِيَّة المناسبة.

٢- آثار تراجع دور الأسرة على التربية والقيم:

أ- ضعف الهوية الخُلقية لدى الفرد:

مع غياب الأسرة في توجيه الأبناء نحو القيم الأساس، مثل الاحترام، والتعاون، والصدق، والعدالة، يواجه عددًا من الأفراد صعوبة في بناء هويّة خُلقية ثابتة، وقد يتبنى بعضهم معايير خُلقية غير ثابتة أو قد تتعارض مع قيم المجتمع الذي ينتمون إليه.

ب- زيادة التفكك الاجتماعي:

عندما يفتقر الأفراد إلى التربية الخُلقية المستمرة من قبل الأسرة، فإنهم يصبحون أكثر عرضة للانحرافات الاجتماعية، وتظهر هذه الانحرافات في سلوكيات مثل الكذب، والغش، والعنف، والتهرب من المسؤوليات، ما يؤدي إلى زيادة المشاكل الاجتماعية داخل المجتمع.

ج- تعزيز الفردية على حساب الجماعية:

عندما تركز الأسرة أكثر على تربية الأبناء على الحرية الفردية دون مراعاة الالتزامات العائلية والاجتماعية، فإن الأفراد يصبحون أكثر أنانية ويفقدون حسّ المسؤولية تجاه الأسرة والمجتمع، وهذا يعزّز من تراجع الروابط الاجتماعية والتعاون بين الأفراد.

٣- كَيْفِيَّةُ إِعَادَةِ دُورِ الأُسْرَةِ فِي التَّرْبِيَةِ وَالبِنَاءِ الخُلُقِيِّ :

أ- إِعَادَةُ بِنَاءِ التَّوْازُنِ بَيْنَ الحَيَاةِ المِهْنِيَّةِ وَالشَّخْصِيَّةِ :

يَجِبُ عَلَى الأَبَاءِ وَالأُمَّهَاتِ تَنْظِيمَ وَقْتِهِمْ بِشَكْلِ يَعْزِّزُ مِنَ التَّوَاصُلِ الفَعَّالِ مَعَ أبنَائِهِمْ، يُمْكِنُ أَنْ يَسَاعِدَ تَخْصِيصَ أَوْقَاتٍ مُنْتَظِمَةٍ لِلأنْشِطَةِ الأُسْرِيَّةِ وَالحَدِيثِ مَعَ الأَطْفَالِ فِي تَعْزِيزِ القِيَمِ الخُلُقِيَّةِ وَالرُوحِيَّةِ.

ب- تَعْلِيمُ الأَبْنَاءِ مِنَ القُدْوَةِ :

مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ يَكُونَ الأَبَاءُ وَالأُمَّهَاتُ قُدْوَةً حَسَنَةً لِأبنَائِهِمْ، لَيْسَ فَقَطْ مِنَ خِلالِ الأَقْوَالِ بَلْ مِنَ خِلالِ الأَفْعَالِ أَيْضًا، فَإِنَّ الأَطْفَالِ يَتَعَلَّمُونَ القِيَمَ وَالأَخْلَاقَ بِشَكْلِ أَكْبَرَ مِنْ خِلالِ مِشَاهِدَةِ سُلُوكِيَّاتِ آبَائِهِمْ فِي الحَيَاةِ اليَوْمِيَّةِ.

ت- اسْتِخْدَامُ الوَسَائِلِ الحَدِيثَةِ فِي التَّرْبِيَةِ :

يُمْكِنُ اسْتِخْدَامُ وَسَائِلِ التَّكْنُولُوجِيَا بِشَكْلِ إِيجَابِيٍّ لِتُوجِيَةِ الأَبْنَاءِ نَحْوِ القِيَمِ الخُلُقِيَّةِ، فَعَلَى سَبِيلِ المِثَالِ يُمْكِنُ لِالأُسْرِ اسْتِخْدَامُ الإِنْتَرْنِتِ وَالتَّعْلِيمِ الإِلِكْتُرُونِيِّ فِي تَعْلِيمِ الأَبْنَاءِ الأَخْلَاقَ وَالمِبَادِئِ الإِسْلَامِيَّةِ أَوْ الاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي تَتِمَاشَى مَعَ قِيَمِ المِجْتَمَعِ.

ث- التفاعل مع المجتمع المحلي:

تعزيز التعاون بين الأسرة والمجتمع المحلي من خلال الأنشطة الجماعية والتطوعية، يمكن أن يساهم في تطوير القيم الاجتماعية والخُلُقِيَّة لدى الأطفال، وهذه الأنشطة يمكن أن تساهم في إكساب الأبناء شعوراً بالمسؤولية والانتماء للمجتمع.

إنَّ تراجع دور الأسرة في التربية والبناء الخُلُقِي والقيمي للفرد يعدُّ تحدِّياً كبيراً يواجه المجتمعات الحديثة، ولكن من خلال الوعي بأهميَّة التربية الأسريَّة وإعادة تقويم الدور الذي تقوم به الأسرة في تكوين الشخصية، يمكن إعادة بناء هذه الروابط الحيويَّة التي تساهم في خلق أفراد يتمتَّعون بالقيم والأخلاق السامية التي تضمن لهم حياة مستقرَّة ومجتمعاً متماسكاً.

المبحث الثاني: التغريب الخُلُقِي في العلاقات الاجتماعية

أولاً: انتشار ثقافة العلاقات غير المشروعة والاختلاط غير المنضبط

١- العلاقات غير المشروعة:

ومن أشهرها وأشدها: الزنا، فإنَّ الزنا، الذي حرَّمه الله تعالى والذي

يستوجب فاعله الإثم والحدّ ولا يلحق به الولد، هو: موقعة المرأة بالمباشرة بوجه ظاهر الحرمة. فقولنا موقعة يخرج اللمس والعناق والضمّ والقبله فليس شيء منها زنا، وإنّ حمل الإثم والذنب والحرمة. وقولنا «المرأة» يخرج اللواط، فليس بزنا، وإن حمل بعض أحكامه لأن من لاط غلاماً فأوقبه حرمت عليه أمّ الغلام، كأم الزوجة وبنته، كالربيبة وأخته كأخت الزوجة. كما تحرم على من زنا بامرأة أمها وبناتها، ويخرج وطء البهيمة، فليس زنا وإن كان فيه الإثم والحرمة. وقولنا بالمباشرة يخرج الجماع باستعمال الغلاف فإن في أهل الخلاف من يحله مع الأجنبية، أما عندنا معشر الإمامية فهو زنا واضح. وقولنا بوجه ظاهر الحرمة يخرج النكاح الحلال بجميع أنواعه، فإنه ليس زنا، حتى النكاح في الأديان الأخرى، فلو أسلم الزوجان الكافران أقرّ الإسلام زواجهما وإن لم يكن مشتملاً على عقد أو صداق إلا أن يكون فجوراً، وهو أن يتزوج إحدى محارمه في النسب.

يعدّ الزنا أكبر سبب هادم للعفة والمروءة والطمهارة، وماحق للشروة وللهيبة ولطيب العيش ورغد الحياة والأمان.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾

[الإسراء: ٣٢].

لقد حرّم الله - سبحانه وتعالى - الزنا وتوعّد عليه، وزجر الناس عن

الفصل الثالث - المبحث الثاني ١٤٥

اقترافه لما فيه من الأضرار الوخيمة روحياً وجسدياً، وكذلك قد نهت الأحاديث المباركة للمعصومين (عليهم السلام) عن ذلك وشددت على منعه. إنَّ شيوخ الزنا يؤدِّي إلى اختلاط الأنساب، وانهيار الأسرة، وانتشار الأمراض والأوبئة، وطغيان الرذائل، واندثار الفضائل.

لقد ورد عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) قوله: «يا معاشر المسلمين، اتَّقوا الزنا فإنَّ فيه ستَّ خصال، ثلاث في الدنيا، وثلاث في الآخرة، فأما التي في الدنيا، فذهاب بهاء الوجه، وقصر العمر، ودوام الفقر، وأما التي في الآخرة، فسخط الله تبارك وتعالى، وسوء الحساب، والعذاب بالنار»^(١).

كما قال (صلى الله عليه وآله): «لا تزال أمتي بخير ما لم يفسُ فيهم ولد الزنا، فإذا فشا فيهم ولد الزنا فأوشك أن يعمَّهم الله بعقاب»^(٢).

أمَّا المضارَّ الصحيَّة، فبات في حكم المؤكد والقطعي أنَّ الزنا يتسبَّب في كثيرٍ من الأمراض والأوبئة الفتَّاكة^(٣)، إنَّ من جملة الأضرار التي يسبِّبها شيوخ الزنا ما يمكن أن نحصره في النقاط الآتية:

- ١ - أبو عبد الله الأنصاري القرطبي: تفسير القرآن العظيم الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ١٦٧.
- ٢ - ابن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ١٦٣.
- ٣ - محمد علي قطب: الحب والجنس من منظور إسلامي، ص ١٢٣-١٢٤؛ باقر شريف القرشي: النظام التربوي في الاسلام، ص ١٠٦.

١٤٦ الهُوِيَّةُ الخُلُقِيَّةُ لِلشَّبَابِ المُسْلِمِ

أ- انتشار الأوبئة والأسقام النفسية والجسدية:

وهذا ما نسمعه يومياً من وسائل الإعلام عن الأمراض التي يتسبب بها الزنا من إيدز، وزهري، وسيلان، وغير ذلك من أمراض كثيرة وعجبية وصعبة العلاج، بل قد تكون معالجتها مستحيلة.

ب- نزع البركة من الأموال:

فمن آفات انتشار الزنا هو نزعه لبركة الأموال، وشيوع البطالة، وقلة الدخل لما يستهلكه الناس في سبيل تحقيق رغباتهم وبلوغ شهواتهم من الزنا، فإنَّ الزانية ليست كالزوجة تقنع بالقليل من زوجها، فالزانية لا تستجيب لرغبة قرينها إلا أن يحكمها في أمواله وممتلكاته.

ت- ذهاب العفة والحياء:

فمن آفات الزنا الوخيمة هو ذهاب العفة، فإنَّ الزاني إذا اعتاد غشيان نساء الناس وبناتهم لم يشق عليه أن تُغشى نساؤه وبناته لانتزاع الحياء والعفة من نفسه.

ث- ضياع الأنساب إلحاق الأولاد بغير آبائهم:

فمن آفات الزنا الاجتماعية أنَّ الزانية إذا حملت من الزنا، فإنَّ ما أن تهلك

الفصل الثالث - المبحث الثاني ١٤٧

أولادها، أو تنبذهم عرض الطرقات ليكونوا لقطاع، وتكون السبب في ضياعهم أو هلاكهم، وفي كلّ أمر من هذه الأمور آثام كبيرة لا يُحتمل جزاؤها يوم القيامة؛ لأنه داخل في قتل النفس المحرمة. وإما أن تكون ذات بعل فتلحقهم ببعلها، فتفرض عليه ما لا يلزم به، وتعطيهم من ماله ما ليس لهم فيه حقّ، وتسلّطهم على نسائه بأنهنّ محارم لهم، وهنّ لسن بمحارم، فينظرن ويياشرن ما قد حرّم الله عليهن، باعتقاد أنه حلال لهم، وفي كل ذلك آثام بالغة الخطورة.

ج - فساد النسل:

فمن آفات الزنا وأضراره فساد النسل وإنتاج جيل شرير يكون بلاء على المجتمع ووباء على الأمة. فابن الزنا عندما يعلم حقيقة نفسه سيولد ذلك في نفسه حقداً وغلاً على الناس كلهم باعتقاده أنهم ظلموه وغصبوه حقه وأنهم يكرهونه وينبذونه، فلا يكون له هم إلا في الانتقام منهم بالقتل والسلب والنهب ليستوفي حقه منهم. وإنما تسيء أخلاق أولاد الزنا وتتنكر طباعهم لاشتراك الشيطان في تكوينهم.

ح - تسببه بتحريم الزواج الحلال:

فلقد اتفق الفقهاء على أنّ من زنى بامرأة حرمت عليه أمّها وبتتها من

غيره، فكأنَّها تحوَّلت زوجة له. كما وقد اتَّفَق العلماء على أن من زنى بذات بعل حرمت عليه مؤبِّدًا حتى لو طلقها زوجها أو مات عنها.

٢- الاختلاط:

إنَّ مرحلة الشباب تعدُّ من المراحل المهمَّة في حياة الشاب؛ حيث ينتقل فيها من المدرسة إلى مرحلة متقدِّمة دراسيًّا ليلتحق بالكلية أو المعهد لاستكمال المسيرة الدراسيَّة، ولسلوك سبيل التخصص في فرع من فروع العلم والمعرفة الأكاديميَّة.

إنَّها مرحلة انتقالية؛ حيث يصقل فيها الشاب عن طريق التجارب والخبرات والمهارات التي يمر بها، لكن هنا تبرز مشكلة في الأجواء التي سوف يتلقَّى الشاب أو الشابة الدراسة فيها، فهل سيكون ذلك عن طريق الاختلاط أو بالانفصال؟

إنَّ أغلب بل كل جامعاتنا هي مختلطة وليس منفصلة، ولو عدنا إلى الورا، مع بداية نشوء الدراسة الجامعيَّة المختلطة، فإنَّ البداية - تاريخيًّا - كانت في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، فهي أوَّل من أخذت بهذه الطريقة في التعليم، وذلك في عام ١٧٧٤ م.

لما كثر الطلب على التعليم، وجدت الدول نفسها مسؤولَّة لتلبيته، وذلك نظرًا للإعداد الكبيرة التي تصرَّ على التعليم الجامعي من كلا

الجنسين، فكان أن اقتصروا - في بادئ الأمر - على عدد قليل من المباني، وهذا سيعني دمج كلا الجنسين في بناية واحدة، ومن ذلك الوقت أصبح النظام المختلط هو المعمول به في الدراسة الجامعية، علماً أنّ هذا النظام فيه كثير من السلبيات، أقرّ واعترف بذلك نفس من أنشأ ذلك النظام، من خلال الدراسات التي أعدها مؤسّسات بحثية عالمية في علم النفس الاجتماعي والتربوي؛ حيث أثبتت هذه المؤسّسات أنّ طلاب الدراسة المختلطة لا يتمتّعون بقدرات إبداعية بل يكونون محدودي المواهب والهوايات، على العكس من المدارس التي تفصل ما بين الجنسين، وهذه الدراسات قد عرضت في مجلة «نيوزويك» الأميركية؛ حيث بيّنت أنّ الطلاب الذين يدرسون بصورة منفصلة كان التفوق العلمي حليفهم، بينما في التعليم المختلط أخفقت البنات في مجال الرياضيات، والعلوم، والكيمياء، والفيزياء، والتكنولوجيا، والكمبيوتر. أمّا في المملكة المتحدة بريطانيا، فقد تبين أنّ عدد الدراسة غير المختلطة قد زاد خلال السنوات الأربع الماضية خمسة أضعاف على ما كان عليه في بداية القرن السابق. وأمّا في أستراليا، فقد أُجريت دراسة على ٢٧٠ ألف طالب وطالبة، وخلصوا بنتيجة إلى أنّ طلاب وطالبات التعليم غير المختلط قد تفوّقوا سلوكياً وأكاديمياً على طلاب وطالبات التعليم المختلط.

إنّ هذا - عموماً - هو غيض من فيض في نقد تجربة التعليم المختلط،

فنحن نعيش في مجتمع إسلامي، والأحرى أن ننهج منهجاً قائماً على أسس تعاليم ديننا الحنيف، فإنَّ وضع الشاب أمام الشابة في المرحلة الجامعيَّة فيه كثير من المفاسد، علماً أنَّ ذلك في ما لو أحرز الشاب أو الشابة عدم الوقوع في المزالق، حينها بإمكانه مواصلة الدراسة.

إنَّ الفصل ما بين الجنسين يجنب المجتمع عموماً والمجتمع الجامعي خصوصاً، كثيراً من المشاكل، فالشاب في هذه المرحلة يكون حسِّي وعاطفي في تعاملاته، وأقرب ما يكون إلى الوقوع في المحرمات بسبب بنيته البيولوجيَّة المتزامنة مع مرحلته العمريَّة مرحلة المراهقة، فسيكون هذا سبباً لانشغاله عن الدراسة والتحصيل وعدم الالتفات إلى مستقبله العلمي، وبالتالي سيكون سبباً لوقوعه في هاوية خُلُقِيَّة وسلوكيَّة تؤدي إلى فشله في كل شيء.

لكن إذا كان الأمر لا بدَّ منه، فإنَّنا قد تطرَّقنا إلى أنَّه يجب أن يكون الشاب والشابة محرزين لنفسيهما عن عدم الوقوع في الشبهات والفتنة، على أن يكون هناك مرشدون متعاقبون لأجل إرشادهم وتذكيرهم بالصحيح من التعاملات والتصرّفات، وتعليمهم الأخلاق التي يجب أن تكون في ما بينهم داخل الحرم الجامعي.

إنَّ ما تقوم به الحوزة العلميَّة في النجف الأشرف هو موضوع يثلج الصدر؛ حيث يقوم عدد من فضلاء الحوزة بإلقاء محاضراتهم على طلبة

الفصل الثالث - المبحث الثاني (١٥)

الجامعات، وتذكيرهم بمنهج دينهم الحنيف في التعامل الخُلقي، وحثّهم على مواصلتهم للدراسة، كل ذلك بالتعاون مع العتبات المقدّسة؛ إذ كانت هناك كثير من الاستضافات لطلاب الجامعات والمعاهد؛ الغاية منها هو بث الأخلاق الحسنة، وتحريك الفطرة السليمة بداخلهم، لحثّهم على السلوك الذي يمليه الشرع الحنيف.

إنّ العمل على موضوع منع أو تقنين الاختلاط ليس سهلاً، علماً أنّ نواته تبدأ من البيت، ثمّ تنعكس في الشارع، وتتجلّى في البيئة، حينها يكون الشاب والشابّة محصّنين من التهديدات الخارجيّة التي تريد النيل منهم. نعم، إنّ تحدّيات الاختلاط غير الصحيح ستقتل رجولة الشاب، وستلوّث أنوثة المرأة، فتبدأ هذه الأخطار عن طريق غرس العادات الغربيّة في شخصيّة الشاب والشابّة من الشكل، والملبس، والتصرّفات، والكلام الذي لا ينسجم مع أخلاقنا الإسلاميّة، كما ومن المهمّ متابعة كل من تسوّل له نفسه ليجعل الجامعات سوقاً لأنواع المحرّمات ما بين الطلاب.

إنّ كلّ ذلك هو من مسؤوليّة الدولة، ومن خلال المتابعة، فإنّ هذه الأمراض إذا لم تعالج ستكون سبباً لويلات ومخاطر وكوارث تهدد المجتمع كلّّه، وتعمل على تمزيقه ونهايته.

من المهمّ تحصين الشاب والشابّة من الداخل، كتحصينهم من الأفكار

الدخيلة التي تكون الغاية منها سلب الشاب والشابة كلَّ أسس الفطرة السليمة، وتمزيقهم من خلال ضرب عقيدتهم وجعلهم ملحدين، علماً أنَّ ما نسمع به من إلحاد هو في الواقع ليس إلحاداً وإنما هي شبهة، وأنىَّ له الإلحاد، فهو موضوع أغلب مدَّعيه ليسوا كذلك، وعلاجهم ليس صعباً؛ لكون ما وقعوا فيه هو شبهات وإشكالات.

إنَّ الحلَّ - في ذلك كلِّه - يكون عن طريق وجود أطراف تتحمَّل المسؤولية؛ إذ يبدأ الأمر من البيت، فهذه المسألة بالأساس مسؤوليَّة الآباء، ومن ثمَّ مسؤوليَّة المجتمع، علماً أنَّها مسؤوليَّة الجميع من دون استثناء، فعليهم حماية الحرم الجامعي من المندسِّين، ثمَّ إنَّها مسؤوليَّة الدولة، ومسؤوليَّة المؤسَّسات الدينيَّة المختلفة بعد ذلك، من خلال توعية الشباب بعقيدتهم.

نعم، إنَّ المشكلة كبيرة، ولكنَّها تستحقُّ بذل الجهود، وبالتالي سيكون الحصاد في متناول اليد؛ لأنَّ الشباب هم عماد الأوطان، وأساس بنائها وشموخها وتقديمها.

لذا، فإنَّ من المهمِّ فهم مخاطر الاختلاط، وما يتسبَّب به من مشاكل لكلا الجنسين، وهذا المشاكل ستكبر وتكثر مع عدم وضع الحلول لها، فهي مشاكل تتعلَّق بالجانب الخُلُقِي والديني للفرد، وتنعكس منه إلى المجتمع كلِّه.

ثانياً: إضعاف مفهوم الحياء

إنَّ إضعاف مفهوم الحياء بوصفه قيمة حُلُقِيَّة مميّزة للفرد المسلم، يمكن أن يتسبَّب في تأثيرات سلبية على الأفراد والمجتمع، والحياء في الإسلام يُعدُّ من الفضائل الأساس التي تؤثر بشكل مباشر في سلوك الإنسان، وتعتبر سمة مميّزة لشخصية المسلم، فهو يسهم في تعزيز العلاقات الاجتماعية، ويدفع الفرد إلى تجنُّب التصرفات التي قد تكون ضارة أو غير لائقة.

عندما يجري إضعاف هذا المفهوم، يمكن أن تظهر عدة نتائج سلبية، منها:

- تدهور الأخلاق العامّة: فالحياء يشمل عدم التفاخر بالذنوب أو الانغماس في المعاصي، وإذا اختفى هذا الشعور، فإنَّ ذلك قد يعزِّز التصرفات غير الحُلُقِيَّة، مثل التفاخر بالردائل، أو إخفاء مشاعر التوبة.
- انحرافات سلوكية: الحياء يعمل حاجزاً يحول دون الانخراط في سلوكيات مشينة أو مرفوضة اجتماعياً. غيابه قد يؤدي إلى تعبير الأفراد عن أنفسهم بطرق تفتقر إلى الاحترام والمهنية.
- تدهور العلاقات الاجتماعية: الحياء يعتبر أساساً في الحفاظ على الاحترام المتبادل بين الأفراد. انعدام الحياء يمكن أن

يؤدِّي إلى التوتُّراتِ الاجتماعيَّةِ والمشاكلِ بينِ الناسِ.

■ تغيير في الفهم الديني: الحياء جزء أساس من الدين الإسلامي، وإذا ضُعب هذا المفهوم، فقد يؤدِّي ذلك إلى تراجع التقيّد بالقيم الدينيَّة التي تشدد على الحياء بوصفه جزءاً من سلوك المسلم.

فمن أجل الحفاظ على الحياء بوصفه قيمة خُلُقِيَّة مميّزة، يجب توعية الأفراد بأهميَّة هذا السلوك وضرورة تمسّكهم به في حياتهم اليوميَّة، من خلال التعليم، والتوجيه الديني، والقُدوة الحسنه من أفراد المجتمع. إنَّ إضعاف مفهوم الحياء عند الفرد المسلم قد يكون نتيجة لعدَّة أسباب، وقد يجري من خلال أهداف معيَّنة تسعى بعض الجهات لتحقيقها، وفي ما يأتي أبرز الأسباب والأهداف التي قد تؤدِّي إلى إضعاف الحياء:

١- أسباب ضعف الحياء:

أ. التأتُّر بالثقافات الغربيَّة: في عصر العولمة، قد يتعرّض الفرد المسلم لثقافات خارجيَّة قد تكون أقلَّ تحفظاً في عدد من الجوانب، وهذه الثقافات قد تسهم في تقليل تقدير قيمة الحياء، وترويج الأفكار التي تشجّع على الانفتاح المفرط أو

تجاوز الحدود الاجتماعية والدينية.

- ب. غياب الوعي الديني الصحيح: عندما يكون التعليم الديني في المجتمع ضعيفاً أو مشوّهاً، قد يفتقر الأفراد إلى الفهم الصحيح لأهميّة الحياء في الإسلام، ما يؤديّ إلى تراجع هذه القيمة.
- ج. الانفتاح على وسائل الإعلام المضلّلة: وسائل الإعلام قد تعرض نماذج من الحياة لا تحترم القيم التقليدية، ما يؤديّ إلى تأثر الأفراد بالصور التي تروّج للانفتاح والإفراط في التعبير عن الذات دون مراعاة للحدود.
- د. الضغوط الاجتماعية والتسلّط الثقافي: في بعض المجتمعات، قد يشعر الفرد بضغط من أجل التكيف مع المعايير السائدة التي لا تحترم الحياء، ما يؤديّ إلى تراجع الالتزام بتلك القيم.
- ه. الفهم الخاطيء للحرية الشخصية: بعض الأفراد قد يعتقدون أنّ الحياء يعني الانغلاق أو قلّة الحرية، فيسعى بعض إلى التخلّص من هذه القيمة من أجل التمتع بما يظنّونه حريات شخصية.

٢- أهداف إضعاف الحياء:

- أ. تفكيك الهوية الثقافية والدينية: من أهداف إضعاف الحياء هو

- العمل على تفكيك الهوية الإسلامية، وتغيب القيم التي تميّز المسلم، كالحشمة والعفة. وهذا قد يؤدي إلى تأثيرات سلبية على الفرد المسلم في التعامل مع نفسه ومع الآخرين.
- ب. فتح الباب للانحرافات الخُلُقِيَّة: من خلال إضعاف الحياء، يجري تيسير نشر السلوكيات الخُلُقِيَّة المنحرفة والمرفوضة اجتماعياً، مثل التفاخر بالذنوب، أو السلوك غير اللائق.
- ج. تشجيع على الاستهلاك المادّي والانفتاح الاجتماعي: إضعاف الحياء قد يسهل نشر ثقافة استهلاكيّة مبنية على المظاهر والشهوات، ما يعزّز من فردية الإنسان ويضعف من الروابط الاجتماعيّة المتينة المبنية على الاحترام المتبادل.
- د. تقويض القيم العائليّة والاجتماعيّة: الحياء جزء من أسس العائلة والمجتمع في الإسلام. وإضعافه قد يؤدي إلى انهيار القيم الأسريّة والاجتماعيّة؛ حيث يمكن أن يتسبّب في غياب الاحترام والتفاهم بين الأفراد.
- هـ. نشر الماديّة على حساب الروحانيّة: إضعاف الحياء قد يسهم في ترويج لثقافة ماديّة تركّز على المظاهر الجسديّة والمشاعر العابرة، ما يقلّل من قيمة الروحانيّات والعبادات التي تحثّ على الحياء والتواضع.

لذا، فإنَّ إضعاف الحياء عند الفرد المسلم لا يؤدي فقط إلى تدهور الأخلاق الفرديَّة بل يمكن أن يتسبَّب في تأثيرات سلبية على المجتمع بشكل عام. ومن المُهمَّ أن يعمل الأفراد والمجتمعات على تعزيز مفهوم الحياء في حياتهم اليوميَّة من خلال التوعية الدينيَّة والاجتماعيَّة، وتطبيق القيم الإسلاميَّة بطرق تتناسب مع تحديَّات العصر.

ثالثاً: تسطيح مفهوم الصداقة الصالحة وتحويلها إلى علاقات خالية من المعايير الخُلقيَّة

إنَّ تسطيح مفهوم الصداقة الصالحة وتحويلها إلى علاقات خالية من المعايير الخُلقيَّة هو ظاهرة مقلقة تؤثر على الأفراد والمجتمعات؛ حيث يجري تقليص مفهوم الصداقة إلى مجرد علاقات سطحيَّة أو مصلحة مشتركة، بعيداً عن المبادئ الخُلقيَّة التي يجب أن تحكم هذه العلاقات، وهذه الظاهرة قد تتسبَّب في عدد من المشكلات النفسيَّة والاجتماعيَّة التي تضرُّ بالإنسان وتضعف من الروابط الإنسانيَّة الحقيقيَّة.

١- أسباب تسطيح مفهوم الصداقة:

أ. التأثير بالثقافات الحديثة ووسائل الإعلام: تعرض وسائل الإعلام والتقنيات الحديثة مثل الإنترنت ووسائل التواصل

الاجتماعي صوراً مشوّهة عن الصداقة؛ حيث يجري التركيز على العلاقات العارضة والمصالح اللحظية بعيداً عن الالتزام بالقيم الخُلُقِيَّة، مثل الصدق، والوفاء، والدعم العاطفي.

ب. الانشغال بالمظاهر والسطحية: في العصر الحديث، أصبح من السهل تبني علاقات قائمة على المظاهر أو على المنفعة الفردية فقط؛ حيث تميل بعض العلاقات إلى أن تكون مبنية على الراحة الشخصية أو الفائدة المادية، دون مراعاة للأبعاد العاطفية والروحية التي يجب أن تكون موجودة في الصداقة.

ج. الابتعاد عن القيم الدينية والخُلُقِيَّة: عندما يقلّ الالتزام بالقيم الدينية والخُلُقِيَّة في المجتمع، يصبح من السهل تحويل الصداقة إلى علاقة لا تحمل أيّ أبعاد معنوية أو خُلُقِيَّة، مثل احترام مشاعر الآخر، والدعم النفسي، والوفاء.

د. عدم وضوح مفهوم الصداقة: بسبب تزايد العلاقات الرقمية وغياب التواصل الحقيقي، قد يُفقد كثير من الناس فهماً دقيقاً لحدود الصداقة ومفاهيمها، وقد يتحوّل ذلك إلى مجرد تبادل للحديث، أو الانشغال بمصالح مشتركة دون الالتزام بالمبادئ التي تؤسّس لصداقة حقيقية.

٢- آثار تسطيح مفهوم الصداقة:

- أ. فقدان الدعم العاطفي الحقيقي: الصداقة التي تفتقر إلى المعايير الخُلُقِيَّة تكون عادة سطحيَّة، ولا تقدِّم الدعم العاطفي الحقيقي، الشخص قد يجد نفسه في علاقات غير قادرة على تقديم الأمان النفسي، ما قد يؤدي إلى مشاعر الوحدة والعزلة.
- ب. التعرُّض للاستغلال: عندما تصبح الصداقات مبنية على المصالح فقط، قد يؤدي ذلك إلى استغلال الأفراد لبعضهم بعضاً؛ حيث قد يجري الاستفادة من الشخص في مواقف معينة دون اهتمام بمشاعره أو مصالحه.
- ج. القلق والتوتر الاجتماعي: التسطيح في العلاقات قد يسبب قلقاً في الحياة الاجتماعيَّة؛ حيث يشعر الأفراد بأنهم محاطون بعلاقات غير صادقة أو غير ثابتة، ما يزيد من مستويات التوتر والضغط النفسي.
- د. تآكل الثقة: مع تحوُّل الصداقات إلى علاقات خالية من القيم الخُلُقِيَّة، فإنَّ الثقة المتبادلة تتآكل، ما يؤدي إلى صعوبة في إقامة روابط حقيقيَّة مع الآخرين.

٣- كيفية معالجة تسطيح مفهوم الصداقة:

- أ. تعزيز الوعي بالقيم الإسلاميَّة: من خلال التعليم والتوجيه

الديني، يجب أن يكون هناك تأكيد على أهميَّة الصداقة الصالحة في الإسلام التي يجب أن تكون مبنية على مبادئ الأخلاق الحميدة مثل الصدق، والوفاء، والإحسان.

ب. العودة إلى العلاقات الحقيقيَّة: من خلال تقوية مهارات التواصل الفعّال والإنساني، يجب تشجيع الأفراد على تكوين علاقات صادقة ومستدامة، بعيداً عن العلاقات السطحيَّة التي تركز على المنفعة المتبادلة فقط.

ج. التأكيد على أهميَّة الاحترام المتبادل: في الصداقة، يجب أن يكون الاحترام المتبادل والتفاهم أساساً للعلاقة، ما يعزّز من بناء الثقة ويزيد من قوَّة العلاقات.

د. استخدام وسائل الإعلام بشكل إيجابي: يمكن استغلال وسائل التواصل الاجتماعي لتعزيز العلاقات الصادرة والهادفة، من خلال نشر الوعي عن الصداقة الحقيقيَّة والقيم الإنسانيَّة، وابتكار محتوى يشجّع على التعاون والمساعدة المتبادلة.

لذا، فإنَّ تحويل الصداقة إلى علاقات خالية من المعايير الخُلُقِيَّة هو تهديد لقيم التعاون والاحترام المتبادل، ومن خلال العودة إلى القيم الإنسانيَّة والدينيَّة، يمكن إعادة بناء مفهوم الصداقة ليكون قائماً على

الدعم المتبادل، والأخلاق، والوفاء، ما يعزّز من الروابط الاجتماعيّة الحقيقية.

المبحث الثالث: أثر التغريب على القيم المهنيّة والاقتصاديّة

أولاً: الحرّيّة المفرطة والماديّة النفعيّة وجعلهما بديلاً عن القيم الإسلاميّة في العمل
١- الحرّيّة:

إنّ هناك ميلاً فطريّاً عند الشباب إلى مصطلح الحرّيّة، علماً أنّ هناك عدم وضوح عندهم في فهمها.

إنّ الشباب لا يفهمون من الحرّيّة إلا أن يكونوا مستقلّين في شؤونهم الحياتيّة استقلالاً تامّاً وبعيدين كلّ البعد عن العائلة أو عن الاعتماد عليها، مع سعي جدّي لإثبات الشخصية بكلّ صورة ممكنة.

إنّ الشاب ولأجل ما يُسمّى بالحرّيّة فإنّه يقوم بالتمرد على العادات والآداب والتقاليد، مع عدم الانقياد للوالدين، والتمرد على الثوابت الدينيّة بل قد يتعدّى الأمر إلى استخدام القوّة في الحصول على مبتغاه، والعناد؛ كل ذلك لإظهار نفسه بمظهر الاستقلاليّة والتحرّر من الموروثات

والتقاليد، والسعي إلى تقليد الغرب والحُرِّيَّةُ الغربيَّة، علماً أنَّ الغرب لديه حدود واطر لا يخرج عنها، وهذا المفهوم نجده غائباً عن جملة من شبابنا في فهمهم للحُرِّيَّةُ بجميع أطرها.

إن الإسلام لم يمنع الحُرِّيَّةُ، لكن من الضروري مراعاة الآخرين، لذلك فإن الحُرِّيَّةُ ستكون مفيدة إذا كانت ضمن أطر وقوانين وثوابت، مع مراعاة الآخرين.

إن الحُرِّيَّةُ الحقيقيَّةُ هي التي لها دور فعال في تنمية وتطوير الشخصية الإنسانية الشبائبة، بشرط ان تكون ضمن الضوابط، وبخلاف ذلك تكون الحُرِّيَّةُ المنفلتة؛ وهي المهلكة للشباب، وهي التي تؤدِّي الآثار السلبية التي تعود بالضرر على الفرد والمجتمع؛ كونها لا تتقيَّد بالقيود والضوابط. من منطلق - وكما يقال - بأنَّ الشباب مرحلة الاندفاع، وأنَّ الكهولة هي مرحلة الاعتدال، والشيوخوخة مرحلة الاتزان، فإنَّ الميول الجامحة وبدافع من الحُرِّيَّةُ تستيقظ بشدَّة عند الشباب فتسلب لَبَّهم، لتصل إلى الحُرِّيَّةُ المتطرِّفة.

إنَّ الشاب يميل بطبعه العرفي إلى الحُرِّيَّةُ المطلقة من دون قيد أو شرط، فلا نجده يتقيَّد بعقل ولا منطق ولا قانون بل إنَّ الذي يريده هو الإشباع للغرائز والسعي نحو الرغبات النفسِيَّةُ بدافع الحُرِّيَّةُ المطلقة، لذلك كان من الضروري تقنين رغبات الشباب، وبالخصوص في مسألة الحُرِّيَّةُ

والاستقلاليَّة وصقل فهمهما عنده، بأن تكون الحرِّيَّة ضمن الضوابط الشرعيَّة والخُلقيَّة والاجتماعيَّة، لتكون باتجاه تحقيق الخير والصلاح، من أجل بناء شخصيَّة سليمة سويَّة، باعتماده على ذاته، واستثمار ما لديه من طاقات ومواهب وقدرات، لبناء وطنه، وأن يكون منتجاً لنفسه ولغيره. من الضروري أن يتفهَّم الآباء متطلِّبات الشباب واحتياجاتهم، وفق روح العصر الذي يعيشونه، وليس بعصر الآباء والأجداد، وأن تكون الرؤيَّة أو النظرة إلى الأمور بواقعيَّة، بأن يسود الاحترام، ويستفيد الشاب من تجارب الآباء في الحياة، مضافاً إلى ضرورة سعي الآباء إلى تنمية ثقة الشباب بأنفسهم، وإعانتهم في الاعتماد على النفس وعلى أهل الخبرة، مع التوجيه والمراقبة وزرع الإيمان في أعماقهم، والكلام معهم بكل واقعيَّة، وفي أدقِّ الأمور والتفاصيل، حتى يكون التوجيه دقيقاً، حتى في الملابس المناسب، ليكون ضمن المعقول والمقبول لا على نحو مخالف للذوق أو المتعارف، أو تقليد لما هو متقد عرفياً أو اجتماعياً أو دينياً. إنَّ من الضروري جدًّا مراعاة القواعد السليمة في الاختلاط عند الشباب الجامعي، مع مراعاة الآداب والقواعد الإسلاميَّة، والوقوف عند الحدود الإسلاميَّة الرصينة، فالإسلام قد وضع الحدود السليمة للحرِّيَّة الحقيقيَّة، وهو قد حرَّر الشخص المسلم، لكن بضوابط شرعيَّة وخُلقيَّة وإنسانيَّة.

٢- المادِيَّةُ النَفْعِيَّةُ:

إنَّ المادِيَّةَ النَفْعِيَّةَ هي مفهوم يشير إلى التفكير والنمط السلوكي الذي يركِّز بشكل رئيس على تحقيق المكاسب المادِيَّةَ أو المنفعة الشخصية بشكل مباشر، دون النظر إلى القيم الخُلُقِيَّةَ أو الروحيَّةَ التي قد تكون جزءاً من عمليَّة اتخاذ القرارات أو تصرفات الأفراد، وفي هذا السياق، تصبح المادِيَّات مثل المال، والممتلكات، والمصالح الشخصية هي المقياس الأساس للقيمة والنجاح، ويجري تجاهل الأبعاد الإنسانيَّة أو الاجتماعيَّة التي تشمل الاهتمام بالعلاقات، والقيم الخُلُقِيَّةَ، والرُّوحانيَّات.

أ- أسباب انتشار المادِيَّةِ النَفْعِيَّةِ:

- العولمة ووسائل الإعلام: انتشار الثقافة الاستهلاكيَّة عبر وسائل الإعلام والتكنولوجيا الحديثة أسهم في تعزيز قيم التنافس المادِّي والسعي وراء النجاح المادِّي. يجري ترويج نماذج من الحياة التي تتمحور حول المال والمكانة الاجتماعيَّة.
- الضغوط الاقتصاديَّة: التحدِّيَّات الماليَّة في العالم المعاصر يمكن أن تدفع الأفراد إلى التركيز على جمع المال وتحقيق الاستقرار المالي بوصفه أولويَّة، ما يعزِّز السلوك المادي والنفعي.

- تغيير في القيم الثقافية: في بعض المجتمعات، قد يحدث تحوّل في القيم التقليديّة التي كانت تركز على التضحية من أجل المجتمع، إلى ثقافة تفضّل النجاح الشخصي والربح المادي على حساب التعاون الاجتماعي أو القيم الروحيّة.
- الفرديّة: الانفتاح على عالم يقدّس الفرديّة، حيث يعتقد بعضٌ أنّ النجاح يعتمد بشكل كامل على الجهود الشخصية والإنجازات الفرديّة، ما يعزّز من تفضيل المصالح الشخصية على الاهتمامات الجماعيّة.

ب- آثار الماديّة النفعيّة:

- الانفصال عن القيم الإنسانيّة: عندما يصبح المال والمكاسب الشخصية هما الهدف الرئيس، قد تتضاءل أهميّة قيم، مثل الحب، والصدق، والتضحية، والوفاء في العلاقات الاجتماعيّة، وهذا يؤدي إلى تصاعد الأنانيّة والتمركز حول الذات.
- إضعاف الروابط الاجتماعيّة: العلاقات بين الناس تتحوّل إلى علاقات قائمة على المنفعة المتبادلة بدلاً من الأواصر الإنسانيّة الحقيقيّة، ما يؤدي إلى تراجع التعاون والمشاركة الحقيقيّة.

- الضغط النفسي والقلق: الانشغال المفرط بالنجاح المادي قد يؤدي إلى القلق الدائم على المستقبل، ما ينعكس سلباً على الصحة النفسية والعاطفية، الشعور بعدم الرضا أو البحث المستمر عن المال قد يعزز الشعور بالفراغ الداخلي.
- المشاكل الخُلُقِيَّة: المادية النفعية قد تدفع بعض الأفراد إلى اتخاذ قرارات غير خُلُقِيَّة أو غير عادلة لتحقيق مصالحهم الخاصة، مثل الاستغلال أو التلاعب بالآخرين.

ت - كيفية مواجهة المادية النفعية:

- تعزيز القيم الروحية والخُلُقِيَّة: من خلال التوجيه الديني والفلسفي، يجب تذكير الأفراد بأهمية القيم الإنسانية، مثل العطاء، والرحمة، والتعاون. في الإسلام، على سبيل المثال، يُشدد على الزكاة، والصدقة، والاهتمام بالآخرين.
- تقديم نماذج إيجابية: تشجيع الأفراد على اتباع نماذج حيَّة تُظهر أنَّ النجاح ليس فقط في جمع المال، ولكن في كيفية العيش وفقاً لقيم خُلُقِيَّة وحقيقية تعزز من رفاه الإنسان والمجتمع.
- إعادة التركيز على العلاقات الإنسانية: بدلاً من التعامل مع

الآخرين باعتبارهم مجرد وسيلة لتحقيق أهداف ماديّة، يجب تعزيز الأهميّة الكبيرة للعلاقات الإنسانيّة الصادقة التي تبني على الاحترام المتبادل والدعم العاطفي.

■ التوازن بين المصالح الماديّة والقيم الإنسانيّة: من المهمّ أن يجد الفرد توازناً بين تحقيق النجاح المادي وبين الحفاظ على قيمه الروحيّة والخُلقيّة. يمكن أن يكون المال أداة جيّدة لتحقيق رفاهيّة الفرد والمجتمع، لكن من الضروري أن يجري استخدامه بحذر، وبما يحقّق المصلحة العامة وليس على حساب المبادئ الخُلقيّة.

إنّ الماديّة النفعيّة تمثّل تهديداً لقيم التضامن والتعاون في المجتمع، وتزيد من التركيز على المصالح الشخصية على حساب المصلحة العامة، من خلال تعزيز القيم الإنسانيّة والتوازن بين الأبعاد الماديّة والروحيّة، يمكن تقليص تأثير الماديّة النفعيّة في الحياة الفرديّة والاجتماعيّة.

إنّ تحوّل الحرّيّة المفرطة والماديّة النفعيّة إلى بديلين عن القيم الإسلاميّة في العمل يمثّل ظاهرة تتزايد في المجتمعات الحديثة؛ حيث يجري تفضيل الفرديّة المطلقة والبحث عن المكاسب الماديّة على حساب المبادئ الخُلقيّة والدينيّة التي توجّه سلوك الأفراد في حياتهم المهنيّة.

إنَّ هذا التحوُّلَ له تأثيرات كبيرة على المجتمع، فهو يؤدي إلى انحراف القيم وتراجع التعاون المجتمعي والاهتمام بالآخرين، ومن ذلك جعل الحرِّيَّةِ المفرطة بديلاً عن القيم الإسلاميَّة، فالحرِّيَّةُ المفرطة، بمعنى التحرُّر الكامل من أي ضوابط أو معايير خُلُقِيَّة، قد تُعتبر خياراً مغرياً في عدد من السياقات المعاصرة، خاصَّةً في العمل والمجتمع، لكن في إطار القيم الإسلاميَّة، فإنَّ الحرِّيَّةَ ليست مطلقة بل محدودة بالأخلاق والتوجيهات التي تحقِّق العدالة والمساواة وتحفظ حقوق الآخرين.

٣- الأسباب التي تجعل الحرِّيَّةَ المفرطة بديلاً عن القيم الإسلاميَّة

- أ. التركيز على الفرديَّة: في المجتمعات المعاصرة، يجري تشجيع الأفراد على التصرف وفقاً لرغباتهم الشخصية دون النظر إلى آثار سلوكهم على الآخرين، ما يؤدي إلى إضعاف القيم التي تركِّز على التعاون والتضامن في العمل.
- ب. تحدِّي القيود الخُلُقِيَّة: بعض الأفراد يرون في الحرِّيَّةَ المفرطة فرصة للتخلِّي عن القيود الدينيَّة والاجتماعيَّة، هذا قد يظهر في تقليل الالتزام بالخُلُقِيَّات المهنيَّة، مثل الأمانة، والعمل الجماعي، واحترام حقوق الآخرين.

ج. ت - غياب التوازن: يشدّد الإسلام على ضرورة التوازن بين الحرية الشخصية والمسؤولية تجاه الآخرين والمجتمع، فالحرية المفرطة لا تضع في اعتبارها هذا التوازن، ما قد يؤدي إلى تصرفات أنانية وغير مسؤولة في بيئات العمل. ومن آثار ذلك:

أ. ضعف التعاون: مع غياب الضوابط الخلقية، قد تصبح بيئة العمل مليئة بالأنانية والتنافس المفرط، ما يقلل من التعاون والمشاركة بين الأفراد.

ب. تراجع القيم الإسلامية: كالعدل، والأمانة، والرحمة قد تتضاءل في بيئة يسود فيها مبدأ الحرية المطلقة التي لا تراعي هذه القيم.

ج. جعل المادية النفعية بديلاً عن القيم الإسلامية: فالمادية النفعية تشير إلى الاتجاه الذي يركّز على السعي وراء المنفعة المادية فقط دون مراعاة الأبعاد الخلقية أو الروحية.

في بيئة العمل، يمكن أن تظهر المادية النفعية في سعي الأفراد المستمر وراء المكاسب المادية أو السلطة الشخصية على حساب المصلحة العامة أو المبادئ الإسلامية.

٤- الأسباب التي تجعل الماديَّة النفعيَّة بديلاً عن القيم الإسلاميَّة

أ. التركيز على المكاسب الشخصيَّة: مع زيادة الضغط من أجل تحقيق النجاح المادي، يميل بعضٌ إلى تجاهل القيم، مثل النزاهة، والعدل، والمساواة، إذا كانت هذه القيم تتعارض مع مصالحهم الشخصيَّة.

ب. إغراءات النجاح السريع: في عدد من الصناعات أو البيئات المهنيَّة، يمكن أن يكون النجاح السريع والمكاسب الماديَّة المتزايدة مغرياً، ما يجعل بعض الأفراد يسعون لتحقيق أهدافهم بغضِّ النظر عن الوسائل التي يتَّبعونها.

ج. الضغوط الاجتماعيَّة: في بعض المجتمعات، يعتبر النجاح المادي معياراً رئيساً للقياس والتقويم، ما يعزِّز من الماديَّة النفعيَّة ويقلِّل من قيمة الجهد الذي يبذل من أجل تحقيق التوازن الخُلُقِي.

د. الضغوط الاقتصاديَّة: ففي بلدان ومجتمعات متعدِّدة يعدُّ التمكُّن الاقتصادي مقياساً للأشخاص، وميزاناً لمكانتهم، واحترامهم، وربما حُبِّهم.

ومن آثار ذلك:

أ. إهمال القيم الخُلُقِيَّة: قد يؤدي التركيز المفرط على المكاسب

الفصل الثالث - المبحث الثالث (١٧)

الماديّة إلى تراجع الاهتمام بالقيم الإسلاميّة، مثل الأمانة، والعدل، والتعاون.

ب. التنافس غير العادل: قد يتسبّب التركيز على المكاسب الشخصية في بيئة عمل غير نزيهة؛ حيث يُستخدم كلّ وسيلة لتحقيق الأهداف، بما في ذلك التلاعب أو استغلال الآخرين.

ج. تدمير العلاقات الإنسانيّة: فعند التركيز على المنفعة الشخصية فقط، يمكن أن تتدهور العلاقات بين الزملاء في العمل، ما يؤدّي إلى بيئة عمل سامّة وغير داعمة.

٥- كيف يمكن معالجة هذه الظواهر؟

أ. تعزيز القيم الإسلاميّة في العمل: يجب أن يكون هناك تذكير مستمرّ بأهميّة القيم الإسلاميّة في بيئة العمل، مثل الأمانة، والتعاون، والعدالة التي توازن بين الطموحات الشخصية وحقوق الآخرين.

ب. إعادة التفكير في مفهوم النجاح: يجب أن يجري تفعيل مفهوم النجاح في إطار القيم الإسلاميّة؛ حيث يجري تحقيق النجاح المادي بطريقة خُلقيّة دون التضحية بالقيم الدينيّة.

ج. التربية على الأخلاق الإسلاميّة في العمل: تعزيز التعليم

والتوعية بالخُلُقِيَّاتِ الإسلاميَّةِ في بيئة العمل من خلال ورش عمل، ومحاضرات دينيَّة، والقُدوة الحسنة من القادة والمديرين.

د. التوازن بين الحرية والمسؤوليَّة: في الإسلام، تعتبر الحرية مرتبطة بالمسؤوليَّة تجاه الآخرين. يجب أن يجري تفعيل هذا المبدأ من خلال وضع قوانين وآليات عمل تضمن احترام حرية الأفراد، وفي الوقت نفسه تعزِّز من المسؤولية الاجتماعيَّة.

عند إضعاف القيم الإسلاميَّة لصالح الحرية المفرطة والماديَّة النفعية، فإننا نشهد تراجعاً في القيم الخُلُقِيَّة في بيئات العمل، ما يؤدي إلى أنماط سلوكيَّة تضرّ بالفرد والمجتمع. من المهم أن يكون هناك توازن بين الطموحات الشخصيَّة والالتزام بالقيم الدينيَّة التي تحافظ على العدالة، والتعاون، والاحترام المتبادل في جميع جوانب العمل.

ثانياً: تبرير الفساد المالي والوظيفي

إنَّ تبرير الفساد المالي والوظيفي تحت مُسمّيات، مثل النجاح، والحرية، والتطور، يعدّ من الظواهر الخطيرة التي تنتشر في بعض المجتمعات والأماكن المهنيَّة؛ حيث يجري استخدام هذه المفاهيم

لتغطية السلوكيات غير الخُلقيّة أو التي تنتهك القوانين والأنظمة، بهدف تحقيق مصالح شخصيّة أو مهنيّة دون مراعاة للمعايير الخُلقيّة أو القانونيّة.

١- تبرير الفساد تحت مسمّى النجاح:

يُستخدم مفهوم النجاح لتبرير الفساد عندما يرى الفرد أنّ تحقيق النجاح يتطلّب وسائل غير قانونيّة أو غير خُلقيّة.

إنّ هذه الفكرة قد تكون مغرية بالنسبة إلى بعض، خاصّة إذا كانت التطلّعات نحو الثروة أو المنصب عالي جدًّا، ومن الأسباب والآليات لذلك:

أ. الضغط لتحقيق نتائج سريعة: قد يعتقد بعض أنّ النجاح لا يتحقّق إلاّ بالتحايل على القوانين أو استخدام أساليب ملتوية، ما يؤدّي إلى تجاوز القيم الخُلقيّة من أجل الحصول على نتائج أسرع.

ب. الاعتقاد بأنّ الهدف يبرّر الوسيلة: بعض الأفراد قد يعتقدون أنّ النجاح النهائي، سواء كان ماليًّا أم مهنيًّا، يجعل من المسموح استخدام طرق غير قانونيّة، حتى وإن كانت هذه الطرق تنتهك الأخلاق أو القوانين.

ج. التقدير المجتمعي للنجاح المادّي: في بعض المجتمعات،

يجري تقدير النجاح بناءً على المال أو المنصب الذي يحصل عليه الشخص، ما يجعل بعضُ يُسقط القيم في سبيل تحقيق هذا النجاح.

ومن آثار ذلك:

- أ. التهرّب من المسؤولية: استخدام مفهوم النجاح لتبرير الفساد قد يؤدي إلى التهرّب من المسؤولية؛ حيث يصبح الشخص غير مكترث بعواقب أفعاله طالما أنه يحقق هدفه.
- ب. الإضرار بالمجتمع: عندما يُعدّ الفساد جزءاً من طريق النجاح، فإنّ ذلك سيؤدّي إلى تدهور الثقة في المؤسسات ويسهم في تفشي السلوكيات غير الخُلُقِيَّة في المجتمع.

٢- تبرير الفساد تحت مسمّى الحرية:

إنّ الحرية هي قيمة مهمّة في المجتمعات المعاصرة، لكن بعضهم قد يستخدمها ذريعة لتبرير السلوكيات التي لا تراعي القوانين أو المعايير الخُلُقِيَّة.

إنّ الحرية في هذا السياق تكون حريّة مطلقة تتجاوز حدود الاحترام لحقوق الآخرين أو المسؤولية الاجتماعية، ومن الأسباب والآليات:

أ. التمرد على القيود: قد يُحاول بعضٌ تبرير أفعاله في مخالفة القوانين أو الأنظمة باستخدام مفهوم الحرية، مدّعين أنّ حرية الشخص تكفل له التصرف كما يشاء دون التقيّد بالقوانين أو الضوابط.

ب. الاستقلاليّة الشخصية: بعض الأفراد يعتقدون أنّ استخدام المال أو السلطة لتحقيق أهداف شخصية هو جزء من حرية الفرد واستقلاله، ويشعرون أنّ أيّ قيود خُلقيّة أو قانونيّة هي تدخّل في حقوقهم الشخصية.

ج. عدم تحمّل المسؤولية: قد يُستخدم مفهوم الحرية للهروب من المسؤولية عن الفساد أو السلوكيات غير القانونيّة، متذرّعاً بأنّ الحرية تبرّر التصرفات الشخصية. ومن آثار ذلك:

أ. الفوضى والانعدام النظامي: إذا جرى تفسير الحرية على أنّها حرية غير محدودة، فإنّ هذا قد يؤدي إلى فوضى قانونيّة وخُلقيّة؛ حيث تصبح المخالفات جزءاً من السلوك المعتاد.

ب. انتهاك حقوق الآخرين: الحرية التي لا تضع في اعتبارها احترام حقوق الآخرين، قد تؤدّي إلى استغلال الناس في بيئة العمل أو المجتمع.

٣- تبرير الفساد تحت مسمى التطور:

الحديث عن التطور والتحديث أصبح جزءاً من الأدبيات التي تروج لفكرة ضرورة التغيير والتقدم، ولكن بعض الأفراد قد يبررون الفساد أو التلاعب لتحقيق التطور الشخصي أو التطور المؤسسي، ما يؤدي إلى تجاهل الوسائل القانونية والخُلُقِيَّةُ لتحقيق هذا التطور، ومن الأسباب والآليات:

أ. التحسين الوظيفي أو المادي: قد يسعى بعض إلى تبرير الفساد بهدف تسريع التطور المهني أو الحصول على موارد مالية أكبر دون اعتبار للطرق الصحيحة لتحقيق ذلك.

ب. الضغوط الاجتماعية: في بعض الأحيان، قد يشعر الفرد بضغط من المجتمع أو من البيئة المهنية لاتباع طرق غير خُلُقِيَّةُ لتحقيق التطور السريع.

ج. الاعتقاد بأنَّ الغاية تبرر الوسيلة: في بعض الحالات، قد يجري تبرير الفساد بحجَّة أنَّ التقدم والتطور في العمل أو المجتمع يتطلب اتخاذ خطوات قد تكون غير قانونية أو غير خُلُقِيَّةُ، مثل المحسوبية أو الرشوة.

ومن آثار ذلك:

أ. التراجع في الكفاءة المؤسسية: إذا جرى تبرير الفساد على أنَّه جزء من عملية التطور، فإنَّ ذلك سيؤدي إلى تدني مستوى

المؤسّسات وضياع النزاهة والشفافيّة.

ب. تفشّي الفساد: تبرير الفساد لتحقيق التطوّر قد يعزّز من تقبّل المجتمع لهذا السلوك غير الخُلقي، ويؤدّي إلى انتشاره في مجالات عديدة.

إنّ تبرير الفساد المالي والوظيفي تحت مسمّيات، مثل النجاح، والحرّيّة، والتطوّر، يعدّ من أخطر الظواهر التي تؤثّر سلبيّاً على المجتمع والأفراد على حدّ سواء.

إنّ هؤلاء الذين يبرّرون أفعالهم في إطار هذه المفاهيم غالباً ما يتجاهلون الأضرار التي تلحق بالمجتمع، مثل تدهور الثقة في المؤسّسات، وتدهور القيم الخُلقيّة، فمن المهمّ أن يجري التأكيد على أنّ النجاح الحقيقي يجب أن يكون قائماً على النزاهة والعدل، وأنّ الحرّيّة لا تعني التصرف دون مسؤوليّة أو تأثير على الآخرين، وأنّ التطوّر يجب أن يتحقّق عبر وسائل قانونيّة وخُلقيّة تحترم حقوق الجميع لا أن تحترم فرداً أو فئة معيّنة فقط.

ثالثاً: التحديات التي تواجه تطبيق القيم الخُلقيّة في

بيئات العمل

يواجه تطبيق القيم الخُلقيّة في بيئات العمل عدد من التحديات التي

قد تؤثر على فعالية هذه القيم في تحسين الأداء والبيئة المهنية، وتنوع هذه التحديات بين عوامل فردية وتنظيمية وأخرى اجتماعية تتداخل لتؤثر في اتخاذ القرارات الخلقية وتنفيذها على أرض الواقع، وبالخصوص في بيئات العمل التي تحتاج إلى تأسيس خُلُقِي حقيقي، كي تكون الأمانة والنزاهة هما المعياران في التعامل ما بين المتعاملين، وسنستعرض في ما يأتي أبرز التحديات:

١- الضغط لتحقيق نتائج سريعة:

تسعى كثير من المؤسسات لتحقيق أهداف قصيرة المدى تتعلق بالربحية أو الإنتاجية العالية. إنَّ هذا الضغط يمكن أن يدفع الأفراد إلى اتخاذ قرارات قد تتعارض مع القيم الخلقية لتحقيق نتائج أسرع، مثل اللجوء إلى الغش أو التلاعب بالبيانات. أثر ذلك: قد يؤدي إلى تراجع جودة العمل وتقويض نزاهة المؤسسة، ويخلق بيئة عمل يسودها الاستغلال والأنانية بدلاً من التعاون.

٢- غياب ثقافة الشفافية:

في عدد من المؤسسات، يمكن أن يكون هناك نقص في الشفافية

في عمليّات اتّخاذ القرارات أو في مشاركة المعلومات بين الموظّفين والإدارة، وهذا سيفتح المجال للفساد أو المحاباة على حساب معايير العدالة والنزاهة التي من المفروض أن تكون هي السائدة والمقدّمة على غيرها التي لها الصدارة والتقدّم.

أثر ذلك: سيؤدّي إلى تضخيم مشاعر الإحباط وفقدان الثقة بين الموظّفين، وسيزيد من احتمالات سوء الفهم أو تصاعد المشاكل التنظيميّة.

٣- تضارب المصالح:

في بعض الأحيان، يمكن أن يكون هناك تضارب بين مصالح الأفراد والمؤسّسة، ما يؤدّي إلى اتّخاذ قرارات تتماشى مع المصالح الشخصية أو المهنيّة على حساب مصلحة المنظّمة أو القيم الخلقية السائدة. أثر ذلك: سيؤدّي إلى اتّخاذ قرارات قد تؤثر سلباً على رفاهيّة الموظّفين أو على البيئة المحيطة، ويمكن أن يعزّز الشعور بالتمييز وعدم العدالة في بيئة العمل.

٤- عدم وجود نظام للمساءلة والمحاسبة:

غياب الآليّات الفعّالة للمحاسبة في بيئات العمل يمكن أن يشجّع على

التلاعب أو السلوكيات غير الخُلُقِيَّة؛ حيث يمكن للموظفين أو القادة أن يعتقدوا أن هناك إفلاتاً من العقاب.

أثر ذلك: سيضعف تطبيق القيم الخُلُقِيَّة في بيئة العمل ويشجّع على تجاوز القوانين أو المعايير، ويؤدّي إلى بيئة عمل مليئة بالفساد أو التصرفات غير القانونيّة.

٥- التأثيرات الثقافية والاجتماعيّة:

تتفاوت القيم الخُلُقِيَّة من ثقافة إلى أخرى، وما يُعتبر خُلُقياً في بيئة عمل ما قد لا يكون كذلك في بيئة عمل أخرى. يمكن أن يؤدّي الاختلاف في الفهم الثقافي للقيم الخُلُقِيَّة إلى تحديات في تطبيقها بشكل موحد عبر مختلف الجنسيات والخلفيات الثقافية.

أثر ذلك: حدوث صراعات داخل فرق العمل بسبب تباين القيم والمفاهيم الخُلُقِيَّة، وصعوبة في تنسيق وتوجيه الأنشطة بشكل يتوافق مع القيم المشتركة.

٦- المكافآت على الأداء الفردي فقط:

التركيز المفرط على المكافآت التي تُعطى للأداء الفردي دون النظر إلى القيم الجماعيّة أو الخُلُقِيَّة يمكن أن يعزّز السلوكيات غير الخُلُقِيَّة. عندما

يُمنح الأشخاص المكافآت بناءً على نتائج فرديّة، قد يلتزمون باستخدام أساليب غير خُلقيّة للوصول إلى هذه النتائج. أثر ذلك: يخلق بيئة تنافسيّة غير صحيّة؛ حيث يسعى الأفراد لتحقيق النجاح على حساب الآخرين، وقد يسبّب تجاهل المعايير الخُلقيّة في سبيل تحقيق مكاسب فرديّة.

٧- التحدّيات في القيادة والإدارة:

غالبًا ما يكون القادة في أي بيئة عمل هم المسؤولون الرئيسون عن تحديد السياسات والممارسات الخُلقيّة، فإذا كانت القيادة تفتقر إلى الالتزام بالقيم الخُلقيّة أو لم تقدّم مثالاً جيّدًا، فإنّ هذا قد يؤدي إلى تقويض أي جهود لتطبيق القيم في العمل. أثر ذلك: سيؤدي إلى ضعف في تطبيق القيم الخُلقيّة على مستوى الفرق، ويقلّل من الثقة في القيادة، ويؤثر سلبًا على الولاء والانتماء للمؤسّسة.

٨- قلة التدريب والتوجيه في القيم الخُلقيّة:

إذا لم يجر توفير التدريب والتوجيه الكافيين للموظّفين عن كيفيّة التصرف وفقًا للقيم الخُلقيّة في العمل، فقد يصبح من الصعب عليهم

اتخاذ القرارات الصحيحة أو التفاعل مع المواقف المعقّدة بطريقة مهنيّة. أثر ذلك: سيؤدّي إلى اتخاذ قرارات غير خُلُقِيَّة بسبب نقص الفهم أو الإرشاد، ويعزز ثقافة التغاضي عن السلوكيّات غير الخُلُقِيَّة.

٩- التّعاَس في تطوير سياسات وإجراءات فعّالة:

قد تجد المؤسّسات، التي تفتقر إلى سياسات واضحة وإجراءات مكتوبة للتعامل مع المسائل الخُلُقِيَّة، صعوبة في تحديد كيف يجب أن يتصرّف الموظّفون في الحالات المختلفة.

أثر ذلك: سيؤدّي إلى تعقيد تطبيق القيم الخُلُقِيَّة بشكل موحد، وقد يسهم في غياب المساءلة والانضباط في مكان العمل.

كيفية التغلّب على هذه التحدّيات؟

أ. تعزيز ثقافة الشفافيّة والمساءلة: يجب أن تكون المؤسّسات واضحة في سياساتها وأهدافها الخُلُقِيَّة، وأن تكون هناك آليّات محاسبة فعّالة.

ب. التدريب المستمرّ: تخصيص برامج تدريبية منتظمة للموظّفين على القيم الخُلُقِيَّة وأهميّة تطبيقها في العمل يمكن أن يساعد في توجيههم نحو اتخاذ القرارات الصائبة.

ج. التركيز على العمل الجماعي: من خلال منح المكافآت

والتحفيز للأداء الجماعي وليس الفردي فقط، يمكن تعزيز التعاون والعمل الخُلقي بين الموظفين.

د. القيادة بالأمثلة: يجب أن يكون القادة قدوة في تطبيق القيم الخُلقيّة. القيادة التي تتبنّى القيم الخُلقيّة تعزّز من اعتماد هذه القيم في المؤسّسة بأكملها.

هـ. وضع سياسات واضحة: ينبغي وضع قواعد وإجراءات واضحة للتعامل مع القضايا الخُلقيّة في مكان العمل، ما يساعد الموظفين على معرفة التصرفات المقبولة والمرفوضة. إنّ تطبيق القيم الخُلقيّة في بيئات العمل ليس عملية سهلة، لكنّه ضروري لضمان بيئة صحيّة ومستدامة، ومن خلال التصدّي للتحديات التي تواجه هذه العملية، مثل الضغوط لتحقيق نتائج سريعة أو غياب المساءلة، يمكن للمؤسّسات أن تخلق بيئة عمل تحترم المعايير الخُلقيّة، وتسهم في نجاح طويل الأمد.

الفصل الرابع:

الهوية الخلقية الإسلامية حصن ووقاية ضد
التغريب بكل أنواعه وأشكاله ومؤثراته

المبحث الأول: أسس تحصين الهوية الخلقية للشباب المسلم

أولاً: التربية الدينية ودورها في تعزيز الهوية الخلقية
لا بد أن نقول إن القيم مهمة جداً في جميع المجالات الحياتية للإنسان، وهي مهمة جداً في مجالي التربية والتعليم، وما يتعلق بهما في المجال العلمي والمعرفي.

لذلك، فإنه تعتبر القيم نتاجاً للثقافة المتولدة عن الأفراد والجماعات، وإنه ليعتبر تصريح مقتضب أن نقول إن القيم إحدى العوامل المهمة والمحركة للمحافظة على الأوضاع الاجتماعية للأفراد. وإنه من غير المعقول ألا تنقل المدرسة بوصفها إحدى المؤسسات الاجتماعية ذات

الأهميّة قيم المجتمع وتعمل على تنميتها. ويكتسب الأفراد القيم من خلال العمليّة العامّة والخاصّة بالتثقيف، ويكتسبون بعضها الآخر من خلال عمليّات تعليميّة. وتستخدم العمليّة المدرسيّة كلا المدخلين في غرس القيم وتنميتها في نفوس الطلاب^(١).

إنّ كلّ ما يختصّ بالتربية والتعليم يتخلّله وجود أسس للأحكام القيمية، ففي عمليّة ما يجب أن يُعلّم لطالب المدرسة ليكون رافداً له في عمليّة التربية والتعليم ينبغي تحديّ الأسس القيمية التي تختص بذلك، والتي يجب تعليمها لهم، والطرق المستخدمة في ذلك، والوسائل المستعملة، وبيان السليبيّات والإيجابيّات، والنتائج من كلّ ذلك.

إنّ عدم احتواء العمليّة التربويّة والتعليميّة على القيم سيكون مانعاً من الوصول إلى أهداف التربية والتعليم، لذلك فإنّ اختيار أسس التربية - على سبيل المثال - من ثقافة المجتمع يعدّ أمراً مهمّاً وأساساً؛ إذ لا يمكن الانتفاع بالقيم الأجنبيّة والمستورد، ولا بالقيم المغايرة لطبيعة ودين وسلوك المجتمع، كما ولا تنفع القيم الوضعيّة مع وجود القيم الأصليّة المقنّنة.

إنّ للقيم والتعلّم علاقة مهمّة لا بدّ من الالتفات لها، وبالتالي ستكون

هناك علاقة مُهمّة - يقيناً - ما بين القيم وأثر التعلم، وهذا يستدعي التعرف على المراد بأثر التعلّم.

إنَّ المراد بأثر التعلّم هو: أن ما يتعلّمه الفرد في موقف ييسّر ما يتعلّمه في موقف جديد. فتعلّم التلاميذ للجمع ييسّر لهم تعلّم عمليات الضرب. وتحدّث كتب علم النفس عن نظريّات انتقال أثر التعلّم بوصفه نظريّة التدريب الشكلي، ونظريّة العناصر المتماثلة التي تقرّر أنّه كلّما ازدادت العناصر المشتركة بين موقف وآخر كلّما سهل انتقال أثر التعلّم من الموقف الأوّل إلى الموقف الثاني^(١).

لذلك، فإنّ للقيم علاقة وثيقة بالتربية والتعليم، وتتجسّد هذه العلاقة من خلال المباني القيمية للتربية والتعليم عمومًا، وفي آيات القرآن الكريم بشكلٍ خاصّ.

ثانيًا: المسجد والعلماء ودورهما في بناء الوعي الخُلقي المتين للفرد المسلم

١- المسجد:

إنَّ المسجد يعدّ من أولى المؤسّسات التي أنشأت بعد الهجرة النبويّة

١ - يحيى هندام، المناهج: أسسها، تخطيطها، تقويمها، دار النهضة العربية، القاهرة - مصر، ط ١٠، ١٩٩٢م، ص ٣٥.

المباركة، وكان له دور محوري في حياة المسلمين، فهو لم يكن مكاناً للصلاة فقط، وإنما كان مركزاً تدار فيه شؤون الناس ومصالحهم في مختلف مناحي الحياة، وحلّ المشكلات، وتسيير أمور الدولة الإسلامية. بالنسبة إلى الشباب فقد لعب المسجد دوراً مهماً في حياتهم؛ من خلال تربيتهم، وتعليمهم على الألفة والتواصل والتكاتف، كما ساعدهم في تنمية قدراتهم، وحسن اختيار صداقاتهم، وشغل أوقات الفراغ بالمفيد. لقد كان المسجد مصدراً من مصادر المعرفة الدينية ومغرساً للقيم النبيلة، من خلال الاتصال المباشر مع رجال الدين؛ حيث إن للمسجد دوراً مهماً وشمولياً في حياة الشاب؛ وذلك لأنه وفي مرحلة المراهقة والشباب يكون الدين - عند الشاب - هو المتنفس الوحيد، فيشعر بأنه هو الأمان له من الضغوطات النفسية التي يمرّ بها، والملتجئ من المشكلات التي تعتريه، فهو مكان تربية الشاب على القيم النبيلة، وحمايته من الانحراف والتطرّف، وذلك من خلال المحاضرات التي تلقى فيه من قبل أهل الاختصاص من رجال الدين الأفاضل.

نعم، يستحقّ الشباب كلّ هذا الاهتمام، فتاريخياً إنّ الشباب هم من سارعوا إلى بناء المسجد الأوّل في الإسلام، لكن الذي يحصل الآن هو عزوف بعض الشباب عن المساجد، وذلك تحت مغالطة مشهورة: بأنّ المسجد هو لكبار السنّ أو الرجال الذين فقط، وأنّ على الشباب

أن يمضوا في حياتهم بعيداً عن تلك الأجواء، وهذا خطأ كبير لا بدّ من تصحيحه، مع العمل على جذب الشباب إلى المسجد وإلى ما به من أجواء إيمانيّة؛ لأنّ المسجد هو أحد الجسور الثلاثة المهمّة في الثقافة الفرديّة والمجتمعيّة، وهذه الجسور هي: البيت، والمدرسة، والمسجد. إنّ المسجد ثالث الجسور المهمّة في بناء الفرد والمجتمع في الإسلام بل هو المغذّي والمموّل والمصحّح للجسرين الآخرين؛ كونه النافذة المهمّة للقضايا التشريعيّة الحياتيّة التي تخصّ حياة الفرد.

نعم، نستطيع أن نعمل على جذب الشباب إلى المساجد من خلال عمل الندوات الفعّالة، والتجمعات المفيدة، والمحاضرات العلميّة الهادفة التي تحاكي عقولهم وطبيعة المرحلة التي يعيشونها. لا شكّ أنّ زمانهم - أي الشباب - يختلف عن زمان آبائهم، فالتغيرات الحياتيّة التي ظهرت في زمانهم يكون لها انعكاس على سلوكهم، فبعضهم وقع ما بين الإفراط أو التفريط.

لا بدّ من تقويم سلوك الشباب لجعل سلوكهم صحيحاً ومناسباً، ووضعهم على الجادة الوسطى الأمانة، وتحذيرهم مما يقوم به الغرب، وذلك من محاربة الشباب المسلم من خلال تصدير ما من شأنه تضليلهم، مع بثّ أمور تدعو إلى التشكيك في العقيدة، كالتشكيك في وحدانيّة الخالق عزّ وجلّ، والتشكيك في أحقيّة مذهب أهل البيت (عليهم السلام).

مع كثيرٍ من الطرق التي يتفنَّن بها الأعداء لحرف شبابنا، ابتداءً من المظهر، وما يتعلَّق بالزي، والسلوك الخارجي، وصولاً إلى دينهم وعقيدتهم. إنَّ الحملة - المعادية - شرسة، والتصدي لها لا بدَّ أن يكون على مستوى التحدي؛ لأجل حماية هذا الجيل، فإنَّ للمسجد دوراً كبيراً، ودوره لا ينحصر في إقامة الصلوات بل لا بدَّ من أن يُفعل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن بأسلوب عقلائي مناسب، وهنا يبرز دور الإنسان المختصَّ، والمُبلِّغ، والمدرب لأداء هذه المهمة، في المكان المناسب الذي له قدسيَّة، وهو المسجد.

إنَّ إعداد المبلِّغ الناجح بأسلوب علمي يعتمد على معرفة دينيَّة ممزوجة بعلوم اجتماعيَّة ونفسيَّة وتربويَّة، وإتقان فنَّ الإلقاء.

ضمن جدران هذه البناية المقدَّسة - ألا وهي المسجد - تتبلور أفكار صدَّ جميع الهجمات الموجهة ضدَّ شبابنا، وفيه يجري تثبيت العقيدة في نفوس الشباب، وإقناعهم بحقيقة الإسلام، وسلوك المسلم الحقيقي، وتعليمهم كيفيَّة الدفاع عن الإسلام، وكيفيَّة بناء وتثبيت القيم الإسلاميَّة الصحيحة.

٢- العلماء:

إنَّنا حين نتأمَّل في حقيقة المعلم في نصوص القرآن الكريم يزيدنا ذلك

فخراً واعتزازاً، خصوصاً أنّ القرآن الكريم قد أعلى شأن العالم والمُعَلِّم في آيات كثيرة وردت في شأن ذلك.

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١].

إنّ المُعَلِّم الأول للإنسان الأول آدم هو الله سبحانه وتعالى الذي فضّل هذا المخلوق بالعلم والمعرفة، والقراءة والدرس، والكتابة، والتعليم والتعلّم، ودليل ذلك موجود في آيات القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥].

إنّ تكرار كلمة اقرأ لهو دلالة على أهميتها، ومركزيتها، وبالخصوص في الكتب السماوية من جانب، وفي الرسالة الإسلامية القرآنية من جانب ثان، وعلى لسان خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم من جانب ثالث.

نعم، فلقد كرّرت كلمة القراءة عدّة مرات؛ ليكون التكرار قانونياً يحكم الربط بين المؤثّر والاستجابة، وليزداد الشوق والتشويق حتى يبلغ أقصى درجات التلهّف إلى ما تتوق إليه النفس المتعطّشة إلى الاطلاع على دروب المعرفة الإلهية^(١).

١ - أحمد جهان الفورتية: القرآن أصل التربية وعلم النفس، ص ١٣.

فكانت كلمة اقرأ هي شعار الدين الإسلامي، وهي شعار الفرد المسلم، وهي شعار كل من يؤمن بالله تعالى، ممن يملك الإيمان الحقيقي، والتقوى الحقيقية.

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

إنَّ التقوى أهمَّ الطرق لتهديب الإنسان، فهي تهدب العقل، وتهدب الروح، وتهدب النفس، وبذلك هي تهيب الإنسان للعلم الصالح الصحيح الذي يعطي الخير للفرد والمجتمع.

نعم، يحدّد القرآن طريقة الله -تعالى- في تعليم خلقه بأنَّ منحهم الاستعداد الفطري، وتعهدهم عن طريق الوحي بالكتب، أو عن طريق الاتصال الروحي والعقلي، وإن لم يشعروا بهذا الاتصال^(١).

أما المعلّم الثاني في آيات القرآن الكريم فهو النبي الأكرم محمد ﷺ، وهذا بنصّ القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

على أنَّ التعليم يكون بشروط، منها: أن يكون ذلك التعليم بلسان

١ - حامد عبده الهوال: التعليم والتعلم في القرآن الكريم، ص ٣٤.

يفهمونه ويعرفونه، وبلغه يفهمونها ويعرفونها.

فكانت الرسائل السماوية تأتي على لسان لغات الأنبياء والمرسلين

عليهم السلام وشعوبهم.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ
اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

فشرط التعليم هو أن يكون بلسان مفهوم ومعلوم، وهو لسان
القوم الذين أرسل إليهم، والمسّمى قرآنيًا لسان قومه، أي لغتهم
المعروفة.

يقول (الشيخ الطبرسي): أي لم يرسل في ما مضى من الأزمان رسولاً
إلا بلغه قومه حتى إذا بين لهم فهموا عنه، ولا يحتاجون إلى من يترجمه
عنه^(١).

وحتى لا يتحجّجون بعدم الفهم، وعدم إيصال المطلوب لهم، وعدم
فهمهم للمراد، وما شاكل ذلك من حجج وتحجّجات باطلة.

صفات العالم والمعلم الحقيقي في القرآن الكريم:

إنَّ القرآن قد ذكر صفات المُعلِّم القرآنيَّة التي على المسلم أن يقتدي

بها في طريق التعليم والتعلّم، ومن هذه الصفات:

١- الخُلُقُ العَظِيمُ:

إِنَّ الْمُعَلِّمَ الْأَوَّلَ فِي الْإِسْلَامِ هُوَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ، ولقد وصفه الله -تعالى- في القرآن الكريم بصاحب الخُلُقِ العَظِيمِ.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

يقول (الشيخ الطبرسي): حقيقة الخُلُقِ ما يأخذ به الإنسان من الآداب، وإنما سُمِّيَ خُلُقًا؛ لأنه يصير كالخِلقة فيه، فأما ما طبع عليه من الآداب فإنه الخِيم، فالخُلُقُ: هو الطبع المكتسب، والخِيم: هو الطبع الغريزي. وقيل الخلق العظيم: الصبر على الحق، وسعة البذل، وتدبير الأمور على مقتضى العقل، بالصلاح والرفق والمداراة^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَجْلِسًا أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا، وَأَشَدَّكُمْ تَوَاضُعًا»^(٢).

لذلك واقتداءً وتأسّيًا بالنبي الأكرم محمد ﷺ، المُعَلِّمُ الْأَوَّلُ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنَّ عَلَى الْمُعَلِّمِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَّصِفَ بِالْأَخْلَاقِ، فَهُوَ يُعْطِي الْأَخْلَاقَ قَبْلَ الْعِلْمِ، وَكُلَّ عِلْمٍ لَا تَوْجِدُ فِيهِ أَخْلَاقٌ فَهُوَ عِلْمٌ فَارِغٌ، عِلْمٌ

١ - الفضل بن الحسن الطبرسي: مجمع البيان، ج ١٠، ص ٧٢-٧٣.

٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٣٨٥.

لا يحمل القيم الخُلقيّة في طبّاته، لذا فإنّ على المعلّم أن يأخذ القيم من المنظومة القيمية الموجودة في آيات القرآن الكريم، والموضّحة تفسيريّاً وعمليّاً من قبل النبي الأكرم محمد ﷺ، وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام). إنّ أسس المباني القيمية للتربية والتعليم موجودة في آيات القرآن الكريم عموماً، وفي آيات القراءة والدرس بشكلٍ خاص، وإنّ البحث قد استخرجها، ووضّحها، وعضدها بالأحاديث والتفاسير، وبين المراد بها، كل ذلك في وضع أسس نظريّة في المباني القيمية لتكون منهجاً في التربية والتعليم يفيد الأفراد والمجتمع، ويفيد الحكومة، والوزارات ذات العلاقة.

٢- الرأفة والرحمة:

إنّ من صفات المعلّم في القرآن الكريم الرأفة والرحمة، فهما صفتان مهمّتان، قد أكّد عليهما القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. فإنّ من صفات المعلّم للناس أجمعين، ألا وهو النبي الأكرم محمد ﷺ أنّه جاء رحمة للعالمين. ولقد وصفه القرآن الكريم بصفات تدلّ على ذلك، وتبيّن أنّه خير وبركة، وأنّه رأفة ورحمة للناس.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

فلقد جاء النبي الأكرم محمد ﷺ المعلم الأول رحمة للعالمين، وهو رؤوف رحيم بالناس.

قال عليه السلام: «تعرضوا لرحمة الله بما أمركم به من طاعته»^(١).

لذلك، فإنَّ على كلِّ معلِّم أن يقتدي بالمعلِّم الأوَّل؛ وهو النبي الأكرم محمد ﷺ، ويكتسب من صفاته الحسنة، فإنَّ كلَّ صفاته حسن، وكلَّ أفعاله خير، وكل نصائحه بلسم.

٣- واجبه التبيين والتوضيح:

إنَّ من صفات المعلِّم أن يبيِّن ما خفي ولم يتَّضح، وأن يرشدهم بوضوح، وعن علم ومعرفة ودراية.

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل، ٤٤].

يقول (السيد الطباطبائي): أن تبيِّن للناس ما نزلَ تدريجاً إليهم؛ لأنَّ المعارف الإلهية لا ينالها الناس بلا واسطة، فلا بدَّ من بعث واحد منهم

١ - أبو الحسين ورام الحلي: تنبيه الخواطر وتنزيه النواظر، ج ٢، ص ١٢٠.

للتبيين والتعليم، وهذا هو غرض الرسالة، ينزل إليه الوحي، فيحمله، ثم يؤمر بتبليغه وتعليمه وتبينه^(١).

فإنَّ النبي الأكرم محمد ﷺ المَعْلَمُ الأوَّلُ كان من واجبه تبيين ما نزل للناس من القرآن الكريم حتى يفهموه، ويعلموه، ومن ثمَّ يعملون به، وهذه صفة على المُعلِّمين الاتصاف بها.

٤- يتمتع بأسلوب حكيم:

إنَّ القرآن الكريم وفي آياته المباركة قد بينَّ جملة من الصفات للمُعَلِّم التي منها أسلوب التعليم والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة؛ كونهما من أفضل الصفات والطرق التي من الواجب توفُّرهما في المُعَلِّم الحقيقي والناجح.

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النمل: ١٢٥].

ثمَّ إنَّ الحكمة لها إطلاقات متعدّدة، فهي تطلق على: طاعة الله تعالى، وعلى التفهّم في الدين، وعلى الفهم، وعلى الخشية، وعلى الورع، وعلى التفكير، وعلى التعلّم، وعلى التعليم^(٢).

١ - محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان، ج ١٢، ص ٢٥٩.

٢ - محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس، ج ١٦، ص ١٦١.

لذلك، فإنَّ من أهمِّ صفات المُعلِّم، كما في القرآن الكريم، هو أن يتَّصف بالحكمة، وأن يكون أسلوبه في التوعية والإرشاد من خلال الحكمة والموعظة الحسنة، واللين، والرفق، والرافة.

٥- لا يبخل على الناس بالمعلومة:

إنَّ المُعلِّم الناجح هو من لا يبخل بالمعلومة على طلابه، لذلك فإنَّ من صفاته في القرآن الكريم عدم البخل عليهم بأي معلومة وفائدة. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

يقول (السيد الطباطبائي): وتعليم الكتاب؛ بيان ألفاظ آياته وتفسير ما أشكل من ذلك، ويقابله تعليم الحكمة وهي المعارف الحقيقية التي يتضمَّنها القرآن، والتعبير عن القرآن تارة بالآيات وتارة بالكتاب للدلالة على أنَّه بكلِّ من هذه العناوين نعمة^(١).

فإنَّ الرسول الأكرم محمد ﷺ لم يبخل على قومه بأي نصيحة، وأي إرشاد، وأي معلومة، وكان نعم المُعلِّم، ونعم الناصح، ونعم المرشد.

ثالثاً: البرامج التربويّة والتعليميّة الإسلاميّة مصدر مهم للقيم والأخلاق والسلوك

تُعدّ البرامج التربويّة والتعليميّة الإسلاميّة من أبرز الأدوات التي تسهم في تشكيل القيم الخُلقية والسلوكية للأفراد، خاصّة بالنسبة إلى الشباب المسلم. فهي تُعدّ الإطار الذي يربط بين الدين والحياة اليوميّة، ويُمكّن من خلاله غرس المبادئ الإسلاميّة التي تشكّل أساساً للتعاملات والسلوكيات في المجتمع. منذ فجر الإسلام، كانت التربية جزءاً لا يتجزأ من النهضة الشاملة التي دعا إليها النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث شملت التربية الخُلقية جوانب حيائيّة متعدّدة، من العبادة والمعاملة إلى الأخلاق الاجتماعيّة.

١- القيم الخُلقية في البرامج التربويّة الإسلاميّة:

تقوم البرامج التربويّة والتعليميّة الإسلاميّة على غرس القيم الخُلقية التي نادى بها الإسلام، مثل الصدق، والأمانة، والعدل، والإحسان، والتواضع. وهذه القيم تشكّل البنية الأساس التي توجّه سلوك الأفراد في تعاملاتهم مع الله ومع الناس؛ حيث يسعى المنهج التربوي الإسلامي إلى أن يكون التوجيه والتعلّم مرتبطين بشكل وثيق بالاستقامة الخُلقية، ما يضمن تنشئة أجيال قادرة على التحلّي بمكارم الأخلاق وتبني السلوك الحسن في مجالات الحياة كلّها.

٢- البرامج التعليمية أداة للتأثير في السلوك:

تلعب البرامج التعليمية دوراً حيوياً في تعديل وتشكيل السلوكيات من خلال المناهج الدراسية التي تركز على تعليم الشريعة الإسلامية والتاريخ الإسلامي، وكيفية تطبيق هذه التعاليم في الحياة اليومية. مضافاً إلى ذلك، تتضمن هذه البرامج تعليمًا يتعلّق بتطوير المهارات الحياتية والشخصية مثل إدارة الوقت، حلّ النزاعات، والتفاعل مع الآخرين بأسلوب نزيه ومؤدّب. من خلال ذلك، يجري غرس القيم الإسلامية في جوانب متعددة من سلوك الفرد، ما يعزّز قدرته على اتخاذ القرارات الصائبة في مواقف الحياة المختلفة.

٣- دور التربية الإسلامية في بناء الهوية الخُلُقِيَّة:

إنّ التربية الإسلامية تُعدّ مصدرًا أساسًا في بناء الهوية الخُلُقِيَّة للأفراد، وتوجّههم نحو تحقيق التكامل بين دينهم وهويتهم الثقافية. فمن خلال البرامج التربوية، يجري تعليم الشباب المسلم كيف يمكن أن يظلّ متمسكًا بقيمه الدينية، على الرغم من التحديات الثقافية والاجتماعية المعاصرة. فالتربية الإسلامية تدعو إلى الاهتمام بالعقل والجسد والروح، وبالتالي يجري تكامل الشخص في تكوينه الخُلُقِي والسلوكي على أسس صحيحة.

٤- التحدّيات والفرص :

رغم أهميّة هذه البرامج، لكنّ هناك بعض التحدّيات التي قد تواجهها في بعض السياقات، مثل وجود الضغوط الثقافيّة من العالم الخارجي أو الأساليب التعليميّة التقليديّة التي قد تكون بعيدة عن التفاعل مع الواقع المعاصر. ولكن يمكن تحويل هذه التحدّيات إلى فرص من خلال تحديث المناهج التعليميّة وجعلها أكثر ارتباطاً بحياة الشباب اليوميّة، ما يعزّز من قدرتهم على تطبيق القيم الإسلاميّة بشكل أكثر فاعليّة.

إنّ البرامج التربويّة والتعليميّة الإسلاميّة تعدّ ركيزة أساس في بناء القيم الخُلقية والسلوكيّة التي توجه سلوك الأفراد، خاصّة في سياق الشباب المسلم. من خلال هذه البرامج، يجري تعزيز الهوية الإسلاميّة وتعميق فهم القيم الدينيّة في مواقف الحياة المختلفة، ما يسهم في بناء مجتمع خُلقي قائم على القيم والمبادئ الإسلاميّة.

المبحث الثاني: المجتمع والمؤسّسات ودورها في حماية الهوية الخُلقية للفرد المسلم

أولاً: الأسرة ودورها في غرس القيم الخُلقية والسلوكيّة الأصيلة إنّ الشباب يحتاج في مرحلته العمريّة الخاصّة إلى التوازن في

الشخصيَّة؛ من أجل القيام بمسؤوليَّته تجاه مجتمعه ولأجل الإصلاح. لذا، فهو يحتاج إلى العلاقات الاجتماعيَّة من محيطه، فهي التي تتولَّى بناء شخصيَّته.

إنَّ العلاقات الأسريَّة مُهمَّة جدًّا لبناء الشاب، فإنَّ الأسرة وما لها من دور مهمّ في صناعة الشاب وبنائهم، كذلك فإنَّ الشاب لا ينفك عن الارتباط الأسري.

لذا، فتمَّة تساؤل عن طبيعة العلاقة ما بين الشاب وأسرته في خضم هذه الحياة؟

إنَّ الشاب يحتاج إلى العناية الأسريَّة؛ لأجل مواجهة تحديات ومصاعب هذا العصر، ومواجهة مغرياته، خصوصًا أثناء مروره في مرحلة عمريَّة تحفّز الغرائز، وما يرافق ذلك من نمو جسدي حسّاس جدًّا، ما يدعو إلى ضرورة تفهّم العائلة لما يمرّ به الشاب من ظروف وتغيّرات جسديَّة ونفسيَّة.

إنَّ حالة تجاهل هذه التطوُّرات وإهمالها - من قبل الأسرة - سوف يدفع بالشاب إلى الشعور بالعزلة والانطواء، لذا فإنَّه بحاجة إلى مرشد ومعلّم يعينه فكريًّا وروحيًّا.

هنا تبرز أهميَّة الأسرة، فهي التي لها دورها الرئيس نحو الشباب وما يتعلّق بهم؛ حيث تتولَّى الأسرة مسؤوليَّة بناء الشخصيَّة المتزنة للشباب،

المتفاعلة مع المحيط.

إنَّ الأسرة يقع عليها دور مُهمّ تجاه هذا الشاب. لذا، فمن المُهمّ أن يكون تعاملها مع الشاب على أسس من المحبة والصدّاقة، وأن يحسب حساب لرأيه، مع الإشراف على نشاطاته وعلاقاته، مع عدم الدخول في التفاصيل، على أن يسلك في أموره الخاصّة سلوك التنظيم والترتيب من أجل أن ينجح هو بنفسه، مع تشجيعه لما يبدر منه إذا كان صاحب مشروع، وتحفيزه لإظهار قدراته، بحيث يكون مسؤولاً عنها، وعدم مقارنة أعماله بأعمال الآخرين وتجاربيهم.

إنَّ الشاب يجب أن لا يكون بعيداً عن الأهل، بأن ينظر لهم على أنّهم جيل قديم، وأنهم بعيدون عن فهم جيل الشباب.

إنَّ على الشاب التأمّن بالحكم، وأن يستمع إلى كلّ وجهات النظر، ويدقّق في ما يسمعه، ويفهم ويشاور ويتأمّل قبل الحكم أو اتخاذ القرار. إنَّ على الشاب تقبّل فكرة الإشراف عليه من قبل الأسرة، فإنّهم الحرصون عليه، وهدفهم الحفاظ عليه وعلى مستقبله.

على الشاب أن يملأ وقت فراغه بالنشاطات المفيدة النافعة، بحيث تتطور قدراته وقابلياته، ويقضي على وقت فراغه.

إنَّ على الشاب الانسجام - في قضية العيش المشترك - مع محيطه، ومع أسرته، ومع أقرانه حتى لا يصبح هناك خلل وفراغ وبون شاسع.

٢٠٦ الهُوِيَّةُ الخُلُقِيَّةُ لِلشَّبَابِ المُسْلِمِ

إنَّ المسؤُولِيَّةَ والرَّقَابَةَ والمراقبَةَ تارة تقع على عاتق الأسرة كونها الأساس الأول لذلك، وتارة أخرى تقع على عاتق الشاب نفسه. إنَّ أهْمِيَّةَ الأسرة تبرز في كونها هي الراعية الأساس للفرد، وفي كلِّ الفترات من حياته، ولا يمكن التخلِّي عنها من قبل الصغير أو الشاب أو الكبير الكهل.

إنَّ الشباب وبسبب فتتهم العمريَّة التي تبدأ من فترة المراهقة، لذلك فإنَّ الحاجة مُهمَّة للأسرة، في كونها داعماً وموجِّهاً لهم، مع مدِّهم بالعطف، والحنان، والرعاية، والمداراة.

نعم، إن هناك أموراً أخرى يحتاجها الشاب، وهي تختلف باختلاف البيئة، والمرحلة الدراسيَّة، والتخصُّص الدراسي، وهذه تحتاج دراسة للمشتركات العامَّة، ودراسة عن طبيعة كلِّ بيئة.

كما أنَّ هناك مسألة مُهمَّة، وهي مسألة الزواج، فالشاب أو الشابة يحتاجان في هذه القضية إلى الناصح والموجِّه في اختيار الزوجة - الزوج، من حيث الصفات، والمستوى العلمي، والواقع الاجتماعي، والتدين، والالتزام، والثقافة، وما شاكل ذلك، فإنَّ هذه الأمور مُهمَّة جداً في بناء الأسرة التي سيكونها الشاب أو الشابة؛ حيث إنَّهما ستكون لديهما أسرة خاصة.

إنَّ البناء الاجتماعي في كلِّ أسرة ومن خلال التدقيق سنجد فيه نحو

الفصل الرابع - المبحث الثاني ٢٠٧

من التقليد، وذلك في تقليد الأبناء للأباء، وإن وجدت فوارق واختلافات، فإنها بسيطة غير مؤثرة.

إن على الأسرة النهوض بالشاب، وذلك من خلال تحصينه معرفياً ودينياً، وهذه المسؤولية مشتركة ما بين الشاب والأسرة، من خلال التفاهم في كيفية التعامل في توجيه الشاب ووضعه على المسار الصحيح.

إنّ الشاب مرتبط بالأسرة في بداية حياته، والأسرة من يقع على عاتقها تحديد المسؤوليات المرحليّة له، لكي يغدو عنصراً فاعلاً ومؤثراً في المجتمع، لكنّ المجتمع الشبابي يحتاج إلى إعداد ديني واجتماعي وقانوني واقتصادي وسياسي.

نعم، إن الشباب يمتلكون القابليّات لذلك، لكن يحتاج ذلك إلى تعليم تدريجي، ومراقبة دائمة، وتصحيح وتصويب مستمر.

إنّ الشاب سيكون فرحاً بوصوله إلى مرحلة الاعتماد على النفس، رغم ما تعتريه من أمور تسبب له الرهبة والخوف. لذا، فهو يحتاج إلى الموجه الذي يصونه ويحميه من الرهبة والخوف؛ إذ لا بدّ من زرع الثقة فيه، يبدأ ذلك من خلال التعامل العائلي المبني على المحبّة والاحترام، والتعلّم الصحيح والسليم، والمتابعة والمراقبة، واحتواء الشباب في مشاريع بناءة. إنّ الشاب يحتاج الى الرفق العائلي في مسيرة حياته؛ لأنّه قد يخطئ، وقد يسيء الفهم. لذا، لا بدّ من المواكبة المستمرة فاستدامة المراقبة

ضروريَّة جدًّا، كما أنَّ العائلة والشاب لا ينفكّ كلاهما عن الآخر في تحمُّلِ المسؤوليَّة.

ثانيًا: المؤسسات التعليميَّة والعلميَّة ودورها في تقديم نموذج خُلُقِي متماسك ونافع

يعدّ التعليم البيتي المرحلة الأولى من مراحل التعليم بالنسبة إلى الأطفال، وهي مرحلة مهمَّة من حياة الأبناء، فهذه المرحلة تسبق مرحلة دخولهم إلى المدرسة، أو إلى المؤسَّسات التعليميَّة الأخرى كرياض الأطفال مثلاً؛ فالطفل وإلى عمر ست سنوات يتلقَّى تعليمه وتربيته وتنشئته في البيت.

إنَّ هذا التعليم، وفي هذه المرحلة له تأثير كبير على حياة الطفل المستقبليَّة؛ إذ إنَّ له دوراً كبيراً على تحصيل المعلومات، والتعرُّف على كفيَّة التصرفات، وتعلُّم بناء الأفكار، وتصويب نظرتَه إلى الأشياء.

إنَّ مسؤوليَّة التعليم الأوليَّة تقع على عاتق الأسرة، ثمَّ تقع على عاتق المؤسَّسات التعليميَّة المختلفة، وفي هذه المرحلة فإنَّ ثقافة الأبوين واتجاهاتهم لها تأثير كبير على الأبناء من حيث النموِّ العقلي والاجتماعي والنفسي، كذلك فإنَّ تأثير البيئَة المحيطة بالطفل - من البيئَة والشارع والجيران والأصدقاء - كبير جدًّا، وهو يضاف إلى سلسلة المؤثَّرات

الأخرى على الطفل، قبل دخوله إلى المدرسة.

قد يكون للأسرة تأثير سلبي، وهو ما إذا كان الطفل يتلقّى سلوكيات خاطئة، مصدرها البيت، وهذا أمر خطير تبرز سلبيّاته في ما لو خرج الطفل خارج المنزل، وتصرف أو تعامل أو كَلّم الآخرين بعيداً عن أسرته، فإنّه - حينها - سيقع في المحذور، بسبب سوء التربية من قبل الأسرة.

إنّ مثل هذه الأخطاء ليست بسبب الطفل أو بسبب عمره، بل بسبب الخطأ الحاصل نتيجة ضيق الأفق من قبل الأسرة في تعليم الطفل.

نعم، قد يصل التعليم أو التربية البيئية بالطفل إلى حدّ الانطواء، أو إشعاره بالتمييز أو بالغرور، أو بالتكبر على الآخرين بسبب التعليم والتربية السيئة من قبل الأسرة.

إنّ هناك جانباً مهماً يحتاج إلى أن نتعرّض له، وهو جانب التعليم الأسري الديني، وهو قد يكون عند أغلب الأسر ما بين إفراط أو تفريط.

كأن يكون هناك إفراط في الممارسة الدينية على الطفل وبشكل غير مصرّح به في الدين، وإنّما هو ابتداء من الأسرة إن صحّ التعبير، فيلقى على الطفل ما ليس في الدين على أنّه دين. أو تفريط بحيث لا يذكر الدين ولا تذكر القضايا الدينية أمام الطفل، أو في تعليمه وتربيته مطلقاً، هنا يكون التعليم البيئي ذا ضرر واضح على تصرفات الطفل.

قد يبرز وجود خلط واضح ما بين القضية الاجتماعية والقضية الدينية

في التعليم البيتي، فيجري طرح القضية الاجتماعية على أنها دينية، وتغرس في الطفل على هذا الأساس، وينمو لديه هذا الشعور في مراحل حياته القادمة.

أو بالعكس من عرض القضية الدينية على أنها قضية اجتماعية، فتفقد أهميتها، يتجلى هذا الخلط بكل وضوح في المجتمعات القبلية أو البدوية أكثر من غيرها من المجتمعات الأخرى.

إنَّ التعليم البيتي السليم لا بدَّ أن يلاحظ فيه جملة من القضايا، وهي:
١. الوالدان هما قدوة لأبنائهم وإنَّ سلوكهما سوف ينعكس على الأبناء مستقبلاً.

٢. أن يسعى الوالدان في تنشئة الأبناء على التنشئة الإسلامية الصحيحة، القائمة على قاعدة لا إفراط ولا تفريط.

٣. أن يلاحظ الأب بأن يكون الطعام المادي الذي يغذي به أبناءه من الحلال الطيب؛ لأنَّ له أثراً وضعياً على تكوينهم، وأفعالهم وتصرفاتهم.

٤. أن يوسّع في آفاق التربية، لكون الأبناء سيعيشون وسيختلطون بأجواء جديدة، مغايرة لأجواء البيت، لذا يجب عليهم أن يعرفوا كيفية التعامل مع البيئات الجديدة.

٥. إنَّ بناء شخصية الطفل يقوم على التوازن في كل شيء،

الفصل الرابع - المبحث الثاني (٢١)

كالتوازن في العواطف، والمشاعر، والعقل، وزرع الثقة في نفس الطفل، حتى يمكن له التعبير عن رأيه بحريّة، بعيداً عن التوبيخ المستمرّ والعلني له أمام غيره، أو الانتقاص منه ومن أفكاره.

٦. السعي من قبل الأبوين في أن يجنبوا الأبناء التقليد الأعمى، وهذا يتطلّب تنمية شخصيّة، والتدريب على اتخاذ القرارات، والتعليم البيئي الصحيح.

إنّ تساوي الفرص، والعناية بالطفل، وعدم التمييز، وزيادة فاعليّته بأن يكون نشيطاً في أسرته، مع الوسطيّة في التعامل، وتعليمه برفق ومحبة، سيسهم كثيراً في بناء جيل بعيد عن الأخطاء عموماً، وعن الأخطاء التي وقع فيها الآباء في الماضي خصوصاً.

ثالثاً: المبادرات المجتمعيّة والمؤسّسيّة وما لها من أثر في مواجهة التغريب الخُلقي

في ظلّ التحدّيات التي يواجهها الشباب المسلم اليوم من تغريب ثقافي وُخُلقي متسارع، تظهر المبادرات المجتمعيّة والمؤسّسيّة بوصفها أدوات قويّة لمواجهة هذا التغريب والمحافظة على القيم الخُلقيّة الإسلاميّة. تغريب الأخلاق يمثل عمليّة التأثير على الهوية الثقافيّة والدينيّة للأفراد

عبر محاكاة أو تبني قيم ثقافية وخُلُقِيَّة لا تتماشى مع المبادئ الإسلامية، وهو ما يتطلب استجابة قويَّة وفعالة من المجتمع والمؤسَّسات الإسلاميَّة.

١- المبادرات المجتمعيَّة ودورها في مواجهة التغريب الخُلُقِي

تتسم المبادرات المجتمعيَّة بقدرتها على العمل من خلال الشبكات الاجتماعيَّة المحليَّة والشخصيَّة، وتتميز بقدرتها على التأثير المباشر في الفرد والجماعة. بعض هذه المبادرات قد تتجسَّد في:

أ. الدورات والورش التوعويَّة: التي تستهدف تعزيز الوعي بالقيم الإسلاميَّة ومخاطر التغريب الخُلُقِي؛ حيث تقوم هذه المبادرات بتوعية الأفراد بالقيم الإسلاميَّة الأساس مثل الأمانة، والصدق، والاحترام، والعدالة، وتساعد في تعزيز الهويَّة الإسلاميَّة.

ب. الأنشطة الثقافيَّة والفنيَّة: التي تسهم في تعزيز الثقافة الإسلاميَّة من خلال الأنشطة الفنيَّة، المسرحيَّات، والفعاليَّات التي تعرِّض تاريخ وثقافة المجتمع الإسلامي. إنَّ هذه الأنشطة تعمل على تثقيف الشباب وتساعدهم على التفاعل مع ثقافتهم الإسلاميَّة بشكل إيجابي.

ج. المشاريع التطوعيَّة والخيريَّة: التي تعرِّز من قيم التعاون

والإحسان في المجتمع. إنَّ هذه المشاريع تسهم في تعزيز روح العمل الجماعي والمشاركة المجتمعيَّة، ما يسهم في خلق بيئة تساعد على الحفاظ على القيم الإسلاميَّة في مواجهة الضغوط الثقافيَّة من الخارج.

د. اللقاءات والحوار بين الأجيال: التي تُنظَّم داخل المجتمع المسلم للتفاعل بين كبار السنّ والشباب. إنَّ هذا النوع من المبادرات يعزِّز التفاهم بين الأجيال وينقل الخبرات المجتمعيَّة والخُلقيَّة الموروثة من جيل إلى جيل.

٢- أثر المبادرات المجتمعيَّة:

- أ. تعزيز الوعي بالقيم الإسلاميَّة، ما يساعد الأفراد على مقاومة التأثيرات الثقافيَّة الدخيلة.
- ب. تقوية الروابط الاجتماعيَّة وتعزيز الهوية الإسلاميَّة لدى الشباب.
- ج. تشجيع المشاركة الفعّالة في بناء مجتمع قائم على القيم الخُلقيَّة الإسلاميَّة.

٣- المبادرات المؤسّسيَّة ودورها في مواجهة التغريب الخُلقي

تتطلَّب مواجهة التغريب الخُلقي أيضاً دعماً مؤسّسياً من خلال

المبادرات التي تُنظَّم من قِبَلِ المؤسَّسات التعلیمیَّة والدينيَّة. هذه المبادرات تمثِّل جهداً جماعياً منظماً تهدف إلى إحداث تغييرات اجتماعیَّة كبيرة، وتشمل:

أ. المناهج التعلیمیَّة الإسلاميَّة: تحديث المناهج في المدارس والجامعات الإسلاميَّة، بحيث تركز على تعزيز القيم الإسلاميَّة في مختلف المواد الدراسيَّة، مثل الأخلاق، والفقہ، والتاريخ الإسلامي، كما يمكن تضمين مناهج توعويَّة تركز على أهمیَّة الحفاظ على الهويَّة الإسلاميَّة في ظلِّ العولمة.

ب. المؤسَّسات الدينيَّة والإعلامیَّة: تلعب دوراً كبيراً في التوجيه الفكري للأفراد عبر محاضرات، برامج إعلامیَّة، ومحتوى ديني يوضح كیفیَّة التفاعل مع الثقافة المعاصرة من منظور إسلامي، فالمؤسَّسات الدينيَّة، مثل المساجد، والمراكز الإسلاميَّة، تُعدّ منبراً مهماً لنقل القيم الخُلُقِيَّة الإسلاميَّة ومحاربة التغريب.

ج. البرامج التدريبيَّة للشباب: التي تُقدِّم في مراكز الشباب أو المؤسَّسات التعلیمیَّة التي تهدف إلى تدريب الشباب على كیفیَّة التعاطي مع الضغوط المجتمعيَّة والثقافيَّة التي قد تؤثر في سلوكهم وقيمهم. هذه البرامج تسهم في بناء شخصيَّة الشباب المسلم وتزويدهم بالأدوات اللازمة للتعامل مع التحدّيات الخُلُقِيَّة.

د. الأنشطة المؤسسية عبر الإنترنت: مثل المنتديات الرقمية، والندوات عبر الإنترنت، ووسائل التواصل الاجتماعي التي تُوجِّهها المؤسسات الإسلامية. هذه الأنشطة تساعد في نشر المعرفة الإسلامية، وتعزيز القيم الخلقية في مواجهة التأثيرات الثقافية الأجنبية.

٤- أثر المبادرات المؤسسية

- أ. تعليم الشباب كيفية مواجهة الضغوط الثقافية والاجتماعية والحفاظ على هويتهم الخلقية.
- ب. تعزيز التفكير النقدي وتحفيز الأفراد على التمييز بين القيم الإسلامية والقيم الغربية التي قد تؤثر سلباً في سلوكياتهم.
- ج. نشر الوعي العام بالقيم الإسلامية من خلال منصات إعلامية من شأنها تأثيرها على نطاق واسع.

٥ - التعاون بين المبادرات المجتمعية والمؤسسية

في مواجهة التحديات التي يفرضها التغريب الثقافي، يعدّ التعاون بين المبادرات المجتمعية والمؤسسية أمراً بالغ الأهمية، يمكن لهذه المبادرات أن تكمل بعضها بعضاً من خلال:

أ. تنسيق الجهود بين المساجد، والمدارس، والمؤسَّسات الاجتماعية لنقل رسالة متكاملة عن أهميَّة الحفاظ على الهويَّة الخُلُقِيَّة الإسلاميَّة.

ب. تبادل الخبرات والمعرفة بين الأفراد والمجتمع؛ حيث يمكن للمؤسَّسات أن تستفيد من المبادرات المجتمعيَّة الناجحة، وفي الوقت نفسه، يمكن للمبادرات المجتمعيَّة أن تتعلَّم من الخبرات التي تقدِّمها المؤسَّسات التعليميَّة والدينيَّة.

إنَّ المبادرات المجتمعيَّة والمؤسَّسيَّة تلعب دوراً أساساً في مواجهة التغريب الخُلُقِي، وحماية القيم الإسلاميَّة في عالم سريع التغيُّر، فمن خلال التعاون بين هذه المبادرات، يمكن للمجتمع المسلم أن يقاوم التحدِّيات الثقافيَّة التي تهدِّد هويَّته الخُلُقِيَّة، ما يضمن للأجيال القادمة الاستمرار في التمسك بقيم دينهم في ظلِّ تغيُّرات العولمة المتسارعة.

المبحث الثالث: استراتيجيات علميَّة وعمليَّة لمواجهة التغريب الخُلُقِي

أولاً: تعزيز الوعي الثقافي لدى الشباب المسلم
يعدُّ التغريب الخُلُقِي من أكبر التحدِّيات التي يواجهها الشباب المسلم

في عالم اليوم؛ حيث تعرّض قيمهم الخُلقية والدينية لضغوطات ثقافية من ثقافات وأيديولوجيات قد لا تتوافق مع مبادئ دينهم، لمواجهة هذا التغريب، تحتاج المجتمعات الإسلامية إلى وضع استراتيجيات فعّالة، لتعزيز الوعي الثقافي لدى الشباب المسلم، مع الحفاظ على هويّتهم الإسلامية والتمسك بالقيم الخُلقية التي دعا إليها الدين الإسلامي.

١- تعزيز التعليم الديني والشرعي

يعدّ التعليم الديني أحد الركائز الأساس لتعزيز الوعي الثقافي لدى الشباب المسلم. ينبغي أن يتضمّن المنهج التعليمي للطلاب في مختلف المراحل الدراسية تعليمًا شرعيًا مكثفًا وواقعيًا يربط بين القيم الدينية ومتطلّبات الحياة اليومية.

أ. مناهج تعليمية متكاملة: تضمّ مواد دراسية تركّز على الأخلاق الإسلامية، مثل الأخلاق الفقهية، العبادات، سير الأنبياء عليهم السلام، وتاريخ الأمة الإسلامية. يجب أن تهدف هذه المناهج إلى تمكين الطلاب من فهم دور الإسلام في حياتهم وكيفية تطبيق القيم الدينية في الواقع المعاصر.

ب. ورش عمل ودورات تدريبية: على مستوى المدارس والمراكز الإسلامية، يمكن تنظيم ورش عمل ودورات تدريبية تركّز

على التحدّيات المعاصرة التي قد تواجه الشباب المسلم،
وتزوידهم بالمعرفة اللازمة لمقاومة تأثيرات التغريب الخُلُقِي.

٢- استخدام الإعلام الرقمي ووسائل التواصل الاجتماعي
في عصر العولمة والتكنولوجيا، أصبحت وسائل الإعلام الرقمي
ووسائل التواصل الاجتماعي من أبرز أدوات التأثير في الشباب. لذلك،
يمكن استخدام هذه الوسائل بشكل إيجابي لتعزيز الوعي الثقافي
وتعريف الشباب بالقيم الإسلاميّة.

أ. محتوى رقمي تعليمي: من خلال إنتاج محتوى إسلامي
مبتكر على منصات مثل يوتيوب، إنستغرام، وتيك توك،
يمكن تسليط الضوء على القيم الخُلُقِيَّة الإسلاميّة، من خلال
محاضرات، ومقاطع فيديو قصيرة، ومقالات. هذا المحتوى
يجب أن يكون بسيطاً وجذاباً ليناسب اهتمامات الشباب.

ب. حملات توعية عبر الإنترنت: تنظيم حملات عبر وسائل
التواصل الاجتماعي لتسليط الضوء على القيم الإسلاميّة
والخُلُقِيَّة، مثل التسامح، والأمانة، والعدل، ويمكن الاستفادة
من الشخصيات العامّة والشباب المؤثّرين في نشر هذه
الرسائل.

٣- بناء القدوة المجتمعية من خلال الشخصيات المؤثرة

القدوة والمثال الصالح يمثلان أحد العوامل الرئيسة في تشكيل الوعي الثقافي لدى الشباب، فعندما يجد الشباب من حولهم نماذج إيجابية تتبنى القيم الخلقية الإسلامية، فإنهم يتأثرون بهم بشكل كبير.

أ. شخصيات دينية واجتماعية مؤثرة: ينبغي دعم الشخصيات الإسلامية المؤثرة في المجتمع، سواء من العلماء، القادة الدينيين، أو حتى الشباب الذين يمثلون نموذجاً يُحتذى به في تطبيق القيم الإسلامية في حياتهم اليومية.

ب. الأنشطة المجتمعية: تنظيم فعاليات يشارك فيها شباب يلتزمون بالقيم الإسلامية مثل المسابقات الثقافية أو المنتديات النقاشية في قضايا الأخلاق والإيمان، ويمكن أن تسهم هذه الأنشطة في نشر الوعي الثقافي بين الشباب وتعزيز التفاعل الإيجابي معهم.

٤- تفعيل دور الأسرة في التربية الخلقية:

تعتبر الأسرة أحد المحاور الأساس في تعزيز القيم الخلقية، فهي المكان الأول الذي يكتسب فيه الشباب مفاهيمهم عن الخير والشر، والصدق والكذب، وغيرها من القيم.

أ. التربية الخُلُقِيَّةُ في الأسرة: يجب على الأسر أن تكون نموذجًا للقيم الإسلاميَّة، من خلال التوجيه المستمرّ للأطفال والشباب في كَيْفِيَّةِ التعامل مع تحديات الحياة من منظور إسلامي، والابتعاد عن السلوكيات التي تتعارض مع القيم الدينيَّة.

ب. التواصل بين الأجيال: من المهم أن يكون هناك حوار مستمرّ بين الأجيال القيم الإسلاميَّة والواقع المعاصر. مثل هذه الحوارات تساعد الشباب في مواجهة التحديات الثقافيَّة الحديثة بشكل أفضل.

٥ - تقوية الهوية الإسلاميَّة من خلال الأنشطة الثقافيَّة:

تعزيز الهوية الإسلاميَّة في أذهان الشباب يتطلب العمل على تعزيز قيمهم الثقافيَّة وتاريخهم الديني.

أ. الأنشطة الثقافيَّة: تنظيم فعاليات ومهرجانات ثقافيَّة تركّز على التراث الإسلامي، مثل المعارض الإسلاميَّة، المحاضرات عن تاريخ الحضارة الإسلاميَّة، وعرض الأفلام الوثائقيَّة عن سيرة الأنبياء (عليهم السلام)، كل ذلك يعزّز من فخر الشباب بهويّتهم الثقافيَّة والدينيَّة.

الفصل الرابع - المبحث الثالث (٢٢)

ب. الرياضة والفنون: يمكن دمج الرياضة والفنون مع القيم الإسلامية، من خلال تنظيم فعاليات رياضية وثقافية تحفز الشباب على ممارسة الأنشطة البدنية والفنية مع الحفاظ على القيم الخلقية.

٦- التركيز على التواصل المباشر والمناقشات الفكرية:

تنظيم جلسات حوارية ومناظرات فكرية بين الشباب عن القضايا الثقافية والدينية من شأنه أن يتيح لهم فرصة التعبير عن آرائهم ومناقشة التحديات التي يواجهونها.

أ. المنتديات الفكرية: يمكن تنظيم منتديات شبابية تناول قضايا مثل التغريب الثقافي والتحديات الخلقية، وتتيح للشباب فرصة تبادل الآراء والتوصل إلى حلول مستدامة.

ب. الحوار بين الأديان والثقافات: يمكن أن يعزز هذا النوع من الحوار فهم الشباب لكيفية التعامل مع الثقافات المختلفة، مع الحفاظ على احترام هويتهم الإسلامية ومبادئهم الخلقية.

٧- استثمار الدعم الحكومي والمجتمعي:

لا يمكن تحقيق الوعي الثقافي وتعزيز القيم الإسلامية بشكل فعال

دون دعم مؤسسي. لذلك، يجب أن تتعاون الحكومات، المنظمات غير الحكومية، والمؤسسات التعليمية في تفعيل هذه الاستراتيجيّة.

أ. التمويل والدعم: تخصيص موارد لدعم المشاريع التربويّة، والإعلاميّة، والثقافيّة التي تهدف إلى تعزيز القيم الإسلاميّة.

ب. الشراكات المجتمعيّة: توجيه الشراكات بين المؤسسات التعليميّة والمجتمعيّة لتنظيم فعاليات وأنشطة تخدم هذا الهدف.

إنّ استراتيجيّة تعزيز الوعي الثقافي لدى الشباب المسلم لمواجهة التغريب الخُلُقِيّ تحتاج إلى تعاون بين المؤسسات التعليميّة، والأسر، المجتمع المدني، ووسائل الإعلام، من خلال التعليم الديني المتكامل، واستخدام الإعلام الرقمي، وبناء القدوة، وتفعيل دور الأسرة، والأنشطة الثقافيّة يمكن للشباب المسلم مواجهة التحدّيات الثقافيّة المعاصرة، والحفاظ على هويّتهم الخُلُقِيّة في ظلّ العالم المعاصر.

ثانياً: تطوير الإعلام الإسلامي وتقديم نماذج خُلُقِيّة صالحة ونافعة

في عصر العولمة والتطوّر التكنولوجي السريع، أصبح الإعلام أحد أقوى الوسائل المؤثّرة في تشكيل القيم الثقافيّة والخُلُقِيّة لدى الأفراد.

لذلك، يعتبر تطوير الإعلام الإسلامي جزءاً أساساً من الاستراتيجية الشاملة لمواجهة التغريب الخُلقي، الذي يستهدف التأثير على هويّة الشباب المسلم عبر تبني قيَم وثقافات لا تتوافق مع مبادئ الدين الإسلامي.

في هذا السياق، يمكن للإعلام الإسلامي أن يلعب دوراً محورياً في تعزيز القيم الخُلقيّة، وتقديم نماذج صالحة تساهم في تعزيز الهوية الإسلاميّة ومحاربة التغريب الثقافي.

١- تطوير محتوى إعلامي متوافق مع القيم الإسلاميّة:

الخطوة الأولى في مواجهة التغريب الخُلقي تكمن في تطوير محتوى إعلامي يعكس القيم والمبادئ الإسلاميّة في جميع المجالات. يجب أن يكون الإعلام الإسلامي أداة توعية وتوجيه، ويجب أن يتعد عن تقديم محتوى مغلوط أو بعيد عن تعاليم الإسلام.

أ. المحتوى الثقفي: يشمل البرامج التربويّة، والمحتوى التعليمي الذي يركّز على القيم الخُلقيّة، مثل الأمانة، والصدق، والتواضع، والتسامح، ويظهر كيفية تطبيق هذه القيم في الحياة اليوميّة. هذا المحتوى يمكن أن يقدّم من خلال برامج إذاعيّة، وقنوات تلفزيونيّة، ومنصّات الإنترنت.

ب. المحتوى الترفيهي: من المهمّ تطوير الأعمال الفنيّة التي لا تقتصر على التسلية فقط بل تحمل رسائل خُلُقِيَّة هادفة، وتعكس الثقافة الإسلاميّة. من خلال تقديم أفلام، مسلسلات، ومسرحيّات تعكس النماذج الخُلُقِيَّة الإسلاميّة، يمكن للإعلام أن يُظهر صوراً إيجابيّة للإنسان المسلم الذي يلتزم بالقيم الدينيّة في حياته اليوميّة.

ج. المحتوى التفاعلي: يمكن إنشاء منصّات إعلاميّة تفاعليّة عبر الإنترنت، مثل المدوّنات، والمقاطع التفاعليّة على وسائل التواصل الاجتماعي التي تشجّع الجمهور على المشاركة في نقاشات عن القيم الإسلاميّة وكيفيّة تطبيقها في حياة الشباب.

٢- تقديم نماذج خُلُقِيَّة صالحة من الشخصيات الإسلاميّة:

إنّ القدوة تظل أحد أهم العوامل التي تؤثر في الشباب المسلم، ولذلك فإنّ تقديم نماذج خُلُقِيَّة صالحة من خلال الإعلام يمثل وسيلة قويّة لمواجهة التغريب الخُلُقِي.

نعم، يمكن للإعلام أن يعرض شخصيّات إسلاميّة حيّة تجسّد القيم الخُلُقِيَّة الإسلاميّة وتسهم في بناء هويّة إسلاميّة قويّة بين الشباب، وذلك من خلال:

أ. الشخصيّات المؤثّرة: تقديم شخصيّات إسلاميّة معروفة،

سواء من العلماء، أم المفكرين، أم رواد العمل الاجتماعي الذين يلتزمون بالقيم الإسلامية في حياتهم اليومية، هو جزء مهم من مواجهة التغريب. يمكن للأفلام الوثائقية والمقابلات التلفزيونية تسليط الضوء على تجارب هؤلاء الأفراد وتقديمهم نماذج يُحتذى بها.

ب. القدوة من الحياة اليومية: الإعلام يمكن أن يقدم نماذج من الحياة اليومية لشباب مسلم يعيش في مجتمع عصري ويواجه تحدياته بتفكير إسلامي سليم. يمكن من خلال هذه النماذج تقديم دروس عن كيفية موازنة الدين مع متطلبات العصر بشكل يتماشى مع القيم الإسلامية.

ج. القصص الإسلامية: سرد قصص عن الصحابة والتابعين، وكذلك من سير العلماء والمصلحين المعاصرين الذين اجتمعوا بين العلم والعمل الخُلقي، يمكن أن تكون وسيلة فعالة لعرض النماذج الحية التي يجب أن يحتذى بها الشباب.

٣- استخدام وسائل الإعلام الحديثة بفعالية:

في عصر وسائل الإعلام الرقمية والإنترنت، أصبح الشباب يستهلكون معظم وقتهم في المنصات الرقمية.

لذلك، يتعيَّن على الإعلام الإسلامي الاستفادة من هذه المنصات لتوجيه رسائل إيجابية وتعزيز القيم الإسلامية.

أ. تطوير قنوات عبر الإنترنت: مثل منصّات اليوتيوب، وبودكاست، والمدونات، والتطبيقات، يمكن أن تصبح وسيلة فعّالة لنشر المحتوى الإسلامي وتعزيز الوعي الثقافي الديني. إنّ هذه المنصات تقدم فرصًا للتفاعل المباشر مع الجمهور؛ حيث يمكن تبادل الأفكار والقيم والمشاركة في حوارات هادفة حول التغير الخُلُقِي.

ب. التفاعل مع الشباب عبر وسائل التواصل الاجتماعي: يُعتبر إنستغرام، والإكس، وتيك توك من أشهر وسائل الإعلام التي يستهلكها الشباب. يمكن استخدام هذه المنصّات لخلق محتوى إسلامي مبتكر يتناول التحديات الخُلُقِيَّة التي يواجهها الشباب في مجتمعاتهم، مع تقديم حلول إسلامية لهذه القضايا.

ج. البثّ الحي والبرامج التفاعليَّة: يمكن تنظيم جلسات حوارية مباشرة عبر الإنترنت في قضايا الأخلاق؛ حيث يتفاعل الشباب مع علماء ومؤثّرين إسلاميين. إنّ هذه الجلسات يمكن أن تكون وسيلة فعّالة لتعزيز الفكر النقدي لدى الشباب وإيضاح كيف يمكنهم مواجهة تأثيرات التغير.

٤- نشر رسائل قويّة ضدّ التغريب الخُلقيّ:

يجب على الإعلام الإسلامي أن ينشر رسائل واضحة تحذّر من التغريب الخُلقيّ، مشيراً إلى أضرار تبني ثقافات وسلوكيات غير إسلاميّة على المستوى الشخصي والاجتماعي. ويمكن تحقيق ذلك من خلال:

أ. الحملات الإعلاميّة: تنظيم حملات توعويّة في وسائل الإعلام المختلفة لشرح مخاطر التغريب الخُلقيّ، مع التركيز على كيف يمكن أن تسهم هذه الظاهرة في تقويض الأخلاق الإسلاميّة، وتدمير الهويّة الثقافيّة والدينيّة للأفراد.

ب. تقديم الأدلّة القرآنيّة والحديثيّة: من خلال البرامج الدينيّة والوعظيّة التي تشرح معاني الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة التي تؤكد على أهميّة الحفاظ على القيم الإسلاميّة، ومقاومة التأثيرات السليبيّة للثقافات الأجنبيّة الغربيّة.

٥- الشراكة مع المؤسّسات التعليميّة والدينيّة:

من المهمّ أن يتعاون الإعلام الإسلامي مع المؤسّسات التعليميّة والدينيّة لتحقيق تأثير أكبر في المجتمع. يمكن للمؤسّسات التعليميّة أن تسهم في نشر الوعي الثقافي الإسلامي، وتعزيز القيم الخُلقيّة من خلال:

أ. البرامج التعليميّة: بالتعاون مع المدارس والجامعات لتقديم

محتوى إعلامي يعزّز من القيم الإسلاميَّة، ويعالج تأثيرات
التغريب الخُلُقِي.

ب. المؤسَّسات الدينيَّة: مثل المساجد والمراكز الإسلاميَّة التي
يمكن أن تشارك في توجيه الشباب من خلال دورات تدريبيَّة
وورش عمل عن التحدِّيات الخُلُقِيَّة المعاصرة وكيفيَّة التعامل
معها وفقاً لتعاليم الإسلام.

إنَّ تطوير الإعلام الإسلامي يُعدُّ أحد الأدوات الفعَّالة لمواجهة التغريب
الخُلُقِي من خلال تقديم نماذج خُلُقِيَّة صالحة، وتعزيز القيم الإسلاميَّة،
من خلال المحتوى الإعلامي المتكامل، والاستفادة من وسائل الإعلام
الحديثة، وكذلك تفعيل الشراكة مع المؤسَّسات التعليميَّة والدينيَّة، يمكن
للإعلام الإسلامي أن يُحدث تأثيراً كبيراً في بناء جيل واعٍ يتمسَّك بهويَّته
الثقافيَّة والدينيَّة في مواجهة التحدِّيات المعاصرة.

**ثالثاً: بناء منصَّات تواصل اجتماعي إسلاميَّة تعزّز القيم
الخُلُقِيَّة**

إنَّ بناء منصَّات تواصل اجتماعي إسلاميَّة تعزّز القيم الخُلُقِيَّة يتطلَّب
التخطيط بعناية وتطبيق مبادئ إسلاميَّة في مختلف جوانب المنصَّة،
وإليك بعض الخطوات الأساس لتطوير مثل هذه المنصَّات:

١- وضع رؤية وأهداف واضحة: وذلك من خلال:

- أ. تحديد الأهداف التي تسعى المنصة لتحقيقها، مثل تعزيز القيم الخُلُقِيَّة الإسلاميَّة كالصدق، والأمانة، والاحترام، والتعاون.
- ب. التأكّد من أنّ المنصّة تُركّز على تيسير التواصل والتعاون بين الأفراد في إطار من القيم الإسلاميَّة.

٢- أن يكون المحتوى متوافق مع المبادئ الإسلاميَّة: وذلك

من خلال:

- أ. إشراف دقيق على المحتوى لضمان التزامه بالمعايير الخُلُقِيَّة الإسلاميَّة.
- ب. إنشاء أدوات وموارد تعليميَّة وشرعيَّة تعزّز القيم الإسلاميَّة، مثل مقاطع فيديو تعليميَّة، ومقالات، وبت مباشر للعلماء والدعاة.
- ج. دعم الحوار والفتاوى الشرعيَّة التي تتماشى مع الشريعة.

٣- التمتع بالخصوصيَّة والأمان: وذلك من خلال:

- أ. ضمان أن تكون المنصّة آمنة من حيث حماية البيانات الشخصيَّة للمستخدمين.

ب. ضمان أن تُعطي المنصّة الأولويّة لحماية خصوصيّة الأفراد، كما هو وارد في تعاليم الإسلام.

٤- المراقبة وإدارة المحتوى: وذلك من خلال:

أ. استخدام أدوات تكنولوجيا الذكاء الصناعي AI أو فرق مختصّة لمراقبة المحتوى والتأكد من عدم وجود مواد مسيئة أو غير مناسبة.
ب. وضع سياسات صارمة لمكافحة التنمّر، والكرهية، أو أي سلوك غير خُلقي يتعارض مع المبادئ الإسلاميّة.

٥- العمل على تحفيز التفاعل الإيجابي: وذلك من خلال:

أ. إنشاء أنظمة لتشجيع المستخدمين على نشر المحتوى الإيجابي، مثل مكافآت أو تصنيفات تشجيعيّة على سلوكيات حسنة.
ب. استخدام أدوات مثل الاعجاب والتعليقات لتشجيع النقاش البناء والصحيّ.

٦- العمل مع علماء الدين: وذلك من خلال:

أ. التعاون مع علماء الدين والمختصّين لضمان توافق المنصّة مع تعاليم الدين الإسلاميّ.

الفصل الرابع - المبحث الثالث (٢٣)

ب. تقديم الفتاوى والأدلة الشرعية من مصادر موثوقة لدعم المستخدمين في التعامل مع المسائل الاجتماعية والخُلُقِيَّة.

٧- الترويج للمبادئ الإسلامية في التسويق: وذلك من خلال:

- أ. استخدام استراتيجيات تسويقية تروّج للقيم الإسلامية مثل التعاون، والتسامح، والتراحم بين الأفراد.
- ب. تفعيل الحملات التي تشجّع على الأعمال الخيرية والمساعدة المتبادلة بين الأفراد عبر المنصة.

٨- الاستدامة والتطوير المستمر: وذلك من خلال:

- أ. الاهتمام بتحديث المنصة بشكل دوري لتلبية احتياجات المستخدمين وتحسين التجربة وفقاً لمتطلبات العصر.
- ب. الاستماع إلى آراء المستخدمين وتطوير المنصة بما يتناسب مع تطوّر التقنيات الحديثة دون المساس بالقيم الإسلامية. وبذلك يمكن للمنصات الاجتماعية الإسلامية أن تسهم في نشر الثقافة الخُلُقِيَّة، وتعزيز المجتمع الإسلامي على الإنترنت بطريقة مبدعة وفعّالة.

الفصل الخامس :

نماذج تطبيقية للهوية الخلقية الإسلامية
في مواجهة التغريب ونماذج غير الصالحة

المبحث الأول: أمثلة مُهمّة من الواقع ومن التاريخ الإسلامي

أوّلاً: كيف واجه المسلمون موجات التغريب الخُلقي؟
إنّ مواجهة المسلمين لموجات التغريب الخُلقي في العصور السابقة كانت جزءاً من عملية حماية الهوية الإسلاميّة، التي تعتمد على القيم والمبادئ الخُلقيّة المستمدّة من الشريعة الإسلاميّة، ويمكن تناول بعض الأمثلة المُهمّة من التاريخ الإسلامي التي تبرز كيف تعامل المسلمون مع هذه الموجات:

١. مواجهة الفلسفة اليونانيّة في العصور الإسلاميّة المبكرة: في العصور الوسطى، جرت محاولات من الفلاسفة المسلمين لاستيعاب الفلسفة اليونانيّة والفكر الفلسفي الغربي. لكن

العلماء المسلمين قاموا بتحليل الفلسفة اليونانية وبيّنوا ما يتوافق مع الشريعة الإسلامية وما يتناقض معها، ورفضوا بعض الفلسفات التي كانت تتعارض مع العقيدة الإسلامية.

٢. الردّ على أفكار الخوارج والمعتزلة: في الفترات المختلفة من التاريخ الإسلامي، ظهرت بعض الفرق التي كان لديها تصوّرات خُلُقِيَّة ودينيَّة مختلفة، مثل الخوارج، والمعتزلة، وهؤلاء كان لديهم بعض المفاهيم التي تتعارض مع التفسير التقليدي للهوية الإسلامية، فكان العلماء والمجاهدون في تلك الفترات يعملون على مواجهة تلك الفرق عبر الفقه، والكلام، والجدل الفكري، متّبعين الهوية الخُلُقِيَّة للإسلام التي تدعو إلى التسامح، والعدل، والرحمة.

٣. مواجهة التهديدات الثقافية في العصور العثمانية: خلال الفترة العثمانية، واجهت الدولة العثمانية محاولات التغريب والتأثر بالثقافات الأوروبية خاصّة بعد الهزائم العسكريّة والنزاعات الداخليّة، وقد أظهر العلماء كيف أنّ الهوية الإسلامية يجب أن تظلّ قويّة في مواجهة هذه التأثيرات من خلال الحفاظ على التشريعات الإسلامية، وتشجيع التقوى والعبادة، كما كان هناك حركة فكريّة في العالم الإسلامي لتأسيس النهضة

الإسلامية الصحيحة والحقيقية التي تسعى لتطوير العلوم مع الحفاظ على قيم الدين.

٤. التصدي للتأثيرات الاستعمارية في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين: ففي فترة الاستعمار، وخاصة في العالم العربي والإسلامي، واجه المسلمون تغريباً ثقافياً وخلقياً من خلال استراتيجيات القوى الاستعمارية التي حاولت فرض نماذج غير إسلامية على المجتمعات الإسلامية، لكن عدد من المفكرين قدموا ردوداً فلسفية وخلقية على هذا التغريب؛ حيث دعوا إلى العودة إلى قيم الإسلام الأصيلة ونبذ تأثيرات الغرب السلبية.

٥. مقاومة التغريب الثقافي في العصر الحديث: مع بدء العولمة، استمرت المحاولات الغربية في التأثير على المجتمعات الإسلامية عبر الإعلام والتكنولوجيا. وفي مواجهة ذلك، عمل عدد من المفكرين والعلماء على نشر القيم الإسلامية من خلال وسائل الإعلام، والتعليم، والسياسة، كما جرى التركيز على تجديد الفكر الإسلامي ليكون قادراً على التفاعل مع التحديات الحديثة دون التخلي عن أسس الهوية الإسلامية. إن الأمثلة المتقدمة تعكس كيف كانت الهوية الخلقية الإسلامية تمثل

حصناً أمام موجات التغريب على مر العصور، ما ساعد المسلمين على الحفاظ على أصالتهم وقيمهم رغم التحديات. إنَّ التغريب الخُلُقِي هو عملية التأثير التي تمارسها الثقافة الغربية، سواء عبر الاستعمار أم العولمة على المجتمعات الإسلامية بهدف تغيير قيمهم الخُلُقِيَّة والثقافية.

لقد كانت ردود المسلمين متنوّعة، وتباينت حسب الظروف السياسية والاجتماعية في كلِّ فترة تاريخية، وفي ما يلي بعض من أبرز الطرق التي استخدمها المسلمون لمواجهة التغريب الخُلُقِي:

١. التعليم والتثقيف الإسلامي: عمل علماء المسلمين على نشر الوعي الديني بين الناس من خلال التعليم الشرعي، وذلك عبر المدارس الدينية، والجامعات، والمراكز الثقافية الإسلامية، فجرى التركيز على تدريس القيم الخُلُقِيَّة الإسلامية، مثل العفة، والصدق، والعدل، والرحمة، من خلال المناهج التعليمية والمكتبات الإسلامية، وكان الهدف هو تزويد الأفراد بالمعرفة التي تحصّنهم ضدّ الأفكار والاتجاهات التي تهدد هويتهم الثقافية والخُلُقِيَّة.

٢. المراجعة الفكرية والفقهية: قام عدد من المفكرين والعلماء المسلمين بإعادة النظر في جوانب الفكر الغربي والنظريات

الثقافية التي سعت إلى فرض نفسها على المجتمعات الإسلامية، من أبرز الأمثلة على ذلك، عمل (محمد عبده) و(جمال الدين الأفغاني) على تحديث الفكر الإسلامي بما يتماشى مع التحديّات المعاصرة، ولكن مع الحفاظ على المبادئ الخُلقية المستمدة من الشريعة. كما وقدم غيرهما رؤية قوية عن ضرورة التمسك بالقيم الإسلامية في مواجهة التغيرات الثقافية الغربية.

٣. حركات الإصلاح والتجديد: شهدت العصور الحديثة عدد من حركات الإصلاح التي سعت إلى تجديد الفكر الإسلامي من خلال العودة إلى منابع الدين، مع محاولة استيعاب التقدّم العلمي والتكنولوجي دون التفريط في القيم الخُلقية.

٤. التأكيد على القيم المجتمعية: في بعض الأحيان، كان المسلمون يتصدّون للتغريب الخُلقي من خلال العودة إلى القيم المجتمعية الإسلامية التقليدية، فقد كان هناك اهتمام بتعزيز الروابط الأسرية والمجتمعية، مثل التأكيد على قيمة الأسرة بوصفها لبنة أساس في المجتمع، والتمسك بتقاليد الحشمة والاحترام بين الجنسين، والابتعاد عن التحرر الثقافي الذي كان يروّج له الغرب.

٥. الدعوة إلى العودة إلى الشريعة الإسلامية: كانت هناك دعوات قويّة للعودة إلى الشريعة الإسلاميّة بوصفها مصدر أساس للتشريع والتنظيم الاجتماعي. على سبيل المثال، جادل عدد من المفكرين الإسلاميين بأنّه يجب على المجتمعات الإسلاميّة إعادة تأسيس هويّتها الخُلُقِيَّة والاجتماعيّة على أساس القرآن الكريم والسُنَّة النبويّة المباركة والتقيّد بهما بوصفهما أساساً لبناء المجتمعات الحديثة، وهذا الموقف تجسّد في حركات إسلاميّة على طول التاريخ.

٦. الصحوة الدينيّة والإعلام الإسلامي: في العصر الحديث، لعب الإعلام الإسلامي دوراً مهمّاً في مواجهة موجات التغريب، من خلال استخدام الفضائيات، والإنترنت، ووسائل التواصل الاجتماعي لنشر المبادئ الإسلاميّة. فقد جرى إنشاء قنوات إسلاميّة وإذاعات وصحف تهدف إلى نشر الثقافة الإسلاميّة الأصيلة ونقد الأفكار الغربيّة التي تعتبر دخيلة على المجتمعات الإسلاميّة.

٧. التأكيد على الهويّة الثقافيّة الإسلاميّة: ففي مواجهة التغريب، جرى التأكيد على أهميّة الهويّة الثقافيّة الإسلاميّة.

الفصل الخامس - المبحث الأول (٢٤)

فقد عمل المفكّرون على إبراز الثقافات الإسلاميّة في الأدب والفن، وحماية اللغة العربيّة التي تمثل جزءاً كبيراً من الهوية الإسلاميّة، كما جرى العمل على تعزيز الفخر بالقيم الإسلاميّة من خلال الفنون التشكيلية والأدب، مع التأكيد على أنّ الإسلام يتيح التقدّم مع الحفاظ على القيم الخُلقيّة.

٨. التفاعل مع العولمة בזكاء: فمع تزايد العولمة، بدأ المسلمون في استخدام تقنيّات العصر، مثل الإنترنت للتواصل مع العالم، ولكن مع الحفاظ على خصوصيّاتهم الثقافيّة والدينيّة، فقد جرى استخدام هذه الوسائل للردّ على الهجوم الثقافي من الغرب، وللنشر الأكاديمي والإعلامي للثقافة الإسلاميّة بطريقة تواكب العصر.

باختصار، كانت مواجهة المسلمين لموجات التغريب الخُلقي متعدّدة الأبعاد؛ حيث امتزجت الدعوة للتجديد الفكري والتمسك بالتقاليد الدينيّة مع السعي نحو التفاعل مع التحدّيات المعاصرة، بينما كانت بعض الحركات تسعى لتطوير الفكر الإسلامي بما يتناسب مع العصر، فإنّها لم تهمل الحفاظ على المبادئ الخُلقيّة والشريعة الإسلاميّة بوصفها مرجعيّة أساس لحياة المسلمين.

ثانيًا: كيف حافظ العلماء والمفكرون المسلمون على هويتهم الخُلُقِيَّةَ الإسلاميَّةَ؟

لقد حافظ العلماء والمفكرون المسلمون عموماً وعلماء الشيعة خصوصاً على هويتهم الخُلُقِيَّةَ الإسلاميَّةَ من خلال مجموعة من الأساليب الفكرية والدينية التي تجمع بين التمسك بالمبادئ الأساس للإسلام والتشيع وبين التفاعل مع التحديات الثقافية والفكرية التي نشأت عبر العصور. فالشيعة كما هو معروف، لديهم نهج خاص في فهم الإسلام، وهذه الهوية التي تحافظ على القيم الخُلُقِيَّةَ الإسلاميَّةَ تتأصل في الفكر الديني الشيعي التي برزت من خلال عدة طرق وأساليب، نذكر بعضها:

١- التمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية:

يعدّ القرآن الكريم والسنة النبوية المصدرين الأساسيين للهوية الخُلُقِيَّةَ الإسلاميَّةَ في الفكر الشيعي، ولكن الشيعة، وبالخصوص الإمامية، يركّزون على أهمية أهل البيت (عليهم السلام)، وخاصة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام)، كما يعدّون الإمام علي والإمام الحسين وأبناهما (عليهم السلام) قدوات في الأخلاق والقيم الدينية، والسلوكيات والتعاملات. يجري التأكيد على دورهم ومكانتهم من خلال نقل الشريعة الإسلاميَّة وتفسيرها، وتوضيح المعاني الخُلُقِيَّةَ العالية في حياتهم وسلوكهم.

٢- التأصيل الخُلقي:

وذلك من خلال الأدلّة القرآنيّة والحديثيّة التي تركّز على سيرة أهل البيت (عليهم السلام)؛ إذ من خلال ذلك قد جرى الحفاظ على خُلقيّات مُهمّة كالصبر، والعدل، والتواضع، والإيثار التي تُعدّ مركزيّة في الهوية الشيعيّة، فعلى سبيل المثال، يُعدّ الإمام علي (عليه السلام) نموذجًا يحتذى به في العدالة والمساواة، والإمام الحسن (عليه السلام) نموذجًا في الصبر والكرم، والإمام الحسين (عليه السلام) رمزًا للصلمود والتضحية من أجل المبادئ، وهكذا باقي الأئمة المعصومين (عليهم السلام).

٣- العناية بالتفسير والتأصيل الفقهي الشيعي:

إنّ الفقه الإمامي الاثني عشري قائم على تأصيل الأخلاق الإسلاميّة في الشريعة، مع التركيز على القيم الإنسانيّة والعدالة الاجتماعيّة التي يجري تقديمها من خلال المراجع الدينيّة والمجتهدين الشيعة، فلقد قام العلماء، مثل (الشيخ الطوسي)، و(الشهيد الأول) و(الشهيد الثاني) و(الشيخ الأنصاري) -رحمهم الله- بكتابة عدد من الأعمال التي تشرح أسس الشريعة الإسلاميّة من منظار شيعي، وركّزوا على تطبيق الأخلاق في المعاملات اليوميّة للمسلمين، فمن خلال هذا الجهد الفكري، حافظ علماء الشيعة على الأخلاق الإسلاميّة في الجوانب كافّة من خلال الاجتهاد الفقهي المستند إلى القرآن الكريم وسنّة أهل البيت (عليهم السلام).

٤- إحياء ثقافة وفكر وأخلاق أهل البيت عليهم السلام

وذلك من خلال تعاليم أهل البيت عليهم السلام، خصوصاً عبر منظومة الحديث الشيعي والزيارات، فيجري تأكيد أهميّة الأخلاق في حياة المسلم. فإنَّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يمثّل رمزيّة الحكمة والشجاعة، والإمام الحسن عليه السلام يمثّل رمزيّة الكرم والصبر، والإمام الحسين عليه السلام يمثّل رمزاً كبيراً للتضحية من أجل الحق والعدل، والإمام السجاد عليه السلام يجسد رمزيّة العبادة والتوكل والمقاومة الصامتة، والإمام الباقر عليه السلام يمثّل رمزيّة التوجّه نحو المعرفة، بينما الإمام جعفر الصادق عليه السلام يمثّل دوراً كبيراً في نقل العلم وفهم الشريعة، وهكذا باقي الأئمة عليهم السلام، وما يمثّلوه من رمزيّات راسخة في التراث الشيعي، وعند الشيعة على طول التاريخ.

إنَّ هذه الثقافة تسهم في تعزيز الهُوِيَّة الخُلُقِيَّة لدى الشيعة، وهم يلتزمون بتلك القيم في حياتهم اليوميّة، فالمجالس الحسينيّة على سبيل المثال، هي وسيلة تربويّة لتعليم الأجيال الجديدة التمسك بالمبادئ الخُلُقِيَّة التي أظهرتها شخصيات أهل البيت عليهم السلام.

٥- الاجتهاد في مواجهة التحدّيات الفكرية:

لمواجهة التحدّيات الفكرية والتغريب، قدم المفكّرون الشيعة عدد

من الردود الفكرية التي تدافع عن الهوية الخلقية الإسلامية، مفكرون من أمثال (الشيخ الصدوق)، و(الشيخ الطوسي)، وغيرهما، قدّموا دراسات معمّقة في تفسير الروايات والأحاديث التي تتعلق بالأخلاق في الإسلام، وأكّدوا على تمسّك المسلمين الشيعة الإمامية الاثني عشرية بالمبادئ الخلقية الخاصة بهم. وفي العصر الحديث، كان للمفكرين الشيعة مثل (الشهيد محمد باقر الصدر) و(الشيخ مرتضى مطهري) و(السيد عبد الحسين دستغيب) دور كبير في تقديم مفاهيم حديثة للهوية الإسلامية التي لا تتعارض مع القيم الدينية بل تدعو إلى التحديث بما يتماشى مع المبادئ الدينية، مثل العدالة الاجتماعية، والقيم والسلوكيات.

٦- المشاركة المجتمعية وتأسيس مبادئ العدالة الاجتماعية:

فمنذ بداية تاريخ الشيعة، كان هناك تركيز كبير على العدالة الاجتماعية ومحاربة الظلم بوصفهما جزءاً من الهوية الخلقية.

إنّ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يُعدّ رمزاً للعدالة الإنسانية في مواجهة الظلم والاستبداد، وهذه المبادئ قد جرى تعميقها من خلال حركة الإمام الحسين (عليه السلام) التي تمثّل كفاحاً ضدّ الاستبداد الأموي، كما أسهمت في توجيه الشيعة نحو الحفاظ على قيم، مثل الحرية والعدالة

والكرامة الإنسانية. وفي العصر الحديث، يدعو مفكرو الشيعة إلى أهميّة العدل في السياسة والمجتمع، وتعزيز المبادئ الخُلُقِيَّة في الحياة اليوميَّة في مواجهة الحركات التغريبيَّة؛ إذ تؤكد المرجعيَّات الدينيَّة الشيعيَّة على ضرورة أن تظلَّ هذه القيم جزءاً لا يتجزأ من حياة الأمة الإسلاميَّة وهويتها.

٧- إعادة التأكيد على الفكر العقدي الشيعي:

ففي مواجهة التغريب الثقافي والفكري، كان للعلماء والمفكرين الشيعة دور كبير في تأكيد مكانة الفكر العقدي الشيعي في فهم الإسلام. إنَّ هؤلاء المفكرين عملوا على ردِّ الفروع الفكريَّة التي قد تؤدي إلى زعزعة الثوابت العقائديَّة للشيعة، مثل مسألة الإمامة، وضرورة الحفاظ على مبدأ ولاية أهل البيت (عليهم السلام) الذي يضمن للشيعة استمراريَّة القيادة الإسلاميَّة النابعة من فكر ومكانة أهل البيت (عليهم السلام).

٨- التفاعل مع العولمة وتحديات العصر الحديث:

ففي العصر الحديث، وبعد انتشار العولمة، بدأ المفكرون الشيعة يتفاعلون مع التكنولوجيا والعلوم الحديثة مع الحفاظ على الهويَّة الإسلاميَّة، وكان التركيز على تطوير الفكر الشيعي ليكون مواكباً للعصر

من خلال المنهجية النقدية والتحليلية التي تحفظ المبادئ الخلقية الإسلامية، ف (الشيخ مطهري) و (العلامة الطباطبائي) و (الشهيد الصدر) كان لهم دور بارز في تطبيق هذه المنهجية عبر الأبحاث الأكاديمية والمشاريع الفكرية التي تهدف إلى تجديد الفكر الشيعي في مواجهة التحديات المعاصرة.

٩- الرد على التغريب الفكري والتحديات الثقافية:

ففي مواجهة التغريب الثقافي والفكري، دعا المفكرون الشيعة إلى الحفاظ على الهوية الإسلامية من خلال النقد العقلاني للثقافات الغربية، مع التأكيد على ضرورة تعزيز القيم الدينية، شمل ذلك التركيز على الهوية الثقافية من خلال تعزيز الأخلاق الإسلامية في المجتمع.

فالعلماء والمفكرون الشيعة استطاعوا الحفاظ على هويتهم الخلقية الإسلامية عبر تمسكهم بالقيم الخلقية التي جاء بها الإسلام من خلال القرآن الكريم وسنة أهل البيت (عليهم السلام)، وذلك من خلال التفسير الفقهي - على سبيل المثال - وإحياء ثقافة أهل البيت (عليهم السلام)، والعمل على مواجهة التغريب الفكري، ورفع الوعي المجتمعي؛ إذ قد استمروا في تعزيز هويتهم الدينية والخلقية في مواجهة التحديات الثقافية والفكرية الكثيرة والمتواصلة.

المبحث الثاني: نظرة معاصرة من الحاضر على المجتمعات الإسلامية

أولاً: دور المصلحين والحركات الإصلاحية في تعزيز الهوية الخُلُقِيَّة في المجتمعات الإسلامية

إنَّ الكلامَ عن قضايا التجديد والإصلاح كلامٌ طويلٌ بطول عمر الإنسان، تشعبت مناهله، وكثرت موارده، وتناما إليه اللغط، وتضاربت به الأهواء، فكان في صعودٍ وهبوط، ما بين إفراطٍ وتفريط. ونحن إذ نتكلم عن قضايا الإصلاح لا بد لنا أن نتكلم عن روادها والداعين لها ومنظريها ألا وهم المصلحون أو المجددون لهذا الفكر الخلاق، والذي يهدف للنهوض بالأمة الإسلامية من مهاوي الثرى إلى الثرى، ومن العزلة إلى الانفتاح، ومن التمسك بالماضي بكل ما به من مساوئ وأخطاء إلى الحاضر وتصحيح الأخطاء والاستفادة من الإرث الحضاري كدافع للتطور والانطلاق.

فكانت الانطلاقة نحو الإصلاح والتجديد؛ وذلك لإعادة السمو والعزّة والمنعة والتقدم للإسلام بوصفه ديناً ومنهجاً متكاملًا للحياة، ومن أهم الطرق التي يجب علينا اتباعها في هذه الانطلاقة، هي الرجوع إلى علماء الإسلام من مجدّدين ومصلحين والذي كان لهم الدور الريادي في نهضة

المسلمين بأنحاءٍ متعددةٍ منها: الحفاظ على هذا الدين، ونشر العلم والمعرفة الخالصة، وهداية الناس.

إن الإصلاح يكون في المواطن التي غيرت معالمها يد الإفساد مادياً ومعنوياً، من أجل إرجاع كل إلى طبيعته، يشترط فيمن يقوم بعملية الإصلاح أن يكون متصفاً بالصالح حقيقة وواقعاً، لا ادعاءً وتجاوزاً.

فالإصلاح تارة يتم ضمن دوائر ضيقة، وتارة ضمن دوائر واسعة، وكلما كان نطاق الإصلاح أوسع وأشمل كانت عملية الإصلاح أصعب وتحدياتها أكبر وأعظم يحتاج إلى توكل وتسديد وتوفيق^(١).

ولعل قوله -تعالى- على لسان نبي الله شعيب (عليه السلام) فيه إشارة إلى هذا المعنى:

قال تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

إن الفكر الإصلاحى الذي هو أساس الإصلاح يراده به: جملة الأفكار والتصوّرات والمفاهيم والنظريات التي تشكّل البناء المنظم للمعرفة الإصلاحية والتي هي نتاج لما هو مفكّر فيه بمنطق عقلي بشري ضمن

١ - ليث العتابي: مصلحون: قراءة في مشروع الإصلاح الإسلامى والمنجز المعرفى، ص ٨.

ظرفيات مكانيةً وزمانيةً محددة^(١).

ولا بد من الإشارة إلى أن تعريف الإصلاح في الفكر العربي يختلف عما هو في الفكر الغربي وبالخصوص الإطلاق الحديث منه؛ إذ كان هناك لغط وعدم فهم، وأخذ ورد حول المراد بالإصلاح.

إن الفكر العربي يتمسك بالمعنى الأصلي والقديم والوحيد للإصلاح. أما الفكر الغربي فينقسم في فهمه إلى قسمين:

أحدهما يُعرف الإصلاح بما يشابه التعريف في التراث العربي. والآخر يرى الإصلاح انقلاب جذري بل تحول كلي من حالة إلى أخرى مختلفة عنها وغير مشابهة لها أصلاً.

آليات العمل الإصلاحي:

إنّ للعمل الإصلاحي آليات لا بد على المصلح أن يتبعها فهي دستور المصلحين الذي لا يختلف ولا يتخلف، وهي^(٢):

١. وضع الخطة الملائمة لفهم ماهية الخلل الموجود في المجتمع والذي يحتاج إلى إصلاح، ووضع الخطط الملائمة لكيفية هذا الإصلاح. فالإصلاح لا يعمل به إلا مع

١ - رسول محمد رسول: نقد العقل الإصلاحي، ص ١٤.

٢ - ليث العتابي: مصلحون، ص ١٠-١٢.

الفصل الخامس - المبحث الثاني (٢٥)

وجود خلل فساد حتى يحتم الواجب الشرعي، والعقلي، والإنساني علاج ذلك الخلل، ومن ثم وضع الخطة الملائمة لكيفية إصلاح الخلل بأفضل الطرق وأسهلها التدريج في العلاج؛ لأن آخر الداء الكي، ولا أن نبدأ بقوة من البداية خوفاً من التصادم وإثارة العداة وما إلى ذلك.

٢. الوسائل الملائمة للدعوة الإصلاحية، والإرشاد الإصلاحي الحقيقي والملائم، ومن تلك الوسائل: أ- الخطب - ب - المقالات - ت - المؤلفات - ث - النشرات - ج - أعداد الكوادر القادرة على حمل لواء الإصلاح - ح - السفرات والزيارات.

٣. المقاومة السلمية والمتمثلة بعدة أمور، هي: أ- المظاهرات - ب - الإضرابات - ت - المقاطعة الاقتصادية - ث - عدم التعاون - ج - الشجب ح - التنديد، وغيرها.

٤. العنصر الأخير في طلب الإصلاح هو: الثورة التي لا مفر منها أي: الجهاد، فالجهاد بحسب حديث الإمام علي عليه السلام هو: «عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ وَسَوَّغَهُمْ كِرَامَةً مِنْهُ لَهُمْ وَنِعْمَةٌ

ذَخَرَهَا، وَالْجِهَادُ هُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى وَدَرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ وَجَنَّتُهُ
الْوَيْقَةُ، فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ الذُّلَّ وَشَمَلَهُ
الْبَلَاءُ»^(١).

دور المصلحين:

دور المصلحين والحركات الإصلاحية في تعزيز الهوية الخلقية في المجتمعات الإسلامية كان محورياً؛ حيث عملوا على إعادة تأصيل القيم الإسلامية الخلقية في ظل التحديات الثقافية والفكرية التي واجهتها الأمة الإسلامية عبر العصور، فهؤلاء المصلحون والحركات الإصلاحية أسهموا بشكل كبير في تجديد الفكر الإسلامي وتعزيز الهوية الخلقية من خلال عدة محاور أساس:

١- إحياء القيم الخلقية الإسلامية في ضوء الشريعة:

غالبًا ما بدأ المصلحون الإصلاحيون بتأكيد أهمية العودة إلى الكتاب والسنة بوصفهما مصادر أساس للتوجيه الخُلُقِي في المجتمع. أبرز هؤلاء المصلحين كان:

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج ٥، ص ٤.

- أ. (محمد عبده) الذي عمل على تجديد الفكر الإسلامي ليواكب التحدّيات المعاصرة مع الحفاظ على المبادئ الخُلُقِيَّة المستمدة من الشريعة، فدعا عبده إلى تطبيق القيم الإسلاميَّة مثل العدل، الرحمة، والمساواة في مواجهة الممارسات التقليديَّة أو الظلم الاجتماعي.
- ب. (السيد جمال الدين الأفغاني) كان أيضًا من أبرز المصلحين الذين دعوا إلى العودة إلى الجذور الإسلاميَّة لمواجهة التغريب، فسعى إلى إحياء الهويَّة الخُلُقِيَّة الإسلاميَّة من خلال التفاعل مع الفكر الغربي دون التفريط في القيم الخُلُقِيَّة.

٢- الاهتمام بتحديث التعليم ونشر الوعي:

واحدة من الأساليب الرئيسة التي اتبعتها المصلحون كانت التعليم؛ حيث كانوا يركزون على تحديث المناهج التعليميَّة لتشمل القيم الإسلاميَّة وتعليم الشباب كافيَّة التعامل مع التحدّيات المعاصرة دون التفريط في المبادئ الخُلُقِيَّة، فقد عمل العلماء على تطوير المدارس وتحديث المناهج لتشمل تعليمات دينيَّة وخُلُقِيَّة تهدف إلى بناء شخصيَّة إسلاميَّة سليمة.

فالنهضة الفكرية التي قادها المصلحون في القرن التاسع عشر والعشرين الميلاديين، مثل (محمد عبده) و(جمال الدين الأفغاني) كان لها دور كبير في نشر الوعي في المجتمعات الإسلامية عن أهمية الحفاظ على الهوية الخلقية الإسلامية في وجه التغريب.

٣- الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي والسياسي:

كان المصلحون الإسلاميون يؤمنون بأنَّ الإصلاح يجب أن يمتد إلى الجوانب الاجتماعية والسياسية أيضاً، حيث لم تكن القيم الخلقية الإسلامية مقتصرة على العبادات فقط بل تشمل أيضاً العدالة الاجتماعية، والمساواة، وحقوق الإنسان، والتكافل الاجتماعي. وفي هذا السياق، دعا المصلحون إلى العدالة الاجتماعية والمساواة في الحقوق والواجبات، معتبرين أن الإسلام هو الحل لكل مشاكل المجتمع، بما في ذلك الحفاظ على القيم الخلقية.

٤- التركيز على أخلاق الفرد والمجتمع:

فالمصلحون سعوا أيضاً إلى تعزيز الأخلاق الفردية من خلال العمل على تقويم السلوك وتعليم الأفراد كيفية تبني قيم مثل الصدق، التواضع، العدالة، والرحمة التي تمثل جوهر الإسلام، فعلى سبيل المثال، كان هناك

تركيز كبير من المصلحين والحركات الإصلاحية على تربية الأفراد بشكل يضمن تطابق سلوكهم مع القيم الإسلامية في جميع مجالات حياتهم.

٥- مواجهة التغريب الثقافي والفكري:

كان التغريب يمثل تحديًا كبيرًا للمجتمعات الإسلامية؛ حيث كانت بعض الثقافات الغربية تدعو إلى تهميش الأخلاق الإسلامية التقليدية لصالح معايير ثقافية جديدة، ففي مواجهة ذلك، كان المصلحون يدافعون عن الهوية الثقافية الإسلامية، مؤكدين أن الإسلام يقدم نموذجًا خُلقيًا شاملًا لا يتناقض مع التقدم والتطور بل يدعمه.

٦- دور الحركات الإصلاحية في إحياء مبدأ العدالة:

فالحركات الإصلاحية عملت على نشر مفهوم العدالة الاجتماعية المستمدة من مبادئ الشريعة الإسلامية، وقد جرى التركيز على العدالة الاقتصادية والعدالة الاجتماعية بوصفهما أساس للهوية الخلقية الإسلامية في المجتمعات المعاصرة، ف(السيد محمد باقر الصدر)، وهو أحد أبرز المفكرين الشيعة، طورَ نظرية الاقتصاد الإسلامي التي تؤكد على العدالة والمساواة في توزيع الثروات في المجتمع، وهو ما يمثل جانبًا من جوانب الهوية الخلقية التي تبناها المصلحون في العصر الحديث من علماء الشيعة الإمامية الاثني عشرية.

٧- التحفيز على العمل الجماعي وتربية الجيل الجديد:

المصلحون الإسلاميون سعوا أيضاً إلى تأسيس حركات اجتماعية وأحزاب سياسية تهدف إلى توجيه الشباب وتربيتهم على القيم الإسلامية، وكان هناك تشجيع على العمل الجماعي في إصلاح المجتمعات.

٨- الدعوة إلى الوحدة الإسلامية:

فبعض المصلحين رأوا أن تعزيز الهوية الخُلُقِيَّة الإسلامية لا يقتصر فقط على فئة معينة من المسلمين، بل يشمل الجميع فدعوا إلى الوحدة الإسلامية، مشيرين إلى أن الحفاظ على الهوية الخُلُقِيَّة الإسلامية يتطلب التعاون بين كافة المذاهب والفرق الإسلامية ضد التحديات الفكرية والعقائدية. إن دور المصلحين والحركات الإصلاحية في تعزيز الهوية الخُلُقِيَّة في المجتمعات الإسلامية كان ذا أهمية كبيرة في مواجهة تحديات العصر الحديث، من خلال دعواتهم للتجديد في الفكر، تحديث التعليم، والتمسك بالقيم الخُلُقِيَّة الإسلامية مثل العدالة والمساواة، فتمكنوا من الحفاظ على هوية إسلامية قوية، كما كانت مواجعتهم للتغريب الثقافي والفكري وتأكيدهم على المساواة والعدالة وتطوير أخلاق الفرد والجماعة عناصر أساس في مساعيهم لبناء مجتمع إسلامي قائم على الأخلاق والقيم.

تعدّ الحركات الإصلاحية الشيعية من أبرز العوامل التي أسهمت في تطوير الفكر والسياسة الإسلامية في المجتمعات الشيعية، من خلال السعي إلى تجديد الفكر الديني، مواجهة التحديات الاجتماعية والسياسية، والحفاظ على الهوية الإسلامية في مواجهة التغريب والتغيرات الثقافية.

ففي هذا السياق، ظهرت عدد من الحركات الإصلاحية الشيعية التي قدمت رؤى فكرية وثقافية تعكس تطور الفكر الشيعي وتوجهاته، وتمثل أبرز الحركات الإصلاحية الشيعية في مجموعة من الحركات التي نشأت في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وركزت على تجديد الفكر الديني، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وتحدي الاستبداد، والحفاظ على الهوية الشيعية في مواجهة التحديات السياسية والثقافية التي كانت لها دور بارز في تشكيل المشهد السياسي والاجتماعي الشيعي، وحققت تغييرات كبيرة في تاريخ المجتمعات الشيعية.

ثانياً: تجارب وطرق وأساليب إسلامية في مواجهة التأثيرات الخلقية السلبية للعولمة الغربية

إن مواجهة التأثيرات الخلقية السلبية للعولمة الغربية تتطلب استراتيجيات مدروسة تنبع من الهوية الإسلامية والقيم الدينية، وتتعدّد

الأساليب والطرق التي يمكن للمجتمعات الإسلاميَّة أن تتبناها لمواجهة هذا التحدي، وهذه بعض من أبرز هذه الأساليب:

١- تعزيز التربية الإسلاميَّة:

فالتعليم الديني: من خلال تعزيز التعليم الديني الذي يركِّز على تعاليم القرآن الكريم والسنة النبويَّة المباركة، يمكن تزويد الأفراد بالقيم الخُلُقِيَّة التي تحصنهم ضد التأثيرات السلبية.

إن هذا يشمل تعليم الأطفال والشباب عن مفاهيم مثل العدالة، والصدق، والرحمة، والاحترام، والتعاون التي تُعتبر حجر الزاوية في حياة المسلم، وكذلك الدورات التعليميَّة، وإقامة دورات تعليميَّة وورش عمل لزيادة الوعي عن التحديَّات الخُلُقِيَّة الناجمة عن العولمة الغربيَّة وكيفيَّة الحفاظ على القيم الإسلاميَّة في هذا السياق.

٢- الاعتماد على الشريعة الإسلاميَّة في شؤون الحياة اليوميَّة:

فتطبيق الشريعة في الحياة العمليَّة: تطبيق مبادئ الشريعة الإسلاميَّة في كل جوانب الحياة مثل العدالة الاجتماعيَّة، وحقوق الإنسان، والاحترام المتبادل والتعايش السلمي.

إنَّ هذا يعزز التوازن بين الاحتياجات الماديَّة والروحيَّة ويجنب الأفراد

من السقوط في شرك التقاليد الثقافية الغربية التي قد تهدم القيم الخُلقية، وكذلك مكافحة الفساد الخُلقي من خلال وضع قواعد اجتماعية وقانونية تحارب الانحرافات الخُلقية، مثل الفساد، والتفكك الأسري، والجريمة، ويمكن للمجتمعات الإسلامية أن تكون نموذجًا في تحقيق العدالة والأخلاق في مواجهتها للتأثيرات السلبية.

٣- التوعية الإعلامية والدعوية:

من خلال وسائل الإعلام الإسلامية: إذ يمكن للإعلام الإسلامي أن يكون له دور كبير في تعزيز القيم الخُلقية من خلال قنوات تليفزيونية، ومنصات إلكترونية، ومجلات تتناول قضايا اجتماعية وفكرية من منظور إسلامي. إنَّ تعزيز محتوى يوضح العدالة الاجتماعية والأخلاق داخل المجتمع الإسلامي وكيفية مواجهة التحديات العصرية، كما يمكن للدعاة والمفكرين لعب دور كبير في نشر الوعي الإسلامي من خلال الخطاب الديني المعتدل الذي يناقش التحديات الخُلقية الناتجة عن العولمة، ويوجه النصائح للمجتمعات حول كيفية الحفاظ على القيم الإسلامية في حياتهم اليومية.

٤- التمسك بالقيم العائلية:

فالحفاظ على الترابط الأسري: تعتبر الأسرة في الإسلام نواة المجتمع،

وهي محوريَّة في تشكيل القيم الخُلُقِيَّة للأفراد. فمن خلال تعزيز مفهوم الترابط العائلي والاحترام المتبادل داخل الأسر، يمكن للمجتمعات الإسلاميَّة أن تحصن الأجيال القادمة ضد التأثيرات السلبية للخُلُقِيَّات الفرديَّة التي تشجعها العولمة، وتعليم الأبناء القيم الإسلاميَّة من خلال العناية بتربية الأطفال على المبادئ الإسلاميَّة مثل الصدق، والأمانة، والاحترام، بما يعزِّز قدرتهم على مقاومة التأثيرات الغربيَّة التي قد تهدد القيم الخُلُقِيَّة.

٥- الدعوة إلى الهُوِيَّة الثقافيَّة الإسلاميَّة:

فتعزيز الهُوِيَّة الثقافيَّة الإسلاميَّة مهم في مواجهة العولمة وذلك من خلال الفعاليات الثقافيَّة، والمعارض، والأنشطة التي تروج للقيم الإسلاميَّة.

يمكن إحياء التراث الثقافي والديني الإسلامي من خلال فنون مثل الخط العربي، العمارة الإسلاميَّة، والشعر الإسلامي، وكذلك الاحتفاء بالتراث الديني عبر تنظيم برامج تعليميَّة وثقافيَّة تعرف الأجيال الشابة على تاريخ الحضارة الإسلاميَّة وأثرها على العالم، ما يعزِّز اعتزازهم بالهُوِيَّة الإسلاميَّة وقيمتهم من الانغماس في الثقافات الغربيَّة.

٦- التفاعل الإيجابي مع التكنولوجيا:

استخدام التكنولوجيا لخدمة القيم الإسلامية: ففي عالم العولمة، يصبح الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي أدوات قوية. يمكن للمجتمعات الإسلامية الاستفادة من هذه الوسائل للترويج للأخلاق الإسلامية، مثل العدالة، والإحسان، والتعاون من خلال المحتوى الديني والندوات التفاعلية، وكذلك إنتاج محتوى إسلامي من خلال إنشاء منصات إعلامية رقمية تعمل على نشر القيم الإسلامية عبر الإنترنت، مثل مواقع الإنترنت، وقنوات يوتيوب، بودكاستات التي تركز على الموضوعات الدينية والخُلُقِيَّة بأسلوب جذاب ومؤثر.

٧- إعادة التفكير في النظام الاقتصادي الإسلامي:

فالنظام الاقتصادي العادل أحد التأثيرات السلبية للعولمة هو التركيز على المادية والاستهلاك، ما يهدد القيم الخُلُقِيَّة. من خلال تطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي القائم على العدالة والرفاهية الاجتماعية، يمكن للمجتمعات مقاومة الطمع والجشع الذي تروج له العولمة الغربية، ويشمل ذلك دعم الأنشطة الاقتصادية التي تضمن حقوق الفقراء والمحتاجين، مثل الزكاة، والصدقات، والوقف، ومكافحة الاستهلاكية المفرطة من خلال الدعوة إلى أنماط حياة معتدلة

وترويج استهلاك مستدام بناءً على القيم الإسلاميَّة التي تحث على الاعتدال والحفاظ على البيئَة.

٨- التعاون بين الدول الإسلاميَّة:

تعزيز التعاون بين الدول الإسلاميَّة: من خلال التعاون السياسي والاقتصادي بين الدول الإسلاميَّة، يمكن مواجهة التأثيرات الثقافيَّة الغربيَّة بشكل جماعي. تعزيز المنظمات الإقليميَّة مثل منظمة التعاون الإسلامي يمكن أن يكون أداة فعَّالة في نشر ثقافة العدل والرحمة والمحافظة على الهويَّة الإسلاميَّة.

٩- التركيز على العدالة الاجتماعيَّة:

العدالة الاجتماعيَّة في مواجهة العولمة: فالإسلام يعزز فكرة العدالة والحقوق الإنسانيَّة. مواجهة التأثيرات السلبية للعولمة تتطلب التأكيد على تطبيق العدالة الاجتماعيَّة في المجالات كافة، من التعليم، والصحة، والعمل، والحقوق الاقتصاديَّة، بما يسهم في تحقيق المساواة والحد من الظلم والتمييز. إن مواجهة التأثيرات الخُلُقِيَّة السلبية للعولمة الغربيَّة في المجتمعات الإسلاميَّة يتطلب استراتيجيات متعددة تجمع بين التربية الدينيَّة، التوعية الإعلاميَّة، التمسك بالهويَّة الثقافيَّة الإسلاميَّة، وتطبيق القيم الخُلُقِيَّة في

الحياة اليوميّة. من خلال الحفاظ على التوازن بين التحديث والحفاظ على الهوية الإسلاميّة، يمكن للمجتمعات الإسلاميّة أن تبني مجتمعات قويّة تحافظ على قيمها الخُلقيّة رغم التحديات العالميّة.

ثالثاً: أساسات المجتمع الصالح

إن للمجتمع الصالح جملة أساسات مهمّة لا بدّ من الالتفات لها، ومعرفتها، والعمل على وفقها، ومنها:

١- وجود القائد:

إن وجود القائد، أي القائد الجامع لشروط القيادة، دور مهم جداً، فهو أساس من أساسات بناء المجتمع الصالح.

٢- وجود القدوة الصالحة:

فإن وجود القدوة الصالحة مهم جداً، ومحفز كثيراً لبقاء وديمومة أسس بناء المجتمع الصالح.

٣- وجود المؤسسة التعليميّة:

فإن وجود المؤسسات التعليميّة الرصينة مهم جداً في بناء المجتمع الصالح.

٤- وجود المعلم الصالح:

إن من المهم وجود المعلم الصالح، المرشد والموجه، صاحب الخبرة والكفاءة، والأخلاق، وصاحب الورع والتقوى؛ لأنه سيكون الأساس في بناء المجتمع الصالح.

٥- وجود النظم والقوانين:

فإن من المهم وجود النظم والقوانين لبناء وديمومة المجتمع الصالح، ومن دون ذلك سيتحول المجتمع إلى غابة^(١).

٦- وجود الخطط السليمة:

فإن من الضروري وجود الخطط والتخطيط الصحيح والسليم في كل مناحي الحياة، وفي كل المؤسسات، وبالخصوص التعليمية، وذلك في سبيل بناء المجتمع الصالح.

٧- وجود الأخلاق والقيم الصالحة:

فإن الأخلاق هي ما يميز الإنسان عن باقي المخلوقات الأرضية،

١ - باقر شريف القرشي: النظام التربوي في الإسلام، ص ١١٦.

وهو بالأخلاق والقيم يتميز ويسموا عن غيره، لذلك فإن من المهم جداً في سبيل بناء المجتمع الصالح ان تكون هناك أخلاق وقيم صالحة.

٨- وجود تنمية للمواهب وإشغال أوقات الفراغ:

فإن رعاية المواهب والاهتمام بها مهم جداً، وبالخصوص اشغال أوقات الفراغ، للحفاظ عليهم من الشطط والانحراف عن الجادة الصحيحة.

٩- وجود البيئة الصالحة:

لابد من توفير البيئة الصالحة لبناء الفرد الصالح، وبالتالي بناء المجتمع الصالح، ومن دون ذلك لن يمكن تحقيق البناء الصالح والسليم للفرد والمجتمع، ولن تبنى المؤسسات بالشكل الصحيح.

١٠- وجود مقومات التنمية السليمة:

إن من أساسات بناء المجتمع الصالح هو وجود مقومات التنمية الصحيحة والسليمة؛ من أجل جعل أسس البناء أسساً رصينة وصالحة ومنتجة.

المبحث الثالث: كيف يمكن أن نجعل من الشباب المسلم نموذجًا خُلُقِيًّا نافعًا؟

أولاً: التعريف بالقيم الخُلُقِيَّة والسُّلوكِيَّة النافعة ونشرها
إن التعريف بالقيم الخُلُقِيَّة والسُّلوكِيَّة النافعة ونشرها في المجتمع يمكن أن يجري من خلال عدة طرق فاعلة، تشمل:

١. الأسرة: الأسرة هي أول مؤسسة اجتماعية تؤثر على الفرد،

ولذلك من الضروري أن يجري غرس القيم الخُلُقِيَّة في الأطفال من خلال القدوة الحسنة والتعليم المستمر.

٢. المؤسسات التربوية والتعليمية: يجب أن تكون القيم

الخُلُقِيَّة جزءاً أساساً من المنهج الدراسي. يمكن إدخال

دروس عن القيم مثل الاحترام، والأمانة، والتعاون، والعدالة

في المواد الدراسية وفي الأنشطة الثقافية. كما يمكن

استخدام أساليب تعليمية مثل الفعاليات والمسرحيات أو

القصص التي تحمل رسائل خُلُقِيَّة.

٣. التوعية المجتمعية: من خلال حملات توعية وورش

عمل ومؤتمرات تهدف إلى نشر القيم الخُلُقِيَّة، سواء عبر

وسائل الإعلام أم على أرض الواقع من خلال النشاطات

الفصل الخامس - المبحث الثالث ٢١٧

المجتمعيّة. يمكن استضافة خبراء في مجال الأخلاق والسلوكيات الحسنة لإلقاء محاضرات وتوجيه المجتمع حول أهميّة القيم الخُلقيّة.

٤. القدوة والنماذج الناجحة: تسليط الضوء على الأشخاص الذين يمثلون القيم الخُلقيّة الساميّة في المجتمع كقدوة، سواء كانوا في السياسة، أم الفن، أم الرياضة، أم مجالات أخرى. إنّ هذه النماذج يمكن أن يكون لهم تأثير إيجابي في تحفيز الآخرين على تبني الأفعال والسلوكيات نفسها.

٥. المؤسسات الحكوميّة: يجب على الحكومات أن تضع سياسات وتشريعات تدعم القيم الخُلقيّة، مثل مكافحة الفساد، وتشجيع العدل والمساواة، وتوفير بيئة تشجع على الإبداع والتعاون.

٦. التكنولوجيا ووسائل الإعلام: يمكن استخدام وسائل الإعلام الحديثة ومنصّات التواصل الاجتماعي لنشر الوعي عن القيم الخُلقيّة، وذلك من خلال إنشاء محتوى تعليمي محفز يبرز أهميّة السلوك الحسن في حياة الأفراد والمجتمعات.

٧. إشراك الشباب: من المهم إشراك فئة الشباب في الأنشطة

التي تعزز القيم الخُلُقِيَّةَ مثل التطوع في المجتمع، المشاريع الجماعيَّة التي تدعم الصدق والأمانة، وتنظيم مسابقات ذات طابع خُلُقِي.

كل هذه الإجراءات تسهم في نشر القيم الخُلُقِيَّة والسلوكيَّة النافعة في المجتمع، من خلال الطرق والوسائل الصحيحة التي تنفع في ذلك. إن المؤسسات التربويَّة والتعليميَّة تلعب دوراً محورياً في نشر القيم الخُلُقِيَّة النافعة، من خلال عدة وسائل وأساليب متكاملة.

وإليك بعض الطرق التي تسهم بها هذه المؤسسات في غرس القيم الخُلُقِيَّة في الطلاب:

١. إدراج القيم الخُلُقِيَّة في المنهج الدراسي: من خلال تضمين دروس تركز على القيم مثل الأمانة، والاحترام، والتعاون، والصدقة في المواد الدراسيَّة، ويمكن أن تشمل هذه الدروس قصصاً وأمثلة حيَّة توضح أهميَّة هذه القيم في الحياة اليوميَّة.
٢. تعليم القيم عبر الأنشطة: الأنشطة مثل الألعاب الجماعيَّة، المسرحيات، والأنشطة التطوعيَّة تمنح الطلاب الفرصة لتطبيق القيم الخُلُقِيَّة في بيئة تفاعليَّة، فهذه الأنشطة تعزز روح الفريق والتعاون، وتحفز على احترام الآخر والعمل المشترك.
٣. تدريب المعلمين على مهارات التربية الخُلُقِيَّة: يجب أن

يتلقى المعلمون تدريباً على كيفية غرس القيم الخُلقية في الطلاب من خلال القدوة الحسنة، وإدارة الفصول الدراسية بطريقة تعزز من السلوكيات الإيجابية، ويكون المعلمون أنفسهم قدوة في نقل هذه القيم.

٤ . تطبيق ممارسات قيمة داخل المدرسة: من خلال تنظيم النشاطات التي تبرز قيم مثل العدالة والمساواة بين الطلاب، ومكافأة السلوكيات الحسنة التي تعكس القيم الخُلقية، كذلك، تنفيذ عقوبات عادلة للطلاب الذين يخرقون هذه القيم.

٥ . التحفيز على التفكير النقدي والخُلقية: تعليم الطلاب كيفية التفكير النقدي حول قضايا خُلقية معقدة، مثل مسائل العدالة، المسؤولية الاجتماعية، وحقوق الإنسان. يمكن تنظيم مناقشات وحوارات جماعية لتمكين الطلاب من طرح أفكارهم وتطوير مهارات التفكير الخُلقية.

٦ . تنمية الوعي بالقيم من خلال الشراكات المجتمعية: يمكن أن تتعاون المؤسسات التعليمية مع المجتمع المحلي لتقديم ورش عمل أو محاضرات تستهدف الطلاب حول القيم الخُلقية وأثرها في بناء مجتمع أفضل.

٧. غرس القيم من خلال بيئة المدرسة: إنشاء بيئة مدرسيَّة تشجع على القيم الخُلُقِيَّة، مثل احترام التنوع الثقافي، قبول الآخر، وإدارة النزاعات بشكل سلمي. يجب أن تكون المدرسة مكاناً يعزز احترام الذات والآخرين.

٨. تشجيع التطوع والعمل الخيري: تشجيع الطلاب على المشاركة في الأنشطة الخيريَّة والعمل التطوعي، مما يعزز لديهم شعور المسؤولية الاجتماعيَّة والإنسانيَّة.

فمن خلال هذه الجهود المتكاملة، تسهم المؤسسات التربويَّة والتعليميَّة في بناء جيل ملتزم بالقيم الخُلُقِيَّة التي تؤثر إيجابياً على المجتمع.

ثانياً: بناء هويَّة خُلُقِيَّة إسلاميَّة مميزة يطمح الجميع للاقتداء بها

إن بناء هويَّة خُلُقِيَّة إسلاميَّة مميزة يتطلب التركيز على عدة جوانب أساس تتماشى مع القيم والمبادئ الإسلاميَّة. إليك بعض الخطوات التي يمكن اتباعها لتحقيق ذلك:

١. التمسك بالقيم الدينيَّة: أساس الهويَّة الخُلُقِيَّة الإسلاميَّة هو التمسك بتعاليم الدين الإسلامي، من خلال الالتزام بالصلاة،

الفصل الخامس - المبحث الثالث (٢٧)

الصيام، الزكاة، والحج، وغيرها من العبادات التي تساهم في تكوين شخصيّة قادرة على التفاعل مع الحياة بشكل إيجابي وخلقّي.

٢. التقوى والنيّة الصافية: المسلم الذي يطمح إلى بناء هويّة خلقية إسلامية يجب أن يلتزم بتقوى الله في جميع أفعاله وأقواله، فالنيّة الطيبة والنقيّة لله - تعالى - وحده هي ما يوجّه الأعمال ويضفي عليها قيمة خلقية.

٣. الصدق والأمانة: الصدق في القول والعمل يعد من أبرز الصفات التي ينبغي أن يتحلّى بها المسلم، فيجب أن يكون المسلم أميناً في كل تعاملاته، سواء في الحياة اليومية أم في العمل.

٤. التعامل بالحسنى مع الآخرين: في الإسلام، يُعتبر حسن التعامل مع الآخرين من أسمى الأخلاق، وهذا يشمل التحلي بالصبر، العفو، الرحمة، وحسن الاستماع. الإسلام يعلمنا أن ننظر إلى الآخرين بعين الرحمة ونساعدهم في وقت الحاجة.

٥. التواضع: التواضع في التعامل مع الناس وعدم التفاخر من أبرز سمات الشخصية الإسلامية، فالمسلم يجب أن يتجنب الكبرياء ويعيش متواضعاً في حياته.

٦. العدالة والمساواة: الإسلام يحث على العدل والمساواة بين

الناس، فيجب على المسلم أن يعامل جميع الناس دون تمييز على أساس العرق أو اللون أو الطبقة الاجتماعية.

٧. الاهتمام بالعلاقات الأسرية والاجتماعية: الأسرة هي أساس

المجتمع الإسلامي، لذلك يجب بناء علاقات قائمة على الاحترام المتبادل والمحبة والود، كما يجب على المسلم أن يكون دائماً جزءاً فاعلاً في مجتمعه، ويساهم في تحسين الأوضاع الاجتماعية.

٨. التعلم المستمر والتطوير الذاتي: طلب العلم في الإسلام

يعتبر من أفضل الأعمال التي تقرب إلى الله تعالى، فالمسلم ينبغي أن يسعى للتعلم وتطوير نفسه باستمرار من أجل تعزيز مبادئه الخُلُقِيَّةُ وتحقيق النجاح في الحياة.

٩. الاهتمام بالبيئة والمجتمع: في الإسلام، يُعتبر الحفاظ على

البيئة والموارد الطبيعية من المسؤوليات المهمة، فالمسلم عليه أن يكون مسؤولاً في التعامل مع الطبيعة والموارد المتاحة.

فبناء هوية خُلُقِيَّةُ إسلامية مميزة يستدعي التطبيق العملي لتلك المبادئ

في الحياة اليومية والعمل على تطويرها باستمرار.

ولكي تصبح الهوية الخُلقية الإسلامية قدوة يحتذى بها، يجب أن يتحقق ذلك عبر عدة محاور تتكامل لتعزيز النموذج الخُلقي الإسلامي، وتسهم في تأثيره الإيجابي على الأفراد والمجتمعات. وإليك بعض الخطوات لتحقيق ذلك:

١. التطبيق العملي للأخلاق الإسلامية: كالقدوة الشخصية: لكي يُحتذى بالفرد أو المجتمع في الهوية الخُلقية الإسلامية، يجب أن يكون هو ذاته قدوة حية تُظهر تطبيقاً فعلياً للأخلاق الإسلامية. فالصدق، والأمانة، والتواضع، والعفو، والرحمة يجب أن تكون سلوكاً يومياً في حياته، والأخلاق في المواقف اليومية كتطبيق المبادئ الإسلامية في الحياة اليومية، سواء في العمل، أم مع العائلة، أم مع الأصدقاء، يعزز من رؤية الناس لهويته الخُلقية الإسلامية.

٢. التوعية والتعليم: من خلال الدروس والمحاضرات كنشر تعاليم الإسلام عن الأخلاق في المساجد، المدارس، والجامعات من خلال محاضرات ودروس ومناقشات. هذا يسهم في تعزيز الوعي بالقيم الإسلامية وأهميتها الأخلاق في الحياة اليومية، والتعليم عبر الوسائل الحديثة، كاستخدام وسائل الإعلام الحديثة مثل الإنترنت، ووسائل التواصل

الاجتماعي، والقنوات الإعلامية لنشر رسائل عن الأخلاق الإسلامية وتعاليمها بشكل يتماشى مع العصر الحديث.

٣. الاستفادة من تاريخ الإسلام: كقصص النبي الأكرم صلوات الله وسلامته عليه والأئمة المعصومين عليهم السلام، وأصحابهم المخلصين، وقصص العلماء والصلحاء. إن نشر فهذه القصص لها تأثير كبير في تحفيز الناس على التحلي بتلك الصفات، فإن الاستلهام من حياة الرسول ص مهم جداً فالنبي محمد صلوات الله وسلامته عليه هو المثال الأعلى للأخلاق الإسلامية، وتذكير الناس بحسن خلقه وتعاملاته مع الآخرين يعزز من ترسيخ هذه الهُوِيَّة الخُلُقِيَّة، وكذلك الحال بالنسبة إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام.

٤. ممارسة القيم الإسلامية في العمل والمجتمع: كالعدالة والمساواة، بتعزيز العدالة والمساواة في المجتمع من خلال تشجيع تطبيق هذه القيم في مختلف المجالات العمل، والقانون، والتعليم، فعندما يرى الناس أن القيم الإسلامية تُحترم في المجتمع، سيكون ذلك حافزاً لهم للاحتذاء بها، ومن ذلك الاهتمام بالمستضعفين، والعناية بالمحتاجين والفقراء، والوقوف إلى جانب المهمَّشين، تجسد مبادئ الرحمة والعدالة في الإسلام وتظهر أن الأخلاق الإسلامية لا

- تقتصر على الأفراد فقط، بل تشمل المجتمع ككل.
٥. التمسك بالتسامح والمرونة: كالعفو عند المقدرة، ونشر ثقافة العفو والصفح في المجتمع يعكس جوهر الأخلاق الإسلامية. المسلم يجب أن يتحلّى بالصبر والتسامح في تعاملاته مع الآخرين، والمرونة والتعاون والتفاعل بإيجابية مع الجميع دون تمييز، والمرونة في التعامل مع الاختلافات، تبرز حقيقة الإسلام الذي يدعو للتعاون والوحدة.
٦. تحفيز الإبداع والابتكار الخُلقي: كالتفاعل مع التحديات الحديثة مع تطور العصر والتحديات التي يواجهها المجتمع، يمكن للمسلمين استخدام القيم الإسلامية في مواجهة هذه التحديات بطريقة مبتكرة. من خلال تقديم حلول إسلامية للأزمات الاقتصادية، الاجتماعية، والبيئية، يمكن تعزيز الهوية الخُلقية الإسلامية، والتطوير الشخصي المستمر، وتشجيع المسلمين على تحسين أنفسهم خُلقيًا وفكريًا باستمرار من خلال التعليم المستمر والبحث عن سبل لتعزيز سلوكياتهم وتقوية إيمانهم.
٧. تعزيز العلاقات الإنسانية القائمة على الاحترام المتبادل: كالاهتمام بالعلاقات الأسرية، فمن أهم القيم الإسلامية

احترام الأسرة ورعاية أفرادها. بناء مجتمع قائم على هذه العلاقات يساعد في نشر ثقافة المحبة والتعاون، وتفعيل التعاون بين أفراد المجتمع، وتشجيع الحوار المفتوح والاحترام المتبادل بين مختلف فئات المجتمع يمكن أن يعزز من الهوية الإسلامية الخُلُقِيَّة، ويجعلها قدوة للأجيال القادمة.

٨. التطبيق في مجال العمل والسياسة: كالعدالة في العمل، وتطبيق القيم الإسلامية في مجال العمل، مثل الشفافية، والعدل في التعامل مع الموظفين والعملاء، وعدم التمييز، يزيد من إظهار هذه القيم على أرض الواقع، والسياسة العامة والإصلاح الاجتماعي، والاهتمام بالقضايا الاجتماعية والسياسية وفقاً للمبادئ الإسلامية من العدالة والمساواة والحرية، واتباع سلوكيات تحترم حقوق الإنسان.

فمن خلال هذه الخطوات، تصبح الهوية الخُلُقِيَّة الإسلامية نموذجاً يحتذى به، ويُنظر إليها باعتبارها مصدر إلهام للأفراد والمجتمعات في السعي نحو مجتمع يتسم بالقيم الإنسانيَّة النبيلة، والتي تساعد في بناء المجتمع، بناءً سليماً يتوافق مع التعاليم الإسلامية، ومع سيرة الأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، ومع سيرة العلماء والصالحين؛ إذ إن البحث عن قدوة هو أفضل طرق التربية وأفضل طرق الإصلاح.

ثالثاً: نشر القيم الخُلُقِيَّة الإسلاميَّة والترويج للنموذج الخُلُقِي الإسلامي النافع والمؤثر

لنشر القيم الخُلُقِيَّة الإسلاميَّة والترويج للنموذج الخُلُقِي الإسلامي النافع والمؤثر، يجب اتباع مجموعة من الاستراتيجيات المتكاملة التي تهدف إلى تعزيز هذه القيم في الحياة اليوميَّة وفي المجتمع بشكل عام. إليك بعض الطرق الفعالة:

١. التعليم والتوعية المستمرة: من خلال البرامج التعليميَّة كتنظيم دورات تدريبيَّة وورش عمل في المدارس والجامعات والمساجد لتعليم الشباب كيفية تطبيق القيم الخُلُقِيَّة الإسلاميَّة في حياتهم اليوميَّة. يمكن أن تتضمن هذه البرامج دروساً عن الأخلاق الإسلاميَّة المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبويَّة المباركة، والمناهج الدراسيَّة كإدراج مواد أكاديميَّة في المناهج الدراسيَّة التي تركز على الأخلاق الإسلاميَّة وكيفية تطبيقها في الحياة العمليَّة. ينبغي أن تُعرض الأمثلة العمليَّة من حياة الصحابة والنبي محمد ﷺ لتكون نموذجاً حياً للطلاب.

٢. الاستفادة من وسائل الإعلام والتكنولوجيا: من خلال وسائل الإعلام التقليديَّة والجديدة كاستخدام التلفاز، والراديو،

والصحف، ووسائل التواصل الاجتماعي لنشر محتوى يعكس القيم الخُلُقِيَّةَ الإسلاميَّة. مثلاً، إنشاء برامج تلفزيونية إذاعية أو صفحات على مواقع التواصل الاجتماعي تقدم قصصاً حقيقية أو دراسات حالة لشخصيات إسلامية بارزة تجسد القيم الخُلُقِيَّة، والمحتوى الرقمي كإنتاج مقاطع فيديو، تدوينات، مدونات صوتية بودكاست، ومحتويات تفاعلية تشرح أهمية الأخلاق الإسلاميَّة، وتعرض كيفية التأثير الإيجابي في المجتمع من خلال القيم النبيلة، ويمكن استخدام هذه الوسائل بشكل واسع للوصول إلى جمهور أوسع وأكثر تنوعاً.

٣. التفاعل مع المجتمع المحلي: من خلال المبادرات المجتمعية كتنظيم حملات تطوعية لخدمة المجتمع، مثل حملات لمساعدة الفقراء، وتنظيف الأحياء، والعناية بالمسنين. هذه المبادرات تعكس القيم الإسلاميَّة مثل الرحمة والعطف، والأنشطة الجماعية، كتشجيع الشباب على المشاركة في الأنشطة المجتمعية التي تعزز التعاون والتضامن، ما يسهم في تعزيز القيم الخُلُقِيَّة مثل الأخوة والمساواة.

٤. نشر الوعي من خلال القدوة: من خلال القدوة الشخصية؛

إذ يجب أن يكون الأفراد الذين يسعون لنشر القيم الخُلقيَّة الإسلاميَّة هم أنفسهم قدوة في سلوكهم. إن الشخص الذي يعكس صدقًا، وأمانة، وتواضعًا، وصرًا في سلوكه اليومي يكون نموذجًا يحتذى به، يمكن أن يصبح تأثير هذا الشخص أكثر قوة عندما يراه الآخرون في أفعالهم وليس فقط في أقوالهم، والقيادات الدينيَّة والاجتماعيَّة، كعلماء الدين وقادة المجتمع يجب أن يتبنى هذه القيم بشكل واضح في سلوكهم اليومي، من خلال الخطب، المحاضرات، والدروس يمكنهم تحفيز الناس على الاقتداء بالنموذج الخُلقي الإسلامي.

٥. تعزيز دور الأسرة في نشر القيم: من خلال تربية الأطفال على الأخلاق الإسلاميَّة فتبدأ عمليَّة نشر القيم الخُلقيَّة من الأسرة؛ حيث يجب على الوالدين تعليم الأبناء أهميَّة الصدق، والعدل، والرحمة، وغيرها من القيم الإسلاميَّة. ينبغي أن يكون الوالدان قدوة في سلوكهم مع أبنائهم؛ إذ إن الأسرة تشكل الأساس في تنشئة فرد صالح في المجتمع، والأنشطة العائليَّة كتشجيع الأسر على إقامة جلسات عائليَّة للنقاش في القيم الإسلاميَّة وكيفيَّة تطبيقها في الحياة اليوميَّة، ويمكن تنظيم مسابقات لتشجيع الأطفال والشباب على تعلم وتطبيق

السلوكيات الخُلُقِيَّةُ المستمدة من الدين.

٦. إبراز الأثر الاجتماعي للقيم الخُلُقِيَّة: من خلال التأثير

الإيجابي على المجتمع، كنشر قصص النجاح التي يجري

فيها تطبيق القيم الخُلُقِيَّة الإسلامية على مستوى الأفراد

والمجتمعات. مثلاً، التحدث عن حالات نجاح مشاريع

أو مبادرات مجتمعية قامت على أساس المبادئ الإسلامية

مثل التعاون، العدالة، والشفافية، والتفاعل مع التحديات

الاجتماعية، كالتصدي للمشكلات الاجتماعية مثل الفقر،

والجهل، والفساد من خلال تعزيز القيم الإسلامية مثل

العدل، والصدق، والمساواة، وتشجيع المجتمع على مواجهة

التحديات بشكل خُلُقِي وباستخدام الحلول الإسلامية.

٧. التركيز على القيم العملية: من خلال تشجيع السلوكيات

العملية كالترويج للقيم الخُلُقِيَّة ليس فقط من خلال الكلمات،

ولكن أيضاً من خلال الأفعال اليومية. فعلى سبيل المثال،

تشجيع الأفراد على احترام المواعيد، إتقان العمل، والنزاهة

في المعاملات، والعدالة والمساواة كالعمل على تطبيق

العدالة والمساواة في كافة مناحي الحياة، بما في ذلك في

مجال العمل، الحقوق الاجتماعية، والعدالة القانونية، وتعزيز

الفصل الخامس - المبحث الثالث (٢٨)

- هذه القيم من خلال نشر الوعي بين الأفراد والمؤسسات.
٨. الاستفادة من الفعاليات والمناسبات الإسلامية: من خلال المناسبات الدينية، ففي المناسبات الدينية، مثل شهر رمضان المبارك، وعيد الفطر، وعيد الأضحى، وولادات الأئمة المعصومين (عليهم السلام) ووفياتهم، وشهر محرم الحرام، والزياره الأربعينية. فمن خلال هذه المناسبات يمكن تنظيم فعاليات تهدف إلى نشر القيم الخلقية الإسلامية من خلال النشاطات الخيرية، ودروس العلم، والمسابقات التي تشجع على تطبيق الأخلاق في الحياة اليومية. كذلك المؤتمرات الإسلامية، كتطبيق مؤتمرات، وندوات، وحلقات نقاشية تركز على موضوعات متعلقة بالأخلاق الإسلامية وتطبيقها في العصر الحديث، وهذه الفعاليات تتيح للمتخصصين والمهتمين تبادل الآراء وتقديم حلول عملية لتطبيق القيم الإسلامية في مختلف المجالات.
٩. التركيز على التحفيز والتقدير: كتقدير الأخلاق الحسنة، من خلال تكريم الأفراد أو الجماعات الذين يظهرون سلوكاً خُلُقياً متميزاً في المجتمع، وذلك يمكن أن يشمل جوائز أو شهادات تقدير تعترف بإسهامهم في تعزيز القيم الإسلامية، وتشجيع الشباب على الابتكار، ودعوة الشباب إلى التفكير

في كَيْفِيَّةِ اسْتِخْدَامِ الإِبْدَاعِ وَالتَّكْنُوْلُوجِيَا لِنَشْرِ القِيَمِ الإِسْلَامِيَّةِ
بشكْلٍ مُبْتَكِرٍ وَفِعَالٍ فِي عَالَمِهِمُ المَعَاصِرِ .
فَمِنْ خِلَالِ هَذِهِ الاسْتِرَاتِيْجِيَا تِ المِتْكَامِلَةِ ، يُمْكِنُ نَشْرُ القِيَمِ الخُلُقِيَّةِ
الإِسْلَامِيَّةِ وَالتَّرْوِيْجِ لِلنَّمُوْذِجِ الخُلُقِيِّ الإِسْلَامِيِّ النَّاْفِعِ وَالمُؤَثِّرِ الَّذِي يَْعُوْدُ
بِالنَّفْعِ عَلى الأَفْرَادِ وَالمُجْتَمَعَاتِ .

خاتمة

- ١ . إن هَذَا الكِتَابَ هُوَ تَلْخِيصٌ لِأَهْمِيَّةِ الهُوِيَّةِ الخُلُقِيَّةِ للشَّبَابِ
المُسْلِمِ ، أَخَذْنَاهُ مِنْ مِصَادِرِ الإِسْلَامِ الأَسَاسِ ، كَالْقُرْآنِ الكَرِيْمِ ،
وَالأَحَادِيثِ ، مِضَافًا إِلَى كَلِمَاتِ المَخْتَصِيْنَ .
- ٢ . أَرَدْنَا فِي هَذَا الكِتَابِ التَّأْكِيدَ عَلى ضَرُورَةِ الحِفَاظِ عَلى القِيَمِ
الإِسْلَامِيَّةِ ، وَكَيْفِيَّةِ مِوَاجَهَةِ التَّغْرِيْبِ .
- ٣ . فِي هَذَا الكِتَابِ اقْتِرَاحَاتٌ عَمَلِيَّةٌ كَثِيْرَةٌ لِمِوَاجَهَةِ التَّحْدِيَّاتِ
الخُلُقِيَّةِ المَعَاصِرَةِ .
- ٤ . إن هَذَا الكِتَابَ يَْعِدُ رِسَالَةً تَحْفِيْزِيَّةً للشَّبَابِ المُسْلِمِ بِضَرُورَةِ
الأَفْتِخَارِ بِهَوِيَّتِهِمُ الخُلُقِيَّةِ وَالعَمَلِ عَلى تَعْزِيْزِهَا .

لائحة المصادر والمراجع

الكتب المطبوعة:

- إبراهيم بيومي مذكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة - مصر، ط ١، ١٩٨٣ م.
- ابن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط ١، ١٣٧٩ هـ.
- ابن شعبة الحراني: تحف العقول عن آل الرسول، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف - العراق، ط ١، ١٣٨٣ هـ.
- ابن فارس المغربي: معجم مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٩ هـ.
- ابن مسكويه الرازي ت ٤٢١ هـ: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مكتبة الثقافة الدينية، ط ١، ١٣٩٩ هـ.
- ابن منظور الأفرقي: لسان العرب، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٦ هـ.
- أبو الحسين ورام الحلي: تنبيه الخواطر وتنزيه النواظر، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف - العراق، ط ١، ١٩٦٤ م.
- أبو حامد الغزالي ت ٥٠٥ هـ: إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، بيروت

٢٨٤ هُوِيَّةُ الْخُلُقِيَّةِ لِلشَّبَابِ الْمُسْلِمِ

- لبنان، ط١، ١٩٩٥م.
- أبو عبد الله الأنصاري القرطبي: تفسير القرآن العظيم الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ.
- أحمد الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول - تركيا، ط٢، ١٩٧٢م.
- أحمد جهان الفورتية: القرآن أصل التربية وعلم النفس، دار الملتقى للنشر، ليماسول - قبرص، ط١، ١٩٩٤م.
- إدريس هاني: أخلاقنا: في الحاجة إلى فلسفة أخلاق بديلة، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.
- أعضاء هيئة التدريس: قسم علم الاجتماع، الطفل والشباب في إطار التنمية الاجتماعية والاقتصادية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٦م.
- الحر العاملي: وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم - إيران، ط٤، ١٤٢٩هـ.
- الراغب الاصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، انتشارات ذوي القربى، قم - إيران، ط٤، ١٤٢٥هـ.
- الشريف الرضي: نهج البلاغة، منشورات الشريف الرضي، قم - إيران، ط١، ١٤٢٧هـ.
- الفضل بن الحسن الطبرسي: تفسير مجمع البيان، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ.

- الفيض الكاشاني: المحجة البيضاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٠هـ.
- أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، عويدات للنشر، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠١٢م.
- باقر شريف القرشي: النظام التربوي في الإسلام، دار الكتاب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٣٧٨هـ.
- جار الله الزمخشري: أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ.
- جورج بوشامب: نظرية المنهج، الدار العربية للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٨٧م.
- حامد عبده الهوال: التعليم والتعلم في القرآن الكريم، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت - الكويت، ط ١، ١٤٠١هـ.
- حسين النوري: مستدرک الوسائل، مؤسسة آل البيت ع لإحياء التراث، قم - إيران، ط ٣، ١٤١١هـ.
- رسول محمد رسول: نقد العقل الإصلاحي، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، بغداد-العراق، ط ١، ٢٠٠٨م.
- ضياء الدين الراوندي: النوادر، مؤسسة الحديث الثقافية، قم - إيران، ط ١، ١٣٧٧هـ. ش.
- عبد الرزاق أمقران: دراسات في علم الاجتماع، دار بهاء الدين للنشر،

٢٨٦ الهُوِيَّةُ الخُلُقِيَّةُ لِلشَّبَابِ المُسْلِمِ

- الجزائر - الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م.
- عبد الواحد الأمدي: غرر الحكم ودرر الكلم، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٥هـ.
- عزمي طه السيد وآخرون: الثقافة الإسلامية: مفهومها مصادرها خصائصها مجالاتها، دار المناهج، عمان - الأردن، ط١، ٢٠٠٩م.
- علي النمازي: مستدرك سفينة البحار، مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران، ط١، ١٤١٨هـ.
- علي محمد الحاج حسن: الحرب الناعمة: الاسس النظرية والتطبيقية، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، النجف - العراق، ط١، ٢٠١٨م.
- كاظم الصالحي: الحرب الناعمة الاهداف وسبل المواجهة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، النجف الأشرف - العراق، ط١، ٢٠١٨م.
- ليث العتابي: الأدوات المعرفية، دار الولاة، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٤م.
- ليث العتابي: تجارب نهضوية من واقع الحاجة البشرية، دار القارئ، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٨م.
- ليث العتابي: مصلحون: قراءة في مشروع الإصلاح الإسلامي والمنجز المعرفي، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٨م.
- مجموعة مؤلفين: مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، تعريب: محمد

- الشيخ وياسر الطائي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٦م.
- مجيد الصائغ: الشباب المعاصر بين الاستقامة والانحراف، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، كربلاء - العراق، ط ١، ٢٠٢١م.
 - محمد الجرجاني: معجم التعريفات، دار الفضيلة، القاهرة - مصر، ط ١، ١٩٩٧م.
 - محمد الريشهري: منتخب ميزان الحكمة، تلخيص وانتخاب: حميد الحسيني، دار الحديث، قم - إيران، ط ١، ١٤٢٢م.
 - محمد الريشهري: ميزان الحكمة، مكتب الإعلام الإسلامي، قم - إيران، ط ١، ١٤٠٣هـ.
 - محمد الشريف وآخرون: استراتيجية تطوير التربية العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس - تونس، ط ١، ٢٠٠٨م.
 - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٨م.
 - محمد بن علي القمي الصدوق: الأمالي، المطبعة الحيدريّة، النجف الأشرف - العراق، ط ١، ١٣٨٩هـ.
 - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، منشورات الفجر، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٧م.
 - محمد تقي الفلسفي: الشباب وتقليد الغرب، مؤسسة الانتشار العربي،

٢٨٨ الهُوِيَّةُ الخُلُقِيَّةُ لِلشَّبَابِ المُسْلِمِ

- بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ.
- محمد تقي الفلسفي: مختصر الطفل بين الوراثة والتربية، مؤسسة البلاغ، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.
- محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٧م.
- محمد حمدان: الحرب الناعمة، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٠م.
- محمد علي التهانوي: كشف اصطلاحات الفنون، مكتبة لبنان، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٦م.
- محمد علي قطب: الحب والجنس من منظور إسلامي، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط١، ١٩٨٤م.
- محمد قطب: واقعنا المعاصر، دار الشروق، القاهرة - مصر، ط١، ١٤١٨هـ.
- محمد كتش: العالم التربوي على صفيح ساخن: دراسة للمنظور التربوي لإشكالية الأصالة والمعاصرة،
- محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس، المطبعة الحكوميَّة، الكويت - الكويت، ط٢، ١٤١٥هـ.
- محمد مهدي النراقي: جامع السعادات، تحرير: رضا مختاري، دار الأمير للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.
- محمد يعقوبي: معجم الفلسفة، دار الكتاب الحديث، القاهرة - مصر، ط١،

٢٠٠٨م.

- معنى زيادة: معالم على طريق تحديث الفكر العربي، عالم المعرفة، الكويت - الكويت، ط١، ١٩٨٧م.
- مهدي حسن الخفاجي: أمريكا مصدر الإرهاب في العراق، مركز العراق للدراسات، بغداد- العراق، ط٣، ٢٠١٥م.
- نعيم قاسم: كيف نواجه الحرب الناعمة؟ مركز قيم للدراسات، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٢م.
- يحيى هندام: المناهج: أسسها، تخطيطها، تقويمها، دار النهضة العربيّة، القاهرة-مصر، ط١٠، ١٩٩٢م.

المجلات والدوريات:

- زهير عبد الحميد النواجحة: «الهويّة الخُلقيّة وعلاقتها بمقاومة الإغراء لدى الطلبة والمراهقين»، المجلة الدوليّة للدراسات التربويّة والنفسيّة، العدد ١٢، السنة ٢٠٢١م.

المواقع الالكترونيّة:

- أحلام شرف الدين: ماهيّة ومفهوم الحرب الناعمة الامريكّيّة، الحرب الناعمة المفهوم والتداعيات، رابطة علماء اليمن، ١٨/٥/٢٠١٨

<https://yemenscholars.com/articles/1013>

٢٩٠ الهُوِيَّةُ الخُلُقِيَّةُ لِلشَّبَابِ المُسْلِمِ

- الغزو الثقافي وكيفية مواجهته، مدونة الكفيل
https://alkafeelblog.edu.turathalanbiaa.com/login_form
- جامعة البصرة: ندوة تحت عنوان: مبادئ الهُوِيَّةِ الخُلُقِيَّةِ عند تشارلز تايلور،
تاريخ النشر ٣٠ / ١ / ٢٠٢٢ م
<https://uobasrah.edu.iq/colleges-news/14385>
- حسين أبو نادر: الاختراق الثقافي سمعيا وبصريا، شبكة النبأ، ٢٢ تموز
٢٠١٨ م:
<https://annabaa.org/arabic/authorsarticles/15970>
- رياض صدقي: النزعة التغريبية وفقدان البوصلة، مدونة، موقع الجزيرة،
تاريخ المدونة ٨ / ٣ / ٢٠١٨ م:
<https://www.aljazeera.net/blogs/20188/3/>
- عبد الله أبو هيف: الغزو الثقافي والمفاهيم المتصلة به، مجلة النبأ،
العدد ٦٣، تشرين الثاني ٢٠٠١ م:
<https://annabaa.org/nba63/qazo.htm>
- لويس دوما: المفهوم الحديث للفردانية، باريس، ١٩٧٨ م:
Louis Dument, le concept moderne de l'individu, Paris 1978
موقع مكتبة الكونغرس الأمريكي: www.loc.gov
- نورة عابد: مفهوم الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر، ٢٠١٧ م:
<http://e-biblio.univ-mosta.dz/handle/12345678914821/>

الفهرس

٥	مقدمة
٧	تمهيد
٧	أولاً: تعريف الهوية الخلقية
١١	ثانياً: تعريف الشباب المسلم
١٣	ثالثاً: تعريف تحديات التغريب
١٥	رابعاً: تعريف الثقافة الخلقية
١٧	الفصل الأول
		الهوية الخلقية في الإسلام
١٩	المبحث الأول
		مفهوم الهوية وماهيتها الخلقية في الإسلام
١٩	أولاً: الهوية الخلقية في ضوء القرآن
		الكريم والسنة النبوية المطهرة
٢٦	ثانياً: دور القيم الخلقية في تشكيل
		شخصية الفرد المسلم

- ٢٩ ثالثاً: مكانة الأخلاق في الإسلام
- ٣٢ المبحثُ الثاني
مقوّمات الهوية الخُلقيّة للشباب المسلم
- ٣٢ أوّلاً: الإيمان والتقوى أساسان
مهمّان للهويّة الخُلقيّة الإسلاميّة
- ٣٩ ثانياً: الصدق والأمانة والعدل والحياء قيم
أساس في الهوية الخُلقيّة الإسلاميّة
- ٥٠ ثالثاً: الاستقامة والعمل الصالح ودورهما
في بناء الهوية الخُلقيّة الإسلاميّة
- ٥٧ المبحث الثالث
عوامل تعزيز الهوية الخُلقيّة وديمومتها
- ٥٧ أوّلاً: العبادات ودورها في تعزيز
الهويّة الخُلقيّة للفرد المسلم
- ٦٢ ثانياً: الصحبة الصالحة والعلم الشرعي النافع
ودورهما في تعزيز الهوية الخُلقيّة للفرد المسلم

- ٧٢ ثالثاً: البيئة الاجتماعية الصالحة ودورها
في تعزيز الهوية الخُلقية للفرد المسلم
- ٧٥ الفصلُ الثاني
مفهوم التغريب الخُلقي وتأثيره على الشباب المسلم
- ٧٧ المبحثُ الأوّل
مفهوم التغريب الخُلقي وأبعاده وتأثيراته
- ٧٧ أوّلاً: تعريف التغريب الخُلقي وبيان ماهيته
- ٨٣ ثانياً: جذور التغريب ومسبباته وأثر الاستعمار
الثقافي على الأخلاق الإسلامية للفرد المسلم
- ٨٨ ثالثاً: الفرق ما بين الانفتاح
الثقافي والتغريب الخُلقي
- ٩٢ المبحثُ الثاني
مظاهر التغريب الخُلقي في المجتمعات الإسلامية
- ٩٢ أوّلاً: الترويج لمفاهيم خُلقيّة تتعارض مع أسس الإسلام

- ١٠٢ ثانيًا: تأثير الإعلام الغربي ووسائل
التواصل الاجتماعي في تغيير القيم لدى
الفرد المسلم
- ١٠٨ ثالثًا: التغريب في التربية والتعليم ودوره
في إضعاف الأخلاق والقيم الإسلامية
- ١١٤ المبحثُ الثالث
أدوات تغريب الثقافة الخُلقيَّة ووسائلها
- ١١٤ أولًا: السينما والتلفزيون والمسلسلات
والأفلام ووسائل لنشر القيم الغربيَّة
- ١١٩ ثانيًا: المناهج التعليميَّة الغربيَّة وأثرها
في بناء القيم وفق النموذج الغربي
- ١٢٣ ثالثًا: الترويج لنماذج خُلقيَّة غربيَّة وفق
المفهوم الغربي في الفن، والرياضة، والثقافة
- ١٢٧ الفصلُ الثالث
أثر التغريب على الأخلاق الإسلاميَّة للشباب المسلم في البلاد الإسلاميَّة

- المبحثُ الأوّل ١٢٩
- تأثير التغريب على القيم الأسريّة والمجتمعيّة والوطنية
- أوّلاً: التغيير الحاصل في مفهوم العلاقة ١٢٩
- ما بين الأجيال واحترام الوالدين
- ثانياً: التفكك الأسري نتيجة واضحة لتغيير ١٣٣
- القيم الخُلقيّة عند الفرد والأسرة
- المبحثُ الثاني ١٤٣
- التغريب الخُلقي في العلاقات الاجتماعيّة
- أوّلاً: انتشار ثقافة العلاقات غير المشروعة ١٤٣
- والاختلاط غير المنضبط
- ثانياً: إضعاف مفهوم الحياء ١٥٣
- ثالثاً: تسطيح مفهوم الصداقة الصالحة وتحويلها ١٥٧
- إلى علاقات خالية من المعايير الخُلقيّة
- المبحثُ الثالث ١٦١
- أثر التغريب على القيم المهنيّة والاقتصاديّة

أولاً: الحرية المفرطة والمادية النفعية وجعلهما ١٦١
بديلاً عن القيم الإسلامية في العمل

ثانياً: تبرير الفساد المالي والوظيفي ١٧٢

ثالثاً: التحديات التي تواجه تطبيق ١٧٧
القيم الخلقية في بيئات العمل

الفصل الرابع ١٨٥
الهوية الخلقية الإسلامية حصن ووقاية ضد
التغريب بكل أنواعه وأشكاله ومؤثراته

المبحث الأول ١٨٧
أسس تحصين الهوية الخلقية للشباب المسلم

أولاً: التربية الدينية ودورها في تعزيز الهوية الخلقية ١٨٧

ثانياً: المسجد والعلماء ودورهما في بناء ١٨٩
الوعي الخلقى المتين للفرد المسلم

ثالثاً: البرامج التربوية والتعليمية الإسلامية ٢٠١
مصدر مهم للقيم والأخلاق والسلوك

- المبحثُ الثاني ٢٠٣
- المجتمع والمؤسّسات ودورها في حماية الهوية الخُلقية للفرد المسلم
أولاً: الأسرة ودورها في غرس القيم ٢٠٣
- الخُلقية والسلوكية الأصيلة
- ثانياً: المؤسّسات التعليمية والعلمية ودورها ٢٠٨
- في تقديم نموذج خُلقي متماسك ونافع
- ثالثاً: المبادرات المجتمعية والمؤسّسية وما ٢١١
- لها من أثر في مواجهة التغريب الخُلقي
- المبحثُ الثالث ٢١٦
- استراتيجيات علمية وعملية لمواجهة التغريب الخُلقي
- أولاً: تعزيز الوعي الثقافي لدى الشباب المسلم ٢١٦
- ثانياً: تطوير الإعلام الإسلامي وتقديم ٢٢٢
- نماذج خُلقية صالحة ونافعة
- ثالثاً: بناء منصّات تواصل اجتماعي ٢٢٨
- إسلامية تعزّز القيم الخُلقية

- ٢٣٣ الفصلُ الخامسُ
نماذج تطبيقيّة للهويّة الخُلقيّة الإسلاميّة في مواجهة
التغريب ونماذجه غير الصالحة
- ٢٣٥ المبحثُ الأولُ
أمثلة مهمّة من الواقع ومن التاريخ الإسلامي
- ٢٣٥ أولاً: كيف واجه المسلمون موجات التغريب الخُلقي؟
- ٢٤٢ ثانيًا: كيف حافظ العلماء والمفكّرون
المسلمون على هويّتهم الخُلقيّة الإسلاميّة؟
- ٢٤٨ المبحثُ الثاني
نظرة معاصرة من الحاضر على المجتمعات الإسلاميّة
- ٢٤٨ أولاً: دور المصلحين والحركات الإصلاحية في
تعزيز الهويّة الخُلقيّة في المجتمعات الإسلاميّة
- ٢٥٧ ثانيًا: تجارب وطرق وأساليب إسلاميّة في مواجهة
التأثيرات الخُلقيّة السلبية للعولمة الغربيّة
- ٢٦٣ ثالثًا: أساسات المجتمع الصالح

- المبحثُ الثالث ٢٦٦
- كيف يمكن أن نجعل من الشباب المسلم نموذجًا خُلُقِيًّا نافعًا؟
- أولاً: التعريف بالقيم الخُلُقِيَّة ٢٦٦
- والسلوكيَّة النافعة ونشرها
- ثانياً: بناء هويَّة خُلُقِيَّة إسلاميَّة ٢٧٠
- مميزة يطمح الجميع للاقتداء بها
- ثالثاً: نشر القيم الخُلُقِيَّة الإسلاميَّة والترويج ٢٧٧
- لنموذج الخُلُقِي الإسلامي النافع والمؤثر
- خاتمة ٢٨٢
- لائحة المصادر والمراجع ٢٨٣



مركزُ برائثا للدراساتِ والبُحوثِ

مركزُ بحثي مستقل غير ربحي، مقره في بيروت وبيغداد. ويهدف لفتح المجالات العلمية والأكاديمية الواسعة، أمام الباحثين والمتخصصين؛ للقيام ببحوث تسعى إلى فهم واقع الإنسان والإنسانية، من خلال التركيز على دراسة الميادين الفلسفية، والاجتماعية، والإنسانية المتنوعة، التي تشكّل في مجموعها الحراك الاجتماعي والإنساني الكبير الحاصل في العالم، وخصوصاً في بلادنا العربية والإسلامية، ورصد الظواهر والتحديات الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والنفسية المختلفة، التي يمكن أن يواجهها الفرد والمجتمع، ومحاولة فهم ومدارسة الأسس الفلسفية والاجتماعية والدينية التأصيلية بموضوعية وجدة؛ سعياً للوصول إلى حلول لها؛ من أجل السمو بالإنسان وتقدمه في أبعاده الإنسانية المختلفة.

تظهر تحدّيات تغريب الثقافة الخُلقيّة بوصفها إحدى القضايا الملحة التي تفرض نفسها على شباب اليوم؛ إذ تشهد المجتمعات الإسلاميّة تزايداً في تأثير العولمة ووسائل الإعلام التي تعرض نماذج ثقافيّة لا تتماشى بالضرورة مع المبادئ الإسلاميّة، ويُسهّم هذا الوضع في خلق نوع من التذبذب في الهويّة الخُلقيّة للشباب المسلم؛ حيث قد يجدون أنفسهم في مواجهة صعبة بين تمسكهم بهويتهم الثقافيّة والدينيّة، وبين الضغوطات التي تحاول فرض قيم مغايرة عن القيم الخُلقيّة الإسلاميّة.

تتجلى أهميّة البحث في كيفيّة مواجهة هذه التحدّيات والسبل المتاحة لتقويّة الهويّة الخُلقيّة لدى الشباب المسلم، مع التركيز على الدور الكبير الذي يلعبه التعليم، الأسرة، والمجتمع في تعزيز هذه الهويّة وحمايتها من التشويش والتغريب الثقافي.

♦ الدراسة لا تعبر بالضرورة عن رأي المركز ♦



مركزُ برائِنا للدراساتِ والبُحوثِ
بيروت - بَغدَادُ